

فَتْحُ رِبِّ الْبَرِيَّةِ

فِي

الْحُطْبِ الْمُنْبَرِيِّ

الْجُزْءُ الثَّانِي

تأليف الشيخ الدكتور
محمد بن عبد الله بن عيسى
العواضي

فتح رب البرية
في
الخطب المنبرية

تأليف الشيخ الدكتور
محمد بن عيسى بن محمد بن عيسى
العواضي

الجزء الثاني



فتح رب البرية
في
الخطبة المنبرية

العنوان: فَتَحَ رَبُّ الْبَرِّيَّةِ فِي الْخُطْبِ الْمُنْبَرِيَّةِ.

تأليف: الدكتور محمد عبده العواضي.

الصفحات: (338 صفحة).

الجزء: الثاني.

الطبعة: الأولى، 1446 هـ - 2025 م.

قياس القطع: 17×24.

الناشر: غافق للدراسات والنشر.

إخراج فني وإلكتروني: هشام بن حسين الأهدل.

للتواصل مع المؤلف:

00967 777 949 489

الناشر



غافق للدراسات والنشر
GAFEQ for studies and publishing

اليمن - صنعاء

gafeq.s.p@gmail.com

+967 71 71 72 770

GAFEQ.S.P



782 16 12 14

فَتْحُ رَّبِّ الْبَرِيَّةِ

فِي
الْحَبِطِ الْمُنْبِرِ

الْجُزْءُ الثَّانِي

تأليف الشيخ الدكتور
محمَّد بن عبد الله بن عَمَّان العَوَّاضِي



GAFAQ for studies and publishing

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى
بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا
أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: 108].



الخطبة الأولى

الحمد لله القائل: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ﴾⁽¹⁾،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ
بِذِكْرِ اللَّهِ، أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾⁽²⁾، **وأشهد** أن محمدا عبده ورسوله
القائل: «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر مثل الحي والميت»⁽³⁾، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وأصحابه أجمعين، **أما بعد:**

فاتقوا الله عباد الله حق التقوى، فهي وصية الله للأولين والآخرين ﴿وَلَقَدْ
وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾⁽⁴⁾.

أيها المؤمنون: إن من أفضل الأوصاف التي يسعى المؤمن الحريص أن يصل
إليها هي أن يحبه الله تعالى لأن من أحبه الله تعالى فقد رضي عنه ومن رضي عنه
فهو في سعادة عيش وراحة بال وطمأنينة نفس لا تساويها الدنيا وما فيها.

وسوف نذكر في هذه الخطبة إن شاء الله سببا من أهم الأسباب الموصلة

(1) [البقرة: 152].

(2) [الرعد: 29].

(3) صحيح البخاري (6407).

(4) [النساء: 131].

إلى محبة الله تعالى.

أيها المؤمنون: هذا السبب سهل المنال لمن وفقه الله تعالى، يقدر عليه كل إنسان مالم يغوه ويشغله الشيطان، سبب تترتب عليه الأجور العظيمة والمنافع الجسيمة والدرجات العالية.

سبب من لزمه نال محبة الله تعالى ورضاه، وكانت الجنة في الآخرة مأواه، هذا السبب هو ذكر الله تعالى.

أيها المؤمنون: بالذكر تُستدفع الآفات، وتُكشف الكربات، وتهون المصيبات، **قال جَلَّ وَعَلَا** عن يونس **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾⁽¹⁾.

أي كان من الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح، فلولا أنه كان كذلك للبت ميتا في بطنه إلى يوم البعث؛ إذ كان سيهضم كبقية الطعام، ولكن سبب كثرة ذكره وتسبيحه لله تعالى غيّرت له القوانين الكونية فلم يتعرض لأذى، فإذا نزل البلاء بأهل الذكر فإليه ملجؤهم، وإذا حلّت بهم النوازل فإليه مفزعهم، فهو رياض جتّتهم التي فيها يتقلبون، ورؤوس أموال سعادتهم التي بها يتجرون.

يدع القلب الحزين ضاحكا مسرورا، ويوصل الذاكر إلى المذكور، بل يدع الذاكر مذكورا، **قال جَلَّ وَعَلَا**: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾⁽²⁾.

(1) [الصافات: 143، 144].

(2) [البقرة: 152].

الله أكبر، ما أعظمها من نعمة، وأكرمها من مزية، وأفضلها من خُلة الله، يذكرك يا من تذكره، يذكرك رب الأرض والسماء، يذكرك في الملاء الأعلى بالفضل والثناء، قال تعالى في الحديث القدسي كما في حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلى بشبر تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلى ذراعا تقربت إليه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة" (1).

فإذا كان مجرد الذكر النفسي مقتضيا للثواب، فكيف بالذكر اللساني؟ فهو أفضل وأكمل، ولو لم يكن في الذكر إلا هذه الخصلة وحدها لكفى بها شرفا وفضلا.

أيها المؤمنون: الذكر جلاء القلوب وصِّقالها، ودواؤها إذا غشيها اعتلالها، وكلما ازداد الذاكر في ذكره استغراقا ازداد المذكور محبة إلى لقاءه واشتياقا، وإذا واطأ في ذكره قلبه لسانه نسي في جنب ذكره كل شيء، وحفظ الله عليه كل شيء، وكان له عوضا من كل شيء.

عن أبي سعيد الخدري **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، أن رجلا جاء فقال: أوصني. فقال: سَأَلْتُ عَمَّا سَأَلْتُ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَبْلِكَ أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهُ رَأْسُ كُلِّ شَيْءٍ وَعَلَيْكَ بِالْجِهَادِ فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةُ الْإِسْلَامِ، وَعَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ

(1) صحيح البخاري (7405).

رُوحُكَ فِي السَّمَاءِ وَذِكْرُكَ فِي الْأَرْضِ»⁽¹⁾.

والذكر -أيها المؤمنون- باب الله الأعظم المفتوح بين الرب والعبد مالم يغلقه العبد بغفلته.

قال بعض السلف: المحب لا يجد مع حب الله للدنيا لذة، ولا يغفل عن ذكر الله طرفة عين⁽²⁾.

وذكر الله -أيها المؤمنون- يعدل عتق الرقاب والحمل على الخيل في سبيل الله **عَزَّوَجَلَّ**، ويعدل الصدقات، بل قد يفوقها، وهو خير الأعمال على الإطلاق.

عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال النبي **ﷺ**: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟» قالوا: بلى. قال: «ذكر الله تعالى» قال معاذ بن جبل: «ما شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله»⁽³⁾.

قال الإمام الشوكاني: قوله: (بخير أعمالكم) فيه دليل على أن الذكر خير الأعمال على العموم كما يدل عليه إضافة الجمع إلى الضمير، وكذلك إضافة أزكى وأرفع إلى ضمير الأعمال والزكاء والنماء والبركة فأفاد كل ذلك أن الذكر

(1) مسند أحمد (11774).

(2) جامع العلوم والحكم (2/340).

(3) سنن الترمذي (3377).

أفضل عند الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** من جميع الأعمال التي يعملها العباد، وأنه أكثرها نماء وبركة وأرفعها درجة.

وفي هذا ترغيب عظيم فإنه يدخل تحت الأعمال كل عمل يعملُه العبد كائناً ما كان (1).

وبالذكر - إخواني المسلمين - تُحْط الأوزار وتُكفر السيئات، وهو سبب لرفع الدرجات وعلو المنازل عند رب الأرض والسموات، فما رُفعت درجات العبد بمثل ذكر الله تعالى ولا كُفِّرَت السيئات بمثل ذكره.

تأملوا معي هذه الأحاديث:

عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، أن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، قال: "من قال: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، في يوم مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومُحِيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به، إلا أحد عمل أكثر من ذلك" (2).

وعن مصعب بن سعد، حدثني أبي قال: كنا عند رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فقال: «أيعجز أحدكم أن يكسب، كل يوم ألف حسنة؟» فسأله سائل من جلسائه: كيف يكسب أحدنا ألف حسنة؟ قال: «يسبح مائة تسبيحة، فيكتب له ألف حسنة، أو

(1) تحفة الذاكرين (ص 17).

(2) صحيح البخاري (3293).

يحط عنه ألف خطيئة»⁽¹⁾.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله العظيم، سبحان الله وبحمده»⁽²⁾.

وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من سبح الله مائة بالغداة ومائة بالعشي كان كمن حج مائة حجة، ومن حمد الله مائة بالغداة ومائة بالعشي كان كمن حمل على مائة فرس في سبيل الله، أو قال غزا مائة غزوة، ومن هلك الله مائة بالغداة ومائة بالعشي كان كمن أعتق مائة رقبة من ولد إسماعيل، ومن كبر الله مائة بالغداة ومائة بالعشي لم يأت في ذلك اليوم أحد بأكثر مما أتى إلا من قال مثل ما قال أو زاد على ما قال»⁽³⁾.

وعن أم هانئ بنت أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: مرَّ بي ذات يوم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقلت: يا رسول الله: إني قد كُبرْتُ وَضَعُفْتُ فمرني بعمل أعمله وأنا جالسة، قال: "سبحي الله مئة تسبيحة، فإنها تعدل لك مئة رقبة تعتقنها من ولد إسماعيل، واحمدي الله مئة تحميدة، فإنها تعدل لك مئة فرس مسرجة ملجمة، تحملين عليها في سبيل الله، وكبري الله مئة تكبيرة فإنها تعدل لك مئة بدنة مقلدة

(1) صحيح مسلم (2698).

(2) البخاري (6406).

(3) سنن الترمذي (3471).

متقبلة، وهللي الله مائة تهليلة " قال ابن خلف: أحسبه قال: " تملأ ما بين السماء والأرض، ولا يرفع يومئذ لأحد مثل عملك إلا أن يأتي بمثل ما أتيت به "(1).

وعن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، عن رسول الله **ﷺ**: «من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين، وحمد الله ثلاثا وثلاثين، وكبر الله ثلاثا وثلاثين فتلك تسعة وتسعون. وقال تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، غفرت خطاياهم وإن كانت مثل زبد البحر» (2).

رزقنا الله وإياكم حلاة ذكره، ودوام شكره، وحسن عبادته، وجميل خاتمته، أقول ما سمعتم، وأستعفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

(1) مسند أحمد (26911).

(2) صحيح مسلم (597).

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي جعل ذكره من أفضل العبادات وأكثرها أجورا، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، **أما بعد:**

أيها المؤمنون: إن ذكر الله أفضل ما ادّخره المسلم لحياته ومعاده، وأفضل ما اكتنزه المسلم لفوزه ونجاته، وأعظم ما اكتسبه الإنسان في حياته وبعد مماته، فهو غنيمة سهلة المنال، فهل أنا أنت -أخي المسلم- من الفائزين به أم من الغافلين عنه؟

قال عمر الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ذهب الذاكرون بالخير كله ⁽¹⁾.

وقال يحيى بن معاذ رَحِمَهُ اللَّهُ: "يا غفول يا جهول لو سمعت صرير الأقلام في اللوح المحفوظ وهي تكتب اسمك عند ذكرك لَمُتَّ شوقا إلى مولاك" ⁽²⁾، قال الله تعالى: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ ⁽³⁾.

فهنيئا لمن أحبه الله تعالى، وعجبا لمن استشعر هذه المحبة وفرط فيها، ولهذا قيل: **المحب عبد ذاهب عن نفسه، متصل بذكر ربه، قائم بأداء حقوقه،**

(1) الزهد لابن المبارك (1/ 501).

(2) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب (8/ 206).

(3) [العنكبوت: 45].

ناظر إليه بقلبه، أحرقت قلبه أنوار هيئته، فإن تكلم فبالله، وإن نطق فعن الله، وإن تحرك فبأمر الله، وإن سكت فمع الله⁽¹⁾.

أيها المؤمنون: من شاء أن يسكن رياض الجنة في الدنيا قبل الآخرة فعليه بالذكر ومجالس الذكر، **فعن** جابر بن عبد الله **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** قال: خرج علينا النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ لِلَّهِ سَرَايَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ تَحِلُّ وَتَقِفُ عَلَى مَجَالِسِ الذِّكْرِ فِي الْأَرْضِ، فَارْتَعُوا فِي رِيَاضِ الْجَنَّةِ». قَالُوا: وَأَيْنَ رِيَاضِ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: «مَجَالِسُ الذِّكْرِ، فَاعْبُدُوا وَرَوْحُوا فِي ذِكْرِ اللَّهِ، وَذَكِّرُوهُ أَنْفُسَكُمْ مَنْ كَانَ يُحِبُّ أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَتَهُ عِنْدَ اللَّهِ فَلْيَنْظُرْ كَيْفَ مَنْزِلَتُهُ اللَّهُ عِنْدَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ يُنْزِلُ الْعَبْدَ مِنْهُ حَيْثُ أَنْزَلَهُ مِنْ نَفْسِهِ»⁽²⁾.

أخي المسلم: **عن** معاذ بن جبل **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قال: سألت رسول الله **ﷺ** أي الأعمال أحب إلى الله تعالى؟ قال: "أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله"⁽³⁾.

أخي المسلم: **عن** أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، عن النبي **ﷺ** قال: «ما جلس قوم مجلسا، فتفرقوا عن غير ذكر، إلا تفرقوا عن مثل جيفة حمار، وكان ذلك المجلس عليهم حسرة يوم القيامة»⁽⁴⁾.

(1) مدارج السالكين (3/ 381).

(2) المستدرک للحاکم (1820).

(3) صحيح ابن حبان (818).

(4) مسند أحمد (10680).

وقال مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ: ما جلس قوم مجلسا، فتفرقوا قبل أن يذكروا الله، إلا تفرقوا عن أنتن من ريح الجيفة، وكان مجلسهم يشهد عليهم بغفلتهم، وما جلس قوم مجلسا، فذكروا الله قبل أن يتفرقوا، إلا تفرقوا عن أطيّب من ريح المسك، وكان مجلسهم يشهد لهم بذكرهم ⁽¹⁾.

وقال بعض السلف: يُعرض على ابن آدم يوم القيامة ساعاتُ عمره، فكل ساعة لم يذكر الله فيها تتقطع نفسه عليها حسرات ⁽²⁾.

فيا أيها المؤمن: اقترب إلى الله بكثرة ذكره، وقو إيمانك بذكر الله، وأحسن أعمدة يقينك بذكر الله، واغسل دَرَنَ ذنبك بذكر الله.

أخيرا:

إن الله تعالى يقول: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ ⁽³⁾، فهل تريد المغفرة والأجر العظيم؟

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: **الذاكرون الله كثيرا والذاكرات** يذكرون الله في أدبار الصلوات، وغدوا وعشيا، أي صباحا ومساء، وفي المضاجع أي عند النوم، وكلما استيقظ من نومه، وكلما غدا أو راح من منزله، أي في دخوله وخروجه ⁽⁴⁾، والمعنى أنهم يذكرون الله في جميع أحوالهم.

(1) جامع العلوم والحكم (1/ 338).

(2) جامع العلوم والحكم (1/ 338)؟

(3) [الأحزاب: 35].

(4) الأذكار للنووي (ص 40).

وقال العلامة ابن الصلاح: إذا واظب المسلم على الأذكار المأثورة الثابتة صباحاً ومساءً، وفي الأوقات والأحوال المختلفة ليلاً ونهاراً كان من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات ⁽¹⁾.

اللهم أيقظنا من نوم الغفلة، ونبهنا لاغتنام أوقات المهلة، ووفقنا لمصالحنا، واعصمنا من قبائحنا وذنوبنا، ولا تؤاخذنا بما انطوت عليه ضمائرنا وأكنته سرائرنا، واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(1) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب (7 / 17).



فضل أذكار الصباح والمساء (1)

الخطبة الأولى

الحمد لله القائل: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾⁽¹⁾، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾⁽²⁾، **وأشهد** أن محمدا عبده ورسوله، الذي قال الله تعالى فيه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾⁽³⁾، **وأصحابه** عليهم السلام أجمعين، **أما بعد:**

فاتقوا الله عباد الله بفعل الطاعات وترك المنكرات فهي السعادة في الحياة وبعد الممات ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾⁽⁴⁾.

أيها المؤمنون: إن ذكر الله تعالى نعمة كبرى، ومنة عظيمة، وفي المحافظة على ذكر الله تعالى خير في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وبذكر الله تستجلب النعم،

(1) [آل عمران: 41].

(2) [الأحزاب: 42].

(3) [الأحزاب: 21].

(4) [البقرة: 48].

وتخف الذنوب، وبه يطمئن القلب، وتسعد النفس، وينشرح الصدر، وبه تستمد القوة والثبات، وتزول الهموم والصعاب.

ألا وإن من ذكر الله تعالى أذكّار الصباح والمساء، فإنها تحوي من الخير العميم، والنفع العظيم، والبركة لقائلها ما لا يمكن أن يحيط بها إنسان أو يعبر عنها لسان.

فأذكّار الصباح والمساء بمثابة الدرع كلما زادت سماكته لم يتأثر صاحبه، بل تصل قوة الدرع أن يعود السهم فيصيب من أطلقه.

وأذكّار الصباح والمساء لمن حافظ عليها متأملاً فيها حصن حصين ودرع متين، وأجر كبير وثواب عظيم ونعيم مقيم لا يعرفه إلا من حافظ عليه، ولا يدرك أثره إلا من داوم عليه، ولا يعرف تأثيره إلا من تأمل فيه، فمن أراد السلامة والغنيمة فعليه بهذه الأذكّار.

وسنذكر في هذه الخطبة بعضها فقط مع التأمل فيها.

الحديث الأول:

عن شداد بن أوس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: "سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء لك بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت" قال: «ومن قالها من النهار موقفاً بها، فمات من يومه قبل أن يمسي، فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو

موقن بها، فمات قبل أن يصبح، فهو من أهل الجنة»⁽¹⁾.

الله، ما أعظمه من ذكر، ليس بين صاحبه والجنة إلا أن يموت.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذا من أجل أنواع المعارف وأنفعها للعبد؛ ولذلك كان سيد الاستغفار: "اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني، وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي، فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت".

فضمن هذا الاستغفار الاعتراف من العبد بربوبيته وإلهيته وتوحيده، والاعتراف بأنه خالقه، العالم به، إذ أنشأه نشأة تستلزم عجزه عن أداء حقه وتقصيره فيه، والاعتراف بأنه عبده الذي ناصيته بيده وفي قبضته، لا مهرب له منه، ولا ولي له سواه. ثم التزام الدخول تحت عهده وهو أمره ونهيه الذي عهده إليه على لسان رسله، وأن ذلك بحسب استطاعتي، لا بحسب أداء حقك فإنه غير مقدور للبشر، وإنما هو جهد المقل وقدر الطاقة؛ ومع ذلك فأنا مصدق بوعدك الذي وعدته لأهل طاعتك بالثواب ولأهل معصيتك بالعقاب، فأنا مقيم على عهدك، مصدق بوعدك. ثم الاستعاذة والاعتصام بك من شر ما فرطت فيه من أمرك ونهيك، فإنك إن لم تُعْذِنِي من شره، وإلا أحاطت بي الهلكة، فإن إضاعة حقك سبب الهلاك. وأنا أقر لك وألتزم بنعمتك علي، وأقر وألتزم وأبْخَعُ أي أعترف بذنبي، فمنك النعمة والإحسان والفضل، ومني الذنب والإساءة.

(1) صحيح البخاري (6306).

فأسألك أن تغفر لي بمحو ذنبي، وأن تقيني من شره، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. فلهذا كان هذا الدعاء سيد الاستغفار، إذ هو متضمن لمحض العبودية.

فأي حسنة تبقى للبصير الصادق، مع مشاهدته عيوب نفسه وعمله، ومنة الله عليه؟ فهذا الذي يعطيه نظره إلى نفسه ونقصه... (1).

وسمي هذا الدعاء بسيد الاستغفار لأن السيد في الأصل الرئيس الذي يُقصد في الحوائج ويرجع إليه في الأمور، ولما كان هذا الدعاء جامعاً لمعاني التوبة كلها استعير له هذا الاسم، ولا شك أن سيد القوم أفضلهم، وهذا الدعاء أيضاً سيد الأدعية وهو الاستغفار.

الحديث الثاني:

عن عبد الله بن حبيب، عن أبيه، قال: خَرَجْنَا فِي لَيْلَةٍ مَطِيرَةٍ وَظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ نَطْلُبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي لَنَا، قَالَ: فَأَذْرَكْتُهُ، فَقَالَ: قُلْ، فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: قُلْ، فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، قَالَ: قُلْ، فَقُلْتُ، مَا أَقُولُ؟ قَالَ: قُلْ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، وَالْمُعَوَّذَتَيْنِ حِينَ تُمَسِّي وَتُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ" (2).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: والمقصود الكلام على هاتين السورتين وبيان عظيم منفعتهما، وشدة الحاجة بل الضرورة إليهما، وأنه لا يستغني عنهما أحد قط، وأن لهما تأثيراً خاصاً في دفع السحر والعين وسائر الشرور، وأن حاجة العبد إلى

(1) مدارج السالكين (1/ 237).

(2) سنن الترمذي (3575).

الاستعاذة بهاتين السورتين أعظم من حاجته إلى النَّفْس والطعام والشراب واللباس⁽¹⁾.

وقال أيضا: وفي المعوذتين: الاستعاذة من كل مكروه جملة وتفصيلا؛ فإن الاستعاذة من شر ما خلق تعم كل شر يُستعاذ منه، سواء كان في الأجسام أو الأرواح. والاستعاذة من شر الغاسق وهو الليل وآيته وهو القمر إذا غاب تتضمن الاستعاذة من شر ما ينتشر فيه من الأرواح الخبيثة التي كان نور النهار يحول بينها وبين الانتشار، فلما أظلم عليها الليل وغاب القمر انتشرت وعاثت، والاستعاذة من شر النفاثات في العقد يتضمن الاستعاذة من شر السواحر وسحرهن، والاستعاذة من شر الحاسد يتضمن الاستعاذة من النفوس الخبيثة المؤذية بحسدها ونظرها، والسورة الثانية تتضمن الاستعاذة من شر شياطين الإنس والجن، فقد جمعت السورتان الاستعاذة من كل شر.

ولهما شأن عظيم في الاحتراس والتحصن من الشرور قبل وقوعها، ولهذا أوصى النبي ﷺ عقبه بن عامر بقراءتهما عقيب كل صلاة، ذكره الترمذي في «جامعه»، وفي هذا سر عظيم في استدفاع الشرور من الصلاة إلى الصلاة، وقال: «ما تعوذ المتعوذون بمثلهما»⁽²⁾. وقد ذكر أنه ﷺ سحر في إحدى عشرة عقدة، وأن جبريل نزل عليه بهما، فَجَعَلَ كلما قرأ آية منهما انحلت عقدة، حتى انحلت

(1) بدائع الفوائد (2/ 199).

(2) اللفظ الذي ذكره هو في سنن النسائي (7796)، ولفظ الترمذي قريب منه (2902).

العُقْدَ كُلَّهَا، وكأنما نشط من عقال⁽¹⁾.

فما أعظم أثر هاتين السورتين لمن قرأهما بفهم لمعانيهما، مدركا لعظمة ذلك، خصوصا في تحصين الأطفال الصغار، فما حصن الأب أو الأم أطفالهما بمثل ذلك.

الحديث الثالث:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: مَنْ قَالَ حِينَ يُمَسِّي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ حُمَةٌ تِلْكَ اللَّيْلَةَ. قَالَ سُهَيْلٌ: فَكَانَ أَهْلُنَا تَعَلَّمُوهَا فَكَانُوا يَقُولُونَهَا كُلَّ لَيْلَةٍ فَلَدِغَتْ جَارِيَةٌ مِنْهُمْ فَلَمْ تَجِدْ لَهَا وَجَعًا⁽²⁾.

والحُمَةُ: هو السم، وقيل لدغة كل ذي سم، وكلمات الله هي القرآن، وقيل هو قوله: (كن فيكون)، **والتامات:** الكاملات.

وفي رواية أخرى: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَقِيتُ مِنْ

(1) زاد المعاد في هدي خير العباد (4/ 167)، وحديث أن النبي ﷺ سُحِرَ في صحيح البخاري (3268)، وفي صحيح مسلم (2189)، ولا تلتفت أخي المسلم بمن يشكك في وقوع ذلك، فإن السحر الذي حصل للنبي صلى الله عليه وسلم هو محصور في تخيل أمر محصور لا ما يتعلق بأمر الرسالة والنبوة والتبليغ، وإنما حصل له هذا السحر زيادة في بيان أن الله ينجيهِ من كل شر ومكره، وأنه لا يمكن لليهود أن يفعلوا به شيئا يضره فيدوم ذلك عليه لأن الله هو الذي يدافع عنه.

(2) سنن الترمذي (3604).

عَقَرَبٍ لَدَغْتَنِي الْبَارِحَةَ، قَالَ: "أَمَا لَوْ قُلْتَ، حِينَ أَمْسَيْتَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ تَضُرَّكَ" ⁽¹⁾.

قال أبو حاتم: لم تضرَّك، وظاهره أن الله تعالى يحفظه ولم يُصبه شيء من ذلك، ويحتمل أنه إذا أصيب لم تضره الإصابة، ويؤيد ذلك: (فَلِدَغَتْ جَارِيَةً مِنْهُمْ فَلَمْ تَجِدْ لَهَا وَجَعًا).

وظاهر فعل أبي هريرة أن الإنسان إذا لدغ فقالها بعد اللدغ يقيّن فإن أثر السم يذهب.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: واعلم أن الأدوية الإلهية تنفع من الداء بعد حصوله وتمنع من وقوعه، وإن وقع لم يقع وقوعاً مضراً وإن كان مؤذياً، والأدوية الطبيعية إنما تنفع بعد حصول الداء، فالتعوذات والأذكار إما أن تمنع وقوع هذه الأسباب وإما أن تحول بينها وبين كمال تأثيرها بحسب كمال المتعوذ وقوته وضعفه ⁽²⁾.

أَسْأَلُ اللَّهَ يجعلنا يوفقنا لذكره وحسن عبادته. أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه فيا فوز المستغفرين.

(1) صحيح مسلم (2709).

(2) الطب النبوي لابن القيم (ص: 143).

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي جعل الأذكار حصنا منيعا من الشرور والآفات، والصلاة والسلام على نبينا محمد سيد الذاكرين وأفضل الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

أيها المؤمنون: ومن أذكار الصباح والمساء وهو الحديث الرابع:

عن أبان بن عثمان بن عفان **رَحِمَهُ اللَّهُ** عن أبيه عثمان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ" ⁽¹⁾.

وفي رواية: "مَنْ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَمْ تَفْجَأْهُ فَاجِئَةٌ بَلَاءٍ حَتَّى اللَّيْلِ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُمْسِي، لَمْ تَفْجَأْهُ فَاجِئَةٌ بَلَاءٍ حَتَّى يُصْبِحَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ" ⁽²⁾ وفجأة البلاء: المصيبة غير المتوقعة.

والمعنى من قالها في الصباح يحفظه الله من كل ضرر مفاجئ حتى تغرب الشمس، **ومن قالها في المساء** يحفظه الله حتى يطلع الفجر.

(1) مسند أحمد (446).

(2) مسند أحمد (528).

قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ عن هذا الحديث: "هذا خبرٌ صحيحٌ، وقولٌ صادق علمنا دليلاً وتجربة، فإنني منذ سمعته عملت به فلم يضرني شيءٌ إلى أن تركته، فلدغتني عقربٌ بالمدينة ليلاً، فتفكرتُ فإذا أنا قد نسيت أن أتعوذ بتلك الكلمات" (1).

أيها المؤمنون: إن مما يحصل به الأمن والعافية والطمأنينة والسلامة من كل شر أن يستعين الإنسان بكلمات الله التامات من شر ما خلق ثلاث مرات صباحاً ومساءً، فهذه الأذكار والتعوذات من القرآن أو من السنة النبوية كلها من أسباب الحفظ والسلامة والأمن من كل سوء، فينبغي لكل مؤمن ومؤمنة الإتيان بها في أوقاتها، والمحافظة عليها بكل ثقة بالله وتصديق بوعد الله، فهو القائم على كل شيء، والقادر على كل شيء، لا إله غيره ولا رب سواه، بيده التصرف والمنع والضر والنفع، سبحانه وهو على كل شيء قدير.

اللَّهُمَّ أَلهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ، وَوَفَّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ لَهُ الصَّالِحِينَ من خَلْقِكَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

(1) انظر: الفتوحات الربانية لابن علان (3/ 100).



فضل أذكار الصباح والمساء (2)

الخطبة الأولى

الحمد لله القائل: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾⁽¹⁾، **وأشهد** أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾⁽²⁾، **وأشهد** أن نبينا محمدا عبده ورسوله، سيد الذاكرين، وإمام المتقين، صلى الله عليه وسلم وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فاتقوا الله - عباد الله - حق التقوى، فهي رفعة للعبد في الدنيا وسعادة له في الآخرة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾⁽³⁾.

أيها المؤمنون: تقدم معنا في خطبة سابقة الحديث عن أذكار الصباح والمساء وفضل بعض هذه الأذكار، وبقي بعض الأذكار نذكرها اليوم لعل الله أن ينفع بها قائلها والمستمعين.

(1) [الروم: 17].

(2) [البقرة: 152].

(3) [آل عمران: 102].

الحديث الأول:

عَنْ الْمُتَنَذِرِ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:
"مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ: رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، فَأَنَا الزَّعِيمُ
لَا أَخْذَنَّ بِيَدِهِ حَتَّى أَدْخِلَهُ الْجَنَّةَ" (1).

ما أعظم هذا الذكر لمن قاله لفظا وطبقه معنى.

أيها الأخوة: إن لهذا الذكر أبعادا إيمانية، وليست هي مجرد ألفاظ نقولها باللسان.

(رضيت بالله ربًّا): انظر حالك هل رضيت عن الله فيما أعطاك، وهل رضيت عنه فيما منعك، وهل رضيت فيما أصابك، فكل هذا من الرضا عن الله سبحانه.

(وبالإسلام دينًا): أي بأحكامه وأوامره، وبكل ما يتعلق بالإسلام قولًا وعملاً، كالحفاظ على الواجبات واجتناب المحرمات والابتعاد عن الشهوات المحرمة والشبهات المضلة.

(وبمحمد ﷺ نبيا): أي باتباع سنته ومحبه أصحابه وآل بيته، قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (2).

(1) صحيح الترغيب والترهيب (657).

(2) [آل عمران: 31].

فقضية الرضا قضية عميقة جدا، أن ترضى عن الله، وعن منهجه، وسنة نبيه ﷺ وتستوعبها، وترى فيهما الحق المطلق، وترى فيهما الخير العميم، أما من يرد معاني الآيات القرآنية بأهوائه، وينكر السنة النبوية بعقله فهذا لم يحقق هذا المعنى الذي تضمنه هذا الحديث.

الحديث الثاني:

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ وَإِذَا أَمْسَى: حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، سَبْعَ مَرَّاتٍ كَفَاهُ اللَّهُ مَا أَهَمَّهُ» (1).

ومعنى حسبي الله: أي: أن الله كافيني من كل ما أهمني.

لا إله إلا هو: أي: لا معبود بحق في هذا الوجود إلا الله.

عليه توكلت: التوكل اعتماد القلب على الله وحده وسكونه وعدم اضطرابه مع العمل بالأسباب، أي وثقت به وحده في جلب ما ينفع ودفع ما يضر وهو رب العرش العظيم أي هو مالك أعظم المخلوقات على الإطلاق.

وقد تضمن هذا الدعاء فوائد كثيرة منها:

- أهمية هذه الكلمات والمحافظة عليها لما جاء في فضلها من السنة في الكفاية عن كل ما يهم العبد في دينه ودنياه.

(1) سنن أبي داود (5081).

- أن على العبد أن يستفرغ كل ما في وسعه من الأسباب الشرعية وغيرها في تحقيق مقصوده ثم يتوكل.

- أن التوكل على الله من أسباب كفاية العبد كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾ (1).

فمن استشعر عظمة الله وقدرته، واستشعر رحمة الله وكرمه لم يلتفت إلى غير الله: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (2).

الحديث الثالث:

عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَدْعُ هَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ، حِينَ يُمْسِي، وَحِينَ يُصْبِحُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيْ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي» (3).

أيها الأخوة: هذا دعاء عظيم حري بكل مسلم ومسلمة أن يداوم عليه في الصباح والمساء.

(1) [الطلاق: 3].

(2) [الزمر: 36].

(3) سنن أبي داود (5074).

فَقُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ): العافية ليست محصورة في الشفاء من المرض كما يظن البعض، بل هي أوسع من ذلك، فالعافية تكون في الأمن مما يخافه الإنسان كما تكون في صحة البدن كما تكون في العيش السعيد. وقد تكون العافية في أصدقاء طيبين تحصل بهم الطمأنينة والراحة، أو تكون في نومة هنيئة مع صحة بدن، أو تكون في كلمات جميلة تقرأها أو تسمعها من شخص يسر خاطرك ويفرج همك، أو ذكر الله أو تلاوة القرآن الكريم. وقد تكون العافية في حنان أم أو عطف أب، أو دعاء منهم لك ولذريتك بالخير والبركة.

وقد تكون العافية في زوجة صالحة تسعدك في الدنيا والآخرة، أو في ولد صالح يدعو لك في حياتك وبعد موتك، فالعافية واسعة الأرجاء، متعددة المعاني والأنحاء، وعليها بتنميتها بالإيمان والعمل الصالح، والمحافظة على مثل هذه الأذكار والأدعية.

وَمِنْ أَعْظَمَ وَأَعَزَّ أَنْوَاعِ الْعَافِيَةِ بعد سلام دين الإسلام الصحة والأمن، قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:** «من أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في جسده، عنده طعام يومه، فكأنما حيزت له الدنيا»⁽¹⁾.

مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدِهِ بِنِعْمَةٍ أَوْفَى مِنَ الْعَافِيَةِ
وَكُلُّ مَنْ عُوْفِي فِي جِسْمِهِ فَإِنَّهُ فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ

(1) سنن الترمذي (2346).

وَأَسْعَدُ الْعَالَمَ بِالْمَالِ مَنْ أَذَاهُ لِلْآخِرَةِ الْبَاقِيهِ
مَا أَحْسَنَ الدُّنْيَا وَلَكِنَّهَا مَعَ حُسْنِهَا غَدَارَةٌ فَإِنَّهُ (1)

أيها المؤمنون: وعودةً إلى الحديث السابق، جاء في الحديث السابق أيضاً من الدعاء: **(اللهم إني أسألك العفو)**: والعفو هو ستر الذنوب والتجاوز عنها من غير سابق عذاب أو مؤاخظة.

وفي الذكر أيضاً: **(اللهم استر عوراتي)**، وهن سوءة الإنسان، وكل ما يُستحيا منه، وهو عام لعورة البدن والأهل في الدنيا والآخرة، فلا يُرى فيه عيب مشين، ولا ذل مهين، ولا حاجة لمخلوق تذهب بها مروءته، وهكذا في الأهل والولد.

(وَأَمِنْ رُوعَاتِي): والروعة هي الفزع والخوف.

(في ديني ونياي): العافية في الدين: السلامة من المعاصي والبدع، وعدم ترك ما يجب، وعدم التساهل في الطاعات.

(والعافية في الدنيا): السلامة من شرورها ومصائبها.

(وأهلي ومالي): أي طَلَبَ السلامة من الآفات التي تحصل في المال والأهل، ثم سأل الله الحفظ من جميع الجهات؛ لأن العبد بين أعدائه من شياطين الإنس والجن كالشاة بين الذئاب إذا لم يكن له حافظ من الله تعالى فماله من قوة.

(وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي): خص الاستعاذة بالعظمة عن

الاغتيال من تحته لأن اغتيال الشيء أخذه خفية، كأن يخسف به الأرض كما صنع بقارون أو بالغرق كما صنع بفرعون.

فهذا حديث عظيم ودعاء نافع للإنسان ينبغي المحافظة عليه والتأمل في معانيه.

الحديث الرابع:

عَنْ أَبِي عِيَّاشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَانَ لَهُ عِدَلُ رَقَبَةٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَكُتِبَ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَحُطَّ عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ، وَرُفِعَ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ، وَكَانَ فِي حِرْزٍ مِنَ الشَّيْطَانِ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنْ قَالَهَا إِذَا أَمْسَى كَانَ لَهُ مِثْلُ ذَلِكَ حَتَّى يُصْبِحَ" (1).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: فهذا حِرْزٌ عظيمُ النفع، جليل الفائدة، يسير سهل على من يسره الله تعالى عليه (2).

فلنحافظ عليه ابتغاء الثواب ورجاء النفع والتحسين وعموم الفائدة.

اللهم إنا نسألك التوفيق لما تحبه من الأعمال، ونسألك صدق التوكل عليك، وحسن الظن بك يا رب العالمين. أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(1) سنن أبي داود (5077).

(2) بدائع الفوائد (2/ 269).

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي جعل الأذكار فيها الأجور الكثيرة والحسنات الغزيرة،
والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، **أما بعد:**

ومن أحاديث أذكار الصباح والمساء أيضا وهو الحديث الخامس:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ جُوَيْرِيَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ، وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا أَيْ مَصْلَاهَا الَّذِي تَصْلِي فِيهِ فِي الْبَيْتِ، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى، وَهِيَ جَالِسَةٌ، فَقَالَ: «مَا زِلْتُ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكَ عَلَيْهَا؟» قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكَ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتُ مِنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ" (1).

هذا من أعظم الأحاديث التي فيها من الأجر العظيم والثواب الجزيل ما ليس له حصر ولا عدٌّ.

فقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (عدد خلقه): شامل لجميع ما في السموات والأرض في الدنيا والآخرة.

(ورضا نفسه): أي عدد من رضي الله عنهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ورضاه عنهم لا ينقضي ولا ينقطع.

(1) صحيح مسلم (2726).

(وزنة عرشه): أي زنة ما لا يعلم قدر وزنه إلا الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

(ومداد كلماته): معلومات الله ومقدوراته وهي لا تنحصر.

والمعنى: أن أجر هذه الكلمات لمن يقولها إذا قبلها الله تعالى غير محصور بعدد، فما أعظمه من ذكر، وما أقل كلماته وأعظم معانيه وثوابه.

الحديث السادس:

عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله **ﷺ**: "من قال: سبحان الله مائة مرة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها كان أفضل من مائة بدنة، ومن قال: الحمد لله مائة مرة قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها كان أفضل من مائة فرس يحمل عليها، ومن قال: الله أكبر مائة مرة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، كان أفضل من عتق مائة رقبة، ومن قال: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير مائة مرة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، لم يجيء يوم القيامة أحد بعمل أفضل من عمله إلا من قال قوله أو زاد" ⁽¹⁾.

كلمات يسيرة، وأجور كبيرة، وحسنات كثيرة، فشمروا بالمحافظة عليها فهي خير عظيم، وحصن حصين، وأجر عظيم من رب كريم رحيم.

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَثَبِّتْهَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَفِي الْآخِرَةِ، وَاجْعَلْنَا هَذَاهُ مُهْتَدِينَ وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَأَلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ.

(1) السنن الكبرى للنسائي (10588).

أَذْكَارُ النُّوْمِ

الخطبة الأولى

الحمد لله ولي من اتقاه، من اعتمد عليه كفاه، ومن لاذ به وقاه. أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وحيبيه وخليله ومصطفاه، صلى الله وبارك عليه، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته واهتدى بهداه إلى يوم الدين، أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله حق تقواه ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (1).

أيها المؤمنون: يقول **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:** ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمَعُونَ﴾ (2).

ويقول تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (3).

(1) [النساء: 1].

(2) [الروم: 23].

(3) [الزمر: 42].

ويقول تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (1).

أيها المؤمنون: إن في النوم معجزة عظمى، وآية كبرى، تشهد على عظمة الخالق سبحانه، وعلى بديع صنعه، معجزة لا نتفكر فيها وذلك لأننا تعودنا عليها فغفلنا عنها.

أيها المؤمنون: لتتقي الله ولنحرص على لزوم سنة رسول الله ﷺ، ولنعلم أننا لن ننال الخير إلا بذلك، ولن يعرف العبد حقيقة البركة في وقته وبدنه وماله حتى يلزم السنة النبوية، ويعمل بها، وليس الأمر خاصا بالواجبات بل في الآداب والمستحبات، كما أن الاستقامة عليها واللزوم لها ليس خاصا بشخص دون آخر ولا بجماعة أو حزب بل هي عامة لكل من قال الله فيهم: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (2).

لقد شرع الإسلام للنوم آدابا ينبغي مراعاتها والاهتمام بها؛ لأن فيها سعادة في الدنيا وأجرا في الآخرة.

ومن هذه الآداب:

أولاً: التوبة النصوح قبل المنام من كل الذنوب والآثام، ومن ذلك أن على الإنسان أن يصفى قلبه من الحقد والحسد قبل النوم، وكذلك قراءة شيء من

(1) [غافر: 61].

(2) [الحج: 78].

القرآن.

كما كان من هدي النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن يقرأ سورا وآيات، ولو اقتصر على سورة الملك فهو في خير كبير وأجر عظيم وثواب جزيل، فقد جاء في الحديث أنها شفعت لصاحبها حتى أدخلته الجنة، وهي من أسباب رفع عذاب القبر.

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "من قرأ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ كل ليلة؛ منعه الله **عَزَّجَلَّ** بها من عذاب القبر"، وكنا في عهد رسول الله ﷺ نسميها: (المانعة)، وإنها في كتاب الله **عَزَّجَلَّ** سورة من قرأ بها في كل ليلة، فقد أكثر وأطاب"⁽¹⁾.

ثانيا: وكذلك من الآداب والوصايا قبل النوم: المحافظة على أذكار النوم، وهو موضوع خطبتنا.

فمن أذكار النوم من القرآن الكريم:

ما جاء عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: "أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه، ثم نفث فيهما فقرأ فيهما: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات"⁽²⁾.

(1) عمل اليوم والليلة للنسائي (711).

(2) صحيح البخاري (5017).

ومن أذكار النوم أيضاً: قراءة الآيتين من آخر سورة البقرة، **فعن** أبي مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه»⁽¹⁾.

ومعنى كفتاه: أي من كل مكروه وشر في تلك الليلة.

وقراءة هذه الآية في أي وقت من أجزاء الليل من قرأها فقد حصل على ما ذكر في الحديث من الفضل والأجر.

ومن أذكر النوم آية الكرسي: هذه الآية هي أعظم آية في القرآن، وقد جَمَعَتْ من الفضل والخير وعظيم النفع ما لا يخفى لمن تأملها واطلع على الأحاديث والآثار الواردة فيها، ففي الحديث: "إذا أويت إلى فراشك فاقراً آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح"⁽²⁾.

وأما الأحاديث والآثار الواردة في أذكار النوم فمنها:

فعن البراء بن عازب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إذا أتيت مضجعك، فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجأ منك إلا إليك، اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنيك الذي

(1) صحيح البخاري (5009).

(2) صحيح البخاري (2311).

أرسلت، فإن مت من ليلتك، فأنت على الفطرة، واجعلن آخر ما تتكلم به" (1).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالنَّوْمُ أَخُو الْمَوْتِ - وَلِهَذَا يَسْتَحِيلُ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَأَهْلُ الْجَنَّةِ لَا يَنَامُونَ فِيهَا - كَانَ النَّائِمُ مُحْتَاجًا إِلَى مَنْ يَحْرُسُ نَفْسَهُ، وَيَحْفَظُهَا مِمَّا يَعْزِضُ لَهَا مِنَ الْآفَاتِ، وَيَحْرُسُ بَدَنَهُ أَيْضًا مِنْ طَوَارِقِ الْآفَاتِ، وَكَانَ رَبُّهُ وَفَاطِرُهُ تَعَالَى هُوَ الْمُتَوَلَّى لِذَلِكَ وَحْدَهُ. عَلَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّائِمَ أَنْ يَقُولَ كَلِمَاتِ التَّفْوِيزِ وَالْإِلْتِجَاءِ، وَالرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ، لِيَسْتَدْعِيَ بِهَا كَمَالَ حِفْظِ اللَّهِ لَهُ، وَحِرَاسَتِهِ لِنَفْسِهِ وَبَدَنِهِ، وَأَرْشَدَهُ مَعَ ذَلِكَ إِلَى أَنْ يَسْتَذْكِرَ الْإِيمَانَ، وَيَنَامَ عَلَيْهِ، وَيَجْعَلَ التَّكَلُّمَ بِهِ آخِرَ كَلَامِهِ، فَإِنَّهُ رُبَّمَا تَوَفَّاهُ اللَّهُ فِي مَنَامِهِ، فَإِذَا كَانَ الْإِيمَانُ آخِرَ كَلَامِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ، فَتَضَمَّنَ هَذَا الْهَدْيُ فِي الْمَنَامِ مَصَالِحَ الْقَلْبِ وَالْبَدَنِ، وَالرُّوحِ فِي النَّوْمِ وَالْيَقَظَةِ، وَالْدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَصَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَى مَنْ نَأَلَتْ بِهِ أُمَّتُهُ كُلَّ خَيْرٍ" (2).

ومعنى: (أسلمت نفسي إليك) أي جعلتها مُسلمة لك تسليم العبد المملوك نفسه لسيده.

(وفوضت أمري إليك) يوجب سكون القلب والرضا بما يقضيه سبحانه ويختاره للعبد.

(وألجأت ظهري إليك) يوجب الاعتماد عليه، والثقة به، والسكون إليه،

(1) صحيح البخاري (247).

(2) الطب النبوي لابن القيم - الفكر (ص: 190).

والتوكل عليه، فإن من أسند ظهره إلى ركن وثيق لم يخف السقوط.

فهذا من أعظم الأذكار والأدعية التي ينبغي للمسلم المحافظة عليها، وقد جمعت هذه الكلمات من التوكل على الله وتفويض الأمر إليه والثقة به شيئاً عظيماً.

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من تعارَّ من الليل، فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: اللهم اغفر لي، أو دعا، استجيب له، فإن توضأ وصلى قبلت صلاته" (1).

وقوله في الحديث: "مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ" أي: استيقظ من نومه ليلاً.

وقد بدأ صلى الله عليه وسلم هؤلاء الكلمات بكلمة التوحيد "لا إله إلا الله" مؤكداً معناها وما دلَّت عليه بقوله: "وحده لا شريك له"؛ لأنَّ (لا إله إلا الله) فيها ركنان عظيمان هما النَّفْيُ والإثبات، النَّفْيُ في قوله: "لا إله" وهو نفي للعبودية عن كلِّ مَنْ سِوَى الله، والإثبات في قوله: "إلا الله"، وهو إثبات للعبودية بكلِّ معانيها لله **عَزَّوَجَلَّ**، وقد أكَّد هذين الأمرين بقوله: "وحده لا شريك له"، فقوله "وحده" فيه تأكيد للإثبات، وقوله: "لا شريك له" وفيه تأكيد للنَّفْيِ أيضاً، وفي هذا دلالة على أهمية التوحيد والبدء به وتقديمه على ما سواه، والتأكيد على العناية بفهم معناه والقيام بمدلوله وتطبيق مقتضاه.

ثم قال: "لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"، وهذه براهين

(1) صحيح البخاري (1154).

التوحيد ودلائله، فالذي له التوحيد الخالص هو المالك للملك، المستحق للحمد، القدير على كل شيء، ومن سواه لا يستحق من العبادة شيئاً.

وعن علي رضي الله عنه، أن فاطمة عليها السلام، شكت ما تلقى من أثر الرحا، فأتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم سبي، فانطلقت فلم تجده، فوجدت عائشة فأخبرتها، فلما جاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخبرته عائشة بمجيء فاطمة، فجاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلينا وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبت لأقوم، فقال: «على مكانكما». فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري، وقال: «ألا أعلمكما خيراً مما سألتما، إذا أخذتما مضاجعكما تكبرا أربعا وثلاثين، وتسبحا ثلاثاً وثلاثين، وتحمداً ثلاثاً وثلاثين خير لكم من خادم»⁽¹⁾.

ومن اعتاد التسبيح قبل نومه أعطي نشاطاً وقوة في قضاء حاجاته وقوة في عبادته، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه-: بلغنا أنه من حافظ على هذه الكلمات لم يأخذه إعياء فيما يعانیه من شغل غيره⁽²⁾.

والحديث يدل على أن الذي يلزم ذكر الله يعطي قوة أعظم من القوة التي يعملها له الخادم، أو تسهل الأمور عليه بحيث يكون تعاطيه أموره أسهل من تعاطي الخادم لها.

وقال علي القاري رحمه الله: وكان قراءة هذه الأذكار عند المنام تزيل تعب

(1) صحيح البخاري (3705).

(2) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص 97).

خدمة النهار والآلام (1).

فمن أراد البركة في ليله والنشاط في جسمه فعليه بالمحافظة على التسبيح والتحميد والتكبير قبل نومه.

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله - ﷺ - كان يقول إذا أخذ مضجعه: "الحمد لله الذي كفاني وآواني، وأطعمني وسقاني، والذي منّ عليّ فأفضل، والذي أعطاني فأجزل، الحمد لله على كلّ حال، اللهم ربّ كلّ شيء ومليكه، وإله كلّ شيء، أعوذ بك من النار" (2).

وهذا دعاء عظيم جمع فيه النبي ﷺ بين خير الدنيا والآخرة.

أيها المؤمنون: فهذه بعض الأذكار التي تقال قبل النوم وفيها أجور عظيمة وعطايا جزيلة، فينبغي المحافظة عليها.

كما ينبغي للمؤمن الحفاظ على الوضوء قبل النوم، فعن معاذ بن جبل، عن النبي ﷺ قال: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَبِيتُ عَلَى ذِكْرِ، طَاهِرًا، فَيَتَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ، فَيَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ" (3).

أسأل الله أن يوفقنا وإياكم لطاعته، وأن يرزقنا لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا، أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(1) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (4/ 1658).

(2) سنن أبي داود (5058).

(3) سنن أبي داود (5042).

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي أنعم على عباده بنعم عظيمة، وآلاء كريمة، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، **أما بعد:**

أيها المؤمنون: إن المحافظة على الأذكار النبوية تعتبر حصنا حصينا للمسلم من كثير من الآفات والمصائب، مع ما فيها من الأجور العظيمة والحسنات الكثيرة، سواء كانت أذكار النوم التي تحدثنا عنها في هذه الخطبة، أو أذكار الصباح والمساء وغيرها من الأذكار، فهي جالبة للسعادة الروحية، وهي سبب للبركة في العيش والرزق، وسبب لطرد الهموم والوساوس وغيرها من الفوائد التي لا يحصرها عد ولا يحصيها أحد، ولكم أن تتأملوا هذا الحديث العظيم في فضل الأذكار عموما، **جاء في سنن الترمذي رَحِمَهُ اللهُ، عن أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال:** قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أُبَيِّنُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعُهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرَ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرَقِ، وَخَيْرَ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقُوا عَدُوَكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟» قالوا: بلى. قال: «ذكر الله تعالى» قال معاذ بن جبل: «ما شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله»⁽¹⁾.

قال الإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ: فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الذِّكْرَ خَيْرُ الْأَعْمَالِ عَلَى الْعُمُومِ كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ إِصْطَفَاةُ الْجَمْعِ إِلَى الضَّمِيرِ، وَكَذَلِكَ إِصْطَفَاةُ أَزْكَى وَأَرْفَعَ

(1) سنن الترمذي (3377).

إِلَى ضَمِيرِ الْأَعْمَالِ، وَالزَّكَاءَ النَّمَاءَ وَالْبَرَكَهَ، فَأَفَادَ كُلَّ ذَلِكَ أَنَّ الذِّكْرَ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** مِنْ جَمِيعِ الْأَعْمَالِ الَّتِي يَعْمَلُهَا الْعِبَادُ، وَأَنَّهُ أَكْثَرُهَا نَمَاءً وَبَرَكَهَ وَأَرْفَعُهَا دَرَجَةً، وَفِي هَذَا تَرْغِيبٌ عَظِيمٌ فَإِنَّهُ يَدْخُلُ تَحْتَ الْأَعْمَالِ كُلِّ عَمَلٍ يَعْمَلُهُ الْعَبْدُ كَائِنًا مَا كَانَ ⁽¹⁾.

وفي الختام أيها المؤمنون: وصية لنا جميعا:

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: فينبغي للمرء أن لا يزهد في قليل من الخير أن يأتيه، ولا في قليل من الشر أن يجتنبه، فإنه لا يعلم الحسنه التي يرحمها الله بها، ولا السيئه التي يسخط عليه بها ⁽²⁾.

فلنعمل بهذه الأذكار والوصايا لعل الله أن ينفعنا بها.

اللهم توفنا مسلمين، وألحقنا بعبادك الصالحين، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، برحمتك يا أرحم الراحمين.

(1) تحفة الذاكرين (ص 18).

(2) فتح الباري (11 / 328).



المداومة على الأعمال الصالحة

الخطبة الأولى

الحمد لله القائل: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾⁽¹⁾، **وأشهد** أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾⁽²⁾، **وأشهد** أن محمدا عبده ورسوله القائل كما في الصحيحين: «أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها، وإن قل»⁽³⁾، صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾⁽⁴⁾.

أيها المؤمنون: إن الأعمال الصالحة والمداومة عليها وعدم التساهل بها والتفريط فيها سبب للحياة السعيدة والعيشة الهنيئة والحياة الطيبة والخاتمة الحسنة: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْشَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً

(1) [الكهف: 110].

(2) [مريم: 76].

(3) صحيح البخاري (6465)، صحيح مسلم (783).

(4) [آل عمران: 102].

وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١﴾.

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وقد ضمن الله سبحانه لكل من عمل صالحاً أن يحييه حياة طيبة، فهو صادق الوعد الذي لا يخلف وعده ^(٢). **وقال أيضاً:** وَطِيبُ الْحَيَاةِ جَنَّةُ الدُّنْيَا، **قال تعالى:** ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ ^(٣)، فأَيُّ نعيمٍ أطيب من شرح الصدر؟ وأيُّ عذابٍ أَمَرُّ من ضيق الصدر؟ ^(٤).

إن حياة القلب ونعيمه وبهجته وسروره يكون بالإيمان بالله وبمعرفة الله ومحبته والإنابة إليه والتوكل عليه، ومن كان كذلك فلا حياة أطيب من حياته، ولا عيش أهنأ من عيشه، ولا سعادة أفضل من سعادته، ولا نعيم فوق نعيمه إلا نعيم الجنة، كما كان بعض العارفين بالله تعالى يقول: إنها لتمر بي ساعات أقول إن كان أهل الجنة في مثل ما أنا فيه إنهم لفي عيش طيب ^(٥).

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: ومعلومٌ أنَّ أهل الجنة في أضعافٍ أضعافٍ ما هو فيه من النعيم واللذة.

ولكنَّه لما استعظمَ ما حصلَ له من النعيم ظنَّ أنه ليس وراءَهُ شيءٌ، وعند

(١) [النحل: ٩٧].

(٢) الداء والدواء (ص: ١٨٤).

(٣) [الأنعام: ١٢٥].

(٤) الداء والدواء (ص: ١٩٧).

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٠ / ٦٤٧).

التحقيق يتبين أنَّ ما حصل في الدنيا للقلوب من تجلِّي أنوار الإيمان يدلُّ على عظمة ما يحصل في الجنة⁽¹⁾.

وإذا كانت حياة القلب حياة طيبة تبعته حياة الجوارح، وفي المقابل فإن التفريط بالواجبات والتقصير في الفرائض والطاعات، والوقوع في الذنوب والمحرمات، والتساهل في الزلات والخطيئات، سبب لتعاسة الحياة، وسوء العيش، وضيق النَّفس، وحرمان السعادة، والبعد عن الحياة الطيبة، وصدق الله القائل: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ قَالَ رَبُّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا⁽²⁾.

أيها المؤمنون: ألا وإن من أفضل الحياة الطيبة وأعلاها، وأعظمها وأجملها المحافظة على الأعمال الصالحة، والمداومة على الفرائض والواجبات، والابتعاد عن الذنوب والمحرمات، وامتنال أوامر الله تعالى.

ألا وإن للمداومة على الأعمال الصالحة والمحافظة عليها وعدم التفريط فيها فضلا عظيما، وخصائص جليلة، فتأملوا فيها لتكون عوناً لنا للإقبال على الله، وامتثال أوامر الله، والحذر من معصيته، **ومن ذلك:**

أولاً: أنها من صفات المؤمنين قال سبحانه: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾⁽³⁾.

(1) تفسير ابن رجب (2/ 61).

(2) [طه: 124، 125].

(3) [المعارج: 23].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ: أي: مداومون عليها في أوقاتها بشروطها ومكملاتها، وليسوا كمن لا يفعلها، أو يفعلها وقتاً دون وقت، أو يفعلها على وجه ناقص ⁽¹⁾.

فالمداومة على الصلاة في أوقاتها من صفات عباد الله المؤمنين.

واليوم كم أولئك الذين يتساهلون بهذه الفريضة العظيمة، تجد بعض المجالس الممتلئة بالناس ولا يقوم إلا البعض لأدائها، ويسكت الباقون ولا ينصحوهم، والله المستعان.

فانتبه يا من تقصر في الصلاة، فالذنب عظيم، والوعيد شديد، والعاقبة أليمة، وما أظنك يا من لا تحافظ على الصلاة يوم أن تحشر يوم القيامة مع صناديد الإجرام والكفر، **فقد قال النبي ﷺ:** «من حافظ عليها كانت له نورا وبرهاناً ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف» ⁽²⁾. **فانتبه يا من تقصر في الصلاة،** انتبه يا من تنام عن الصلاة، انتبه يا من تشغل بالعمل عن الصلاة.

ثانياً: ومن خصائص المداومة والمحافظة على الأعمال الصالحة: أن المداومة على الأعمال الصالحة وعدم التفريط فيها أحب الأعمال إلى الله

(1) تيسير الكريم الرحمن (ص: 887).

(2) مسند الإمام أحمد (6576).

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قال صلى الله عليه وسلم: "وإن أحب الأعمال إلى الله ما دام وإن قل" ⁽¹⁾.

ثالثاً: أن المحافظة على الطاعات وترك الذنوب والمحرمات امتثال لأمر الله عز وجل الذي خلقك ورزقك وأنعم عليك، فهل يليق وأنت عبد ضعيف، أمرك رب عظيم وإله كريم أن تقصر فيما أمرك أو تقع فيما نهاك، والله لو أحسن إليك إنسان وأكرمك مخلوق لجعلت تثني عليه وتشكره، فتأمل نعم الله عليك هل قابلتها بالشكر أم بالذنوب والعصيان؟!.

وللمحافظة على الأعمال الصالحة ثمرات يجدها الإنسان في حياته وفي قبره بعد مماته، وفي حشره يوم يقوم الناس لرب العالمين.

ومن هذه الثمرات أيها الأخوة:

أولاً: زيادة الإيمان، فكل عمل صالح تقدمه يزيد في الإيمان، وكل مجاهدة للنفس في عدم الوقوع في المعصية تزيد في الإيمان، وهذا من أعظم لذات الحياة وأحسنها لمن تأملها.

ثانياً: البعد عن الغفلة، وقد ذم الله الغفلة وأهلها، ونهى عن الاتصاف بها، فقال سبحانه: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ ⁽²⁾.

عن الحكم بن ميناء، أن عبد الله بن عمر، وأبا هريرة حدثاه «أنهما سمعا

(1) صحيح البخاري (5861).

(2) [الأعراف: 205].

رسول الله ﷺ يقول: على أعواد منبره لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات. أو لِيَخْتِمَنَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ. ثُمَّ لِيَكُونَنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ⁽¹⁾.

فالمداومة على الطاعات وقاية من الغفلة التي تقود إلى الهلاك والخسران.

قال العلامة ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: قال يحيى بن معاذ: الدنيا خَمْرُ الشيطان: من شربها لم يفق إلا بين عساكر الموتى، نادماً بين الخاسرين، قد ترك منها لغير ما جمع، وتعلق بحبل غرورها فانقطع، وقدم على من يحاسبه على الفتيل والنقير والقطمير، فيما انقرض عليه من الصغير والكبير، يوم تزل بالعصاة القدم، ويندم المسيء على ما قدم⁽²⁾.

وهذا الندم عند الموت لا ينفع، وهذه الحسرة لا تفيد.

ثالثاً: أنها سبب لمحبة الله تعالى، قال **عَزَّوَجَلَّ** في الحديث القدسي: "وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته"⁽³⁾ فهو موفق في هذه الجوارح بفعل الطاعات

(1) صحيح مسلم (865).

(2) مواظ ابن الجوزي (ص 67).

(3) صحيح البخاري (6502).

واجتناب المحرمات؛ لأن الله أحبه حين أقبل عليه فحفظه **جَلَّ وَعَلَا**، وتأمل كلمة (لا يزال) هذه فإنها تدل على ملازمة الاستقامة، والمعنى: أي هو مستمر، لا يزال يتقرب ويتقرب، ويقوم بالنوافل ويفعل، حتى يصل إلى تلك الدرجة العظيمة، والمنزلة الرفيعة، والمكانة العالية التي هي محبة الله تعالى له.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "فتضمن هذا الحديث الشريف الإلهي - الذي حرام على غليظ الطبع كَسِيفِ القلب فَهَمُّ معناه والمراد به - حَصَرَ أَسْبَابِ مَحَبَّتِهِ فِي أَمْرَيْنِ: أداء فرائضه، والتقرب إليه بالنوافل.

وأخبر سبحانه أن أداء فرائضه أحب ما يتقرب به إليه المتقربون، ثم بعدها النوافل، وأن المحب لا يزال يكثر من النوافل حتى يصير محبوباً لله ⁽¹⁾.

أخي الكريم، فإذا كنتَ ترجو محبة الله فإياك ثم إياك أن تقصر في أداء فرائضه، واحذر ثم احذر من معصيته ومخالفته.

رابعاً: ومن ثمرات المداومة والمحافظة على الأعمال الصالحة، أنها سبب للنجاة في الشدائد والهموم والمصائب. قال تعالى عن الشدة التي نزلت بيونس **عَلَيْهِ السَّلَامُ:** ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ ⁽²⁾.

ولهذا جاء في الحديث: "تَعَرَّفَ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ، يَعْرِفُكَ فِي الشَّدَّةِ" ⁽³⁾.

(1) الداء والدواء (ص: 184).

(2) [الصافات: 143، 144].

(3) مسند أحمد (2803).

وعن النعمان بن بشير **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** قال: قال رسول الله **ﷺ**: «إِنَّ الَّذِي تَذْكُرُونَ مِنْ جَلَالِ اللَّهِ، وَتَسْبِيحِهِ، وَتَحْمِيدِهِ، وَتَهْلِيلِهِ تَعَطَّفُ حَوْلَ الْعَرْشِ، لَهُنَّ دَوِيٌّ، كَدَوِيٍّ النَّحْلِ، يُذَكِّرْنَ بِصَاحِبِهِنَّ، أَفَلَا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ لَا يَزَالَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ شَيْءٌ يُذَكِّرُ بِهِ؟» (1).

فمن حفظ الله في صحته حفظه الله في مرضه وشدته، ومن راقب الله في خلوته وخطراته حرسه الله في حركاته وسكناته.

أَسْأَلُ اللَّهَ الْكَرِيمَ الْمَنَّانَ أَنْ يُوَفِّقَنَا وَإِيَّاكُمْ لِأَعْمَالِ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

(1) مسند أحمد (18388).

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين، **أما بعد:**

أيها المؤمنون: إن المحافظة على الأعمال الصالحة والمداومة عليها مع ما فيها من امتثال أوامر الله وما فيها من الحياة الطيبة في الدنيا فإنها سبب لحسن الخاتمة، وهي أمنية الجميع، والأعمال بالخواتيم، ومن عاش على شيء مات عليه، والنهاية لا بد آتية، والعاقل الحريص يعمل من أجل تحسينها وتأمينها لأنها فوز عظيم، وكلنا يبحث عن هذا الفوز قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (1).

وكذلك العكس فإن التفريط في الفرائض والوقوع في الذنوب والمعاصي وعدم التوبة منها والإقلاع عنها سبب لسوء الخاتمة: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (2).

فهل ترضى -أخي الكريم- أن يأتيك الموت وأنت مقصر في الفرائض أو

(1) [آل عمران: 185].

(2) [المؤمنون: 99، 100].

متهتك للمحرمات، واقع في الذنوب والخطيئات، منشغل بالمقاطع والمسلسلات، نائم عن صلاة الفجر ساهر مع التلفون إلى نصف الليل؟، هل ترضى لنفسك ذلك؟ إن كنت لا ترضى فبادر بالتوبة وأسرع بالأوبة، وأقلع عن الذنوب، وحافظ على الطاعات، فإنك كلما تقربت إلى الله بفعل الفرائض وترك الذنوب فإنك ستقترب من دار كرامته، وتنجو من عقابه وناره.

قال داود الطائي رَحِمَهُ اللَّهُ: إنما الليل والنهار مراحل، ينزلها الناس مرحلة مرحلة، حتى ينتهي بهم ذلك إلى آخر سفرهم، فإن استطعت أن تقدم في كل مرحلة زادا لما بين يديها فافعل، فإن انقطاع السفر عن قريب ما هو، والأمر أعجل من ذلك، فتزود لسفرك، وأقضي ما أنت قاضٍ من أمرك، فكأنك بالأمر قد بَغَتَكَ (1).

أخيراً: قال عمر بن ذر رَحِمَهُ اللَّهُ: اعْمَلُوا لِأَنْفُسِكُمْ رَحِمَكُمُ اللَّهُ فِي هَذَا اللَّيْلِ وَسَوَادِهِ، فَإِنَّ الْمَغْبُونِ مَنْ غِبِنَ خَيْرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَالْمَحْرُومِ مَنْ حُرِمَ خَيْرُهُمَا، إِنَّمَا جُعِلَ سَبِيلًا لِلْمُؤْمِنِينَ إِلَى طَاعَةِ رَبِّهِمْ، وَوَبَالًا عَلَى الْآخِرِينَ لِلْغَفْلَةِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ، فَأَحْيُوا لِلَّهِ أَنْفُسَكُمْ بِذِكْرِهِ، فَإِنَّمَا تَحْيَا الْقُلُوبُ بِذِكْرِ اللَّهِ، كَمْ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ فِي هَذَا اللَّيْلِ قَدْ اغْتَبَطَ بِقِيَامِهِ فِي ظُلْمَةِ حُفْرَتِهِ، وَكَمْ مِنْ نَائِمٍ فِي هَذَا اللَّيْلِ قَدْ نَدِمَ عَلَى طُولِ نَوْمِهِ عِنْدَمَا يَرَى مِنْ كَرَامَةِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْعَابِدِينَ غَدًا، فَاعْتَنِمُوا مَمَرَّ السَّاعَاتِ وَاللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ، رَحِمَكُمُ اللَّهُ" (2).

(1) الزهد لابن أبي الدنيا (ص 190).

(2) الزهد لابن أبي الدنيا (ص 195).

إِنَّ الرَّحِيلَ حَقِيقٌ فَاسْتَعِدَّ لَهُ
 بَادِرُ مَتَابِكَ يَا مَسْكِينُ فِي عَجَلٍ
 حَافِظٌ عَلَى الْخَمْسِ فِي الْأَوْقَاتِ إِنَّ
 طُوبَى لِعَبْدٍ تَقَى خَائِفٍ وَجَلٍ
 وَقَامَ بِاللَّيْلِ لِلرَّحْمَنِ مُبْتَهِلًا
 وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ عَنْ أَهْلِكَ مُرْتَحِلٌ
 لَا تَأْمَنَنَّ مِنَ الدُّنْيَا وَزَهْرَتِهَا
 أَيْنَ الْأَحَبَّةُ وَالْجِيرَانُ مَا صَنَعُوا
 أَيْنَ الْمُلُوكُ الَّذِي عَاشَرْتَهُمْ زَمْنَا
 أَيْنَ الْقُصُورُ الَّتِي كَانَتْ مُعَمَّرَةً
 أَيْنَ الْوُجُوهُ الَّتِي كَانَتْ مُنْعَمَةً
 صَارُوا جَمِيعًا إِلَى ضَيْقِ الْقُبُورِ وَقَدْ
 وَنَحْنُ عَمَّا قَلِيلٍ لَاحِقُونَ بِهِمْ
 وَقَدْ أَتَاكَ نَذِيرُ الشَّيْبِ فَارْذَجِرِ
 قَبْلَ الْمُنُونِ وَبَادِرُ فُسْحَةِ الْعُمُرِ
 فَضْلًا وَقُلْ يَا إِلَهِي نَجِّ مِنْ سَقَرِ
 خَافَ الذُّنُوبَ وَبَاعَ النَّوْمَ بِالسَّهَرِ
 يَتْلُو الْكِتَابَ وَدَمْعُ الْعَيْنِ كَالْمَطَرِ
 عَمَّا قَلِيلٍ لَبِيتِ الدُّودُ وَالْمَدَرِ
 لِأَنَّهَا كَسِرَاجٍ لَاحٍ لِلْبَصَرِ
 صَارُوا لَنَا خَبْرًا مِنْ أَعْظَمِ الْخَبَرِ
 صَارُوا جَمِيعًا إِلَى الْأَجْدَاثِ وَالْحَفَرِ
 حُصُونُهَا مِلَّتْ بِالْبُسْطِ وَالسُّرُرِ
 أَيْنَ الْخُدُودُ الَّتِي تَسِي أُولِي النَّظَرِ
 صَارَتْ مَحَاسِنُهُمْ مِنْ أَقْبَحِ الصُّورِ
 فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ وَاحْذَرْ غَايَةَ الْحَذَرِ (1)

أَسْأَلُ اللَّهَ الرَّحْمَنَ بِرَحْمَتِهِ وَالْكَرِيمَ بِكَرَمِهِ أَنْ يَثْبِتَنَا جَمِيعًا عَلَى دِينِهِ، وَأَنْ
 يُوفِقَنَا لَطَاعَتِهِ وَأَنْ يَسْتَعْمِلَنَا فِي مَرْضَاتِهِ.

(1) مجموعة القصائد الزهديات (2/ 409).



ثمرات الأعمال الصالحة

الخطبة الأولى

الحمد لله القائل: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ، فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً، وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾⁽¹⁾، **وأشهد** أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾⁽²⁾، **وأشهد** أن محمدا عبده ورسوله القائل: "أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ"⁽³⁾، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾⁽⁴⁾.

أيها المؤمنون: إن المحافظة على الأعمال الصالحات، والمداومة على الطاعات والقربات من صفات المتقين، وخلال المؤمنين، وأوصاف الفائزين، وهي دليل على قبول الحسنات، ورفعة الدرجات، قال **جَلَّ وَعَلَا** على لسان نبيه

(1) [النحل: 97].

(2) [النساء: 124].

(3) صحيح مسلم (783).

(4) [آل عمران: 102].

عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾⁽¹⁾. وأمر الله سيد المتقين وإمام العابدين بذلك فقال سبحانه: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾⁽²⁾.

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ عن هذه الآية أي: الموت، أي: استمر في جميع الأوقات على التقرب إلى الله بأنواع العبادات فامتثل النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَمَرَ ربه، فلم يزل دائباً في العبادة حتى أتاه اليقين من ربه ^{صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} تسليماً كثيراً⁽³⁾.

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن رسول الله ^{صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} قال: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ لَنْ يُدْخَلَ أَحَدُكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، وَأَنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ أَدْوَمُهَا إِلَى اللَّهِ وَإِنْ قَلَّ»⁽⁴⁾.

وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ^{صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} إِذَا عَمَلَ عَمَلًا أَثْبَتَهُ، وَكَانَ إِذَا نَامَ مِنَ اللَّيْلِ، أَوْ مَرَضَ، صَلَّى مِنَ النَّهَارِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً»⁽⁵⁾.

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وفيه الحث على المداومة على العمل، وأن قليله الدائم خير من كثيره المنقطع، لأن بدوام القليل تدوم الطاعة والذكر والمراقبة والنية والإخلاص والإقبال على الخالق **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، ويشمر القليل الدائم بحيث يزيد على الكثير المنقطع أضعافاً كثيرة⁽⁶⁾.

(1) [مريم: 31].

(2) [الحجر: 99].

(3) تفيير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: 435).

(4) صحيح البخاري (6464).

(5) صحيح مسلم (746).

(6) شرح النووي على مسلم (6/ 71).

وقال العلامة القسطلاني رَحِمَهُ اللهُ: ولا ريب أن المديم للعمل ملازم للخدمة فيكثر ترداده إلى باب الطاعة في كل وقت، فيجازى بالبر لكثرة تردده فليس هو كمن لازم الخدمة مثلاً ثم انقطع، وأيضاً فإن العامل إذا ترك العمل صار كالمعرض بعد الوصل فيتعرض للذم والجفاء⁽¹⁾.

أيها المؤمنون: اعلّموا رحمتنا الله وإياكم أن للمداومة على الأعمال الصالحة ثمراتٍ وفوائد كثيرة، **من ذلك:**

أولاً: زيادة الإيمان، وذلك أن الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، وكل طاعة تهدي إلى غيرها وكل معصية تجر غيرها.

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: من عمل طاعة من الطاعات وفرغ منها، فعلامة قبولها أن يصلها بطاعة أخرى، وعلامة ردّها أن يعقب تلك الطاعة بمعصية. ما أحسن الحسنه بعد السيئة تمحوها! وأحسن منها الحسنه بعد الحسنه تتلوها. وما أقبح السيئة بعد الحسنه تمحقها وتعفوها! ذنب واحد بعد التوبة أقبح من سبعين ذنباً قبلها⁽²⁾.

وقال عروة بن الزبير رَحِمَهُ اللهُ: «إِذَا رَأَيْتُ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْحَسَنَةَ فَاعْلَمْ أَنَّ لَهَا عِنْدَهُ أَخَوَاتٍ، فَإِنَّ الْحَسَنَةَ تَدُلُّ عَلَى أُخْتِهَا، وَإِذَا رَأَيْتُهُ يَعْمَلُ السَّيِّئَةَ فَاعْلَمْ أَنَّ لَهَا عِنْدَهُ أَخَوَاتٍ، فَإِنَّ السَّيِّئَةَ تَدُلُّ عَلَى أُخْتِهَا»⁽³⁾.

(1) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (9/ 267).

(2) لطائف المعارف لابن رجب (ص: 224).

(3) مصنف ابن أبي شيبة (35336).

ثانيا: ومن ثمرات المداومة على الطاعات الأمن من الغفلة، ولا يخفى على المسلم المحب لله تعالى أن الله سبحانه قد ذم الغفلة وأهلها فقال سبحانه: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (1).

إن الغفلة عن الله، وعن طاعة الله، تجلب الشيطان، وتسخط الرحمن، وتنزل الهموم، وتكثر الغموم، وتجري إلى المعاصي، فهل يرضى عاقل أن يكون كذلك.

إن الغفلة عن الطاعات وعدم المحافظة على الأعمال الصالحات حجاب عظيم على القلب، يجعل بين الغافل وبين ربه وحشة عظيمة لا تزول إلا بطاعة الله.

ثالثا: أن المداومة على الطاعات سبب لمحبة الله تعالى، **ففي الحديث القدسي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سميعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته" (2).

(1) [الأعراف: 205].

(2) صحيح البخاري (6502).

أيها الأخوة الفضلاء: إن محبة الله تعالى هي المنزل التي تنافس فيها المتنافسون، وعليها تفانى المحبون، وبروح نسيمها تروّح العابدون، فهي قوت القلوب، وغذاء الأرواح، وقرة العيون، وهي الحياة التي من حرمها فهو من جملة الأموات، والنور الذي من فقدته فهو في بحار الظلمات، والشفاء الذي من عُدته حلت بقلبه جميع الأسقام، واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام⁽¹⁾.

أخي الكريم، فهل ترضى لنفسك أن تفقد هذه النعم العظيمة، والسعادة العميمة بتركك للمداومة على الطاعات، والوقوع في المعاصي والمحرمات.

رابعاً: ومن ثمرات المداومة على الطاعات: أنها سبب للنجاة من الشدائد في الدنيا، قال الله عزَّوجلَّ عن يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾⁽²⁾.

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ أي: في وقته السابق بكثرة عبادته لربه، وتسبيحه، وتحميده، وفي بطن الحوت حيث قال: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، ﴿لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أي: لكانت مقبرته، ولكن بسبب تسبيحه وعبادته لله، نجاه الله تعالى، وكذلك ينجي الله المؤمنين، عند وقوعهم في الشدائد⁽³⁾.

خامساً: ومن ثمرات المداومة على الأعمال الصالحة: بقاء الأجر عند

(1) مدارج السالكين (3/ 365).

(2) [الصفات: 143، 144].

(3) تفسير السعدي (ص: 707).

العجز عنه. فعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا مرض العبد، أو سافر، كُتِبَ له مثل ما كان يعمل مقيما صحيحا»⁽¹⁾.

قال الحافظ ابن حجر: هذا في حق من كان يعمل طاعة فَمُنِعَ منها، وكانت نيته - لولا المانع - أن يدوم عليها⁽²⁾.

سادسا: ومن ثمرات المداومة على الأعمال الصالحة: حسن الخاتمة عند الموت، فالأعمال بخواتيمها، إن الصالحين من عباد الله ينظرون إلى الخاتمة بعين الاهتمام والاعتناء، خشية أن يتخطبهم الشيطان في آخر أيامهم وقبيل غروب شمس حياتهم، فيظنون عاملين خائفين وجلين، فالقلوب قد تتقلب، والنفوس أماراة بالسوء، وهي تتربص بالإنسان دوائر الشر، وفتن الشبهات والشهوات كثيرة تقف على كل طريق، والناجون قليل، والهالكون كثير، ومن أراد حسن الختام فليداوم على الأعمال الصالحة ولو كانت قليلة، وليقلع عن الأعمال السيئة، فإن جاء الموت جاءه على أحسن حال، وانتقل إلى ربه خير انتقال، انتقل الفرح المستبشر ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾⁽³⁾.

إن الاستمرار على الذنوب، والإدمان على المعاصي، والتفريط في الفرائض، يحول بين المسلم وبين حسن الخاتمة، فالمعصية قد تخون صاحبها

(1) صحيح البخاري (2996).

(2) فيض القدير (2/ 314).

(3) [آل عمران: 170].

وتحضره في أحلك الظروف وأشد المواقف، ولا أضرب على العبد من حضورها حين مغادرة الحياة الدنيا إلى الآخرة، ومن عاش على شيء مات عليه، والدنيا دار امتحان، والآخرة دار جزاء ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (1).

وفقنا الله وإياكم لكل خير وصرف عنا جميعا كل شر ومكروه، أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(1) [آل عمران: 185].

الخطبة الثانية

الحمد لله الرحيم الرحمن، والصلاة والسلام على محمد وعلى آله وأصحابه، فهم أهل الفضل والتقوى والإحسان، **أما بعد:**

أيها المؤمنون: قد يقول قائل: إني أريد المحافظة على الأعمال الصالحة، والمداومة على الطاعات النافعة، فما هي الأسباب المعينة على الثبات على ذلك؟

فالجواب: أيها الإخوة، هناك أسباب تعين في الثبات على المداومة على الطاعات، **ومن أهمها:**

أولاً: الاكثار من قراءة القرآن مع التأمل والتدبر، وأن يكون لك ورد يومي لا يمر عليك يوم إلا وقد قرأت شيئاً من القرآن، ولو قرأت من القرآن كما تقرأ في التلفون أو تشاهد في التلفاز كان خيراً كثيراً.

ثانياً: مجاهدة النفس وعدم الركون إلى شهواتها وملذاتها، لأن هذه الأمور تحتاج إلى صبر ومجاهدة، والله يقول: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾⁽¹⁾ ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾⁽²⁾.

(1) [العنكبوت: 69].

(2) [آل عمران: 200].

ثالثاً: المحافظة على ذكر الله تعالى وعدم الغفلة عن ذلك. قال الإمام ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ:** إن الذكر شفاء القلب ودواؤه، والغفلة مرضه، فالقلوب مريضة وشفائها دواؤها في ذكر الله تعالى ⁽¹⁾.

رابعاً: صحبة الصالحين، والحذر من صحبة الفاسدين.

خامساً: الحذر من وسائل التواصل والمواقع والصفحات التي توقع الإنسان في الذنوب والمعاصي أو توقعه في الغفلة واللهو.

ووسائل التواصل والمواقع والصفحات في الأنترنت هي من الصحبة وقد تكون صالحة أو فاسدة، لأن الصحبة قد تكون مباشرة، وقد تكون غير مباشرة، في وسائل التواصل في الأنترنت بمواقع وصفحاته المتنوعة، وهي أسوأ من الصحبة المباشرة بكثير.

وهذه من أهم الأسباب التي توقع الشباب والفتيات في الذنوب والمعاصي، وكذلك وسائل الإعلام من المسلسلات والأفلام والأغاني وغيرها.

سادساً: التأمل في حال الدنيا وسرعة انقضائها، وأن الموت قد يأتيك فجأة، وأن لذة المعصية تذهب ويبقى إثمها، وأن مشقة الطاعة تذهب ويبقى ثوابها وتدوم لذتها، واعلم أخي المسلم أنه لا نوم أثقل من الغفلة عن الله، ولا رِق ولا عبودية أملك من الشهوة المحرمة، ولا مصيبة كموت القلب، ولا نذير أبليغ من الموت أو الشيب.

(1) الوابل الصيب (ص 71).

سابعاً: تجديد التوبة ولزوم الاستغفار، والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾⁽¹⁾. والخطاب للمؤمنين الصالحين، فكيف بالمذنبين العاصين.

فحافظوا -أيها المؤمنون- على الطاعات، خصوصاً الصلوات المفروضة التي هي ركن من أركان الإسلام، وما أحسن أن تكون إقامتها في بيوت الله، واحذروا -أيها المسلمون- من المعاصي والمنكرات، فإنها داء عظيم، وُسْمٌ قاتل، وانتبهوا واحذروا من وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي فإنها الباب الأعظم للشهوات المحرمة والمفاسد والمنكرات.

اللهم إنا نسألك الثبات على الإسلام والطاعات، ونعوذ بك من فتن الشهوات والشبهات، اللهم حَبِّبْ إلينا الأعمال الصالحات ووقفنا لها، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واصرف ذلك عنا. واغفر لنا ولجميع المسلمين والمسلمات. برحمتك يا أرحم الراحمين.

(1) [النور: 31].



الخطبة الأولى

الحمد لله القائل: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾⁽¹⁾،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل عن القرآن: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ
يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا
كَبِيرًا﴾⁽²⁾، **وأشهد** أن نبينا ورسولنا محمد عبد الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه
أجمعين، **أما بعد:**

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾⁽³⁾.

أيها المؤمنون: سورة الفاتحة سورة مكية نزلت بمكة المكرمة، فضائلها
كبيرة، ومنافعها عظيمة، وآثارها عجيبة وأسمائها كثيرة، وكثرة الأسماء دليل
قاطع وبرهان ساطع على تعدد فضائلها، فمن أسماء هذه السورة العظيمة
(الفاتحة، وأم القرآن، وأم الكتاب، والسبع المثاني، وسورة الحمد، والواقية،

(1) [الإسراء: 82].

(2) [الإسراء: 10].

(3) [الحشر: 18].

والكافية والشفاء والرقية).

جاء في سنن الدارمي رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ النبي ﷺ قال في فاتحة الكتاب «شفاء من كل داء»⁽¹⁾.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ بَعْضَ الْكَلَامِ لَهُ خَوَاصٌّ وَمَنَافِعُ مُجَرَّبَةٌ، فَمَا الظَّنُّ بِكَلَامِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الَّذِي فَضَّلَهُ عَلَى كُلِّ كَلَامٍ كَفَضَلَ اللَّهُ عَلَى خَلْقِهِ الَّذِي هُوَ الشِّفَاءُ التَّامُّ، وَالْعِصْمَةُ النَّافِعَةُ، وَالنُّورُ الْهَادِي، وَالرَّحْمَةُ الْعَامَّةُ، الَّذِي لَوْ أَنزَلَ عَلَى جَبَلٍ لَتَصَدَّعَ مِنْ عَظَمَتِهِ وَجَلَالَتِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾⁽²⁾.

أيها المؤمنون: جاء في صحيح مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج، ثلاثا، غير تمام. فقل لأبي هريرة: إنا نكون وراء الإمام!! فقال: اقرأ بها في نفسك، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبي ما سأل. فإذا قال العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ قال الله تعالى: أثني علي عبدي، وإذا قال: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قال: مجدني عبدي، وقال مرة: فوض إلي عبدي، فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبي

(1) سنن الدارمي (3413).

(2) زاد المعاد في هدي خير العباد: (4/162).

ما سأل، فإذا قال: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل»⁽¹⁾.

والحديث عن الفاتحة وعن معانيها وأحكامها يحتاج إلى كثير من الكلام، وحسبنا هنا أن نتحدث عن أعظم آية في الفاتحة وهي قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

كلمتان صغيرتان في المبنى كبيرتان في المعنى، حتى إن ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ** كتب ثلاثة مجلدات لبيان معانيها، فقوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أي لا نعبد أحدا سواك.

قال الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ يدل على أنه لا معبود إلا الله، ومتى كان الأمر كذلك ثبت أنه لا إله إلا الله، فقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يدل على التوحيد المحض⁽²⁾.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وبغير مُعَبَّد أي مذل، وفي الشرع: عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف، وقُدِّم المفعول وهو (إياك) وكُرِّر للاهتمام والحصر، أي لا نعبد إلا إياك ولا نتوكل إلا عليك، وهذا هو كمال الطاعة، والدين كله يرجع إلى هذين المعنيين، وهذا كما قال بعض السلف: الفاتحة سرُّ القرآن، وسرها هذه الكلمة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فالأول تبرُّؤ من

(1) صحيح مسلم (395).

(2) تفسير الرازي (210 / 1).

الشرك، والثاني تبرؤ من الحول والقوة، وَالتَّوَيُّضُ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ (1).

وقال ابن رجب □: وهذه الكلمة قد قيل: إِنَّهَا تَجْمَعُ سِرَّ الْكِتَابِ الْمُنْزَلَةِ مِنَ السَّمَاءِ كُلِّهَا "لَأَنَّ الْخَلْقَ إِنَّمَا خُلِقُوا لِيُؤْمَرُوا بِالْعِبَادَةِ، كَمَا قَالَ: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (2)، وإنما أُرْسِلَتِ الرُّسُلُ وَأُنْزِلَتِ الْكِتَابُ لَذَلِكَ، فَالْعِبَادَةُ حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَلَا قُدْرَةَ لِلْعِبَادِ عَلَيْهَا بِدُونِ إِعَانَةِ اللَّهِ لَهُمْ، فَلِذَلِكَ كَانَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ عَبْدِهِ؛ لَأَنَّ الْعِبَادَةَ حَقُّ اللَّهِ عَلَى عَبْدِهِ، وَالْإِعَانَةُ مِنْ اللَّهِ فَضْلُ اللَّهِ عَلَى عَبْدِهِ (3).

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَرْبَعَمِائَةَ كِتَابٍ وَأَرْبَعَةَ كُتُبٍ، جَمَعَهَا فِي أَرْبَعَةِ كُتُبٍ: التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَالزَّبُورَ وَالْقُرْآنَ، وَجَمَعَ الْأَرْبَعَةَ فِي الْقُرْآنِ، وَجَمَعَ الْقُرْآنَ فِي الْمُفْصَّلِ، وَجَمَعَ الْمُفْصَّلَ فِي الْفَاتِحَةِ، وَجَمَعَ عِلْمَ الْفَاتِحَةِ فِي: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (4).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالْعِبَادَةُ وَالِاسْتِعَانَةُ هُمَا الْكَلِمَتَانِ الْمَقْسُومَتَانِ بَيْنَ الرَّبِّ وَبَيْنَ عَبْدِهِ نَصْفَيْنِ: فَنَصَفَهَا لَهُ تَعَالَى وَهُوَ «إِيَّاكَ نَعْبُدُ» وَنَصَفَهَا لِعَبْدِهِ وَهُوَ «إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» (5).

(1) تفسير ابن كثير (48 / 1).

(2) [الذاريات: 56].

(3) فتح الباري لابن رجب (7 / 103).

(4) معترك الأقران (1 / 160).

(5) مدارج السالكين (1 / 115).

وقال أيضا: ثم إن القلب يعرض له مرضان عظيمان، إن لم يتداركهما تراميا به إلى التلف ولا بد: وهما الرياء، والكبر، فدواء الرياء ب (إِيَّاكَ نَعْبُدُ)، ودواء الكبر ب (إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ).

وكثيرا ما كنت أسمع شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - يقول: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) تدفع الرياء، (وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) تدفع الكبرياء، فإذا عوفي من مرض الرياء ب (إِيَّاكَ نَعْبُدُ)، ومن مرض الكبر والعجب ب (إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)، ومن مرض الضلال والجهل ب (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) عوفي من أمراضه وأسقامه، ورَفَلَ في أثواب العافية، وتمت عليه النعمة، وكان من المُنعم عليهم⁽¹⁾.

أيها المؤمنون: لتأمل في هذا الكلام القيم لابن القيم رَحِمَهُ اللهُ عن هاتين الكلمتين العظيمتين: وحقيق بسورة هذا بعض شأنها أن يُستشفى بها من الأدواء، ويرقى بها اللديغ.

وبالجملة فما تضمنته الفاتحة من إخلاص العبودية والثناء على الله، وتفويض الأمر كله إليه، والاستعانة به، والتوكل عليه، وسؤاله مجامع النعم كلها، وهي الهداية التي تجلب النعم، وتدفع النقم من أعظم الأدوية الشافية الكافية وقد قيل: إن موضع الرقية منها: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، ولا ريب أن هاتين الكلمتين من أقوى أجزاء هذا الدواء، فإن فيهما من عموم التفويض والتوكل، والالتجاء والاستعانة، والافتقار والطلب، والجمع بين أعلى الغايات،

(1) مدارج السالكين (1/ 87).

وهي عبادة الرب وحده، وأشرف الوسائل وهي الاستعانة به على عبادته، ما ليس في غيرها، ولقد مرَّ بي وقتٌ بمكة سَقِمْتُ فيه، وفقدت الطبيب والدواء، فكنت أتعالج بها، أخذ شربة من ماء زمزم وأقروها عليها مرارا، ثم أشربه فوجدت بذلك البرء التام، ثم صرت أعتمد ذلك عند كثير من الأوجاع، فأنتفع بها غاية الانتفاع⁽¹⁾.

أيها الأخوة، والاستعانة هي: الاعتماد على الله في جلب المنافع ودفع المضار مع الثقة به في تحصيل ذلك والعمل بالأسباب المشروعة.

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: وأما الاستعانة بالله **عَزَّوَجَلَّ** دون غيره من الخلق، فلأنَّ العبدَ عاجزٌ عن الاستقلالِ بجلب مصالحِه، ودفع مضارِّه، ولا معينَ له على مصالح دينه ودنياه إلا الله **عَزَّوَجَلَّ**، فمن أعانَه الله، فهو المُعان، ومن خذله فهو المخدول، وهذا تحقيقُ معنى قول: "لا حولَ ولا قوَّةَ إلا بالله"، فإنَّ المعنى لا تحوَّل للعبدِ من حالٍ إلى حالٍ، ولا قوَّةَ له على ذلك إلا بالله، وهذه كلمة عظيمة، وهي كنز من كنوز الجنة، فالعبدُ محتاج إلى الاستعانة بالله في فعل المأمورات، وترك المحظورات، والصبر على المقدورات كُلِّها في الدنيا وعند الموت وبعده من أهوال البرزخ ويوم القيامة، ولا يقدرُ على الإعانة على ذلك إلا الله **عَزَّوَجَلَّ**، فمن حَقَّق الاستعانة عليه في ذلك كُلِّه أعانَه. وفي الحديث الصحيح عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "أَحْرَضَ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعْنِ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجُرْ"،

(1) الطب النبوي لابن القيم (ص: 132).

ومن ترك الاستعانة بالله، واستعان بغيره، وكلَّه الله إلى من استعان به فصار مأخوذاً⁽¹⁾.

معاشر المسلمين: لعل ما سبق من بيان معنى هذه الآية في هذه السورة العظيمة وما جاء من الأحاديث في فضل السورة عموماً، وكلام العلماء في بيان معنى هذه الآية على وجه الخصوص، لعل كل هذا يكون عوناً لنا في مدافعة الغفلة والسهو المفرط في الصلاة الذي أضحى يشتكي منه كثير من المصلين، ولعل تدبر معانيها يكون سبباً في الخشوع الذي هو روح الصلاة.

يقول مزاحم بن زفر رَحِمَهُ اللهُ: "صلى بنا سفيان الثوري رَحِمَهُ اللهُ المغرب، فقرأ حتى بلغ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فبكى حتى انقطعت قراءته، ثم عاد فقرأ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾⁽²⁾.

كم في الفاتحة ما يبكي من المعاني العظيمة، والألفاظ الكريمة، ولكن إلى الله المشتكى من قسوة القلوب!

قال محمد بن عوف الحمصي: رأيت أحمد بن أبي الحواري عندنا بطرسوس، فلما صلى العتمة، قام يصلي، فاستفتح ب: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إلى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فطفت الحائط كله، ثم رجعت، فإذا هو لا يجاوزها، ثم نمت، ومررت في السحر وهو يقرأ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾. فلم يزل يرددها

(1) تفسير ابن رجب الحنبلي (1/ 74).

(2) حلية الأولياء (7/ 17).

إلى الصبح" (1).

اللهم إياك نعبد وحدك لا شريك لك، مخلصين لك العبادة، دون ما سواك من الآلهة والأوثان، فأعِنَّا على عبادتك، ووفقنا لما وفقك له من أنعمت عليهم من أنبيائك ورسلك وأهل طاعتك، حتى نلقاك يا رب العالمين. أقول ما سمعتم وأستغفر الله إنه هو الغفور الرحيم.

(1) سير أعلام النبلاء (23:81).

الخطبة الثانية

الحمد لله ﴿الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾⁽¹⁾،
والصلاة والسلام على نبينا محمد الذي أرسله الله رحمة للعالمين، وعلى آله
وأصحابه أجمعين، **أما بعد:**

أيها المؤمنون: إن من لوازم قولك ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أن لا تصرف
أي عبادة إلا لله سبحانه، فكما أنك لا تصلي إلا لله وحده، فكذلك عليك ألا تدعو
إلا الله وحده، وعليك ألا تستغيث إلا بالله وحده، ولا تنذر إلا الله وحده.

إن هناك أناسا بجهلهم يصرفون العبادات الواجبة لله، يصرفونها لغير الله، فكم
تسمع من أناس في الشدة والبلاء ينادون غير الله، فيقول بعضهم: يا بدوي، أو يا
زينب، أو يا حسين، أو يا ابن علوان، أو يا ولي الله، وهذا الفعل شرك بالله
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لأن هؤلاء الذين تستغيث بهم وتناديهم أموات، فكيف سيسمعونك
ويكشفون كربك ويفرجون همك وهم أموات لا يسمعون أحدا ولا يدركون شيئا،
ولا يملكون لأنفسهم نفعا أو ضرا فكيف سينفعون غيرهم. إن الله تعالى يقول:
﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ
جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾⁽²⁾.

(1) [الفرقان: 1].

(2) [غافر: 60].

يقول الإمام الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ: فإفرادُ الله تعالى بتوحيد العبادة لا يتمُّ إلَّا بأن يكونَ الدعاءُ كُلُّه له، والنداءُ في الشدائد والرخاء لا يكون إلَّا لله وحده، والاستغاثة والاستعانة بالله وحده، واللَّجْوَءُ إلى الله والنذر والنحر له تعالى، وجميع أنواع العبادات من الخضوع والقيام تذللًا لله تعالى، والركوع والسجود والطواف والتجرد عن الثياب والحلق والتقصير كما في مناسك الحج والعمرة كُلُّه لا يكون إلَّا لله **عَزَّوَجَلَّ**، وَمَنْ فعل شيئًا مِنْ ذلك لمخلوق حيٍّ أو ميت أو جماد أو غيره، فقد أشرك في العبادة، وصار مَنْ تُفعل له هذه الأمور إلهًا لعابديه، سواءً كان مَلَكًا أو نبيًّا أو وليًّا أو شجرًا أو قبرًا أو جنيا أو حيًّا أو ميتًا، وصار العابدُ بهذه العبادة أو بأيِّ نوع منها عابداً لذلك المخلوق مشركًا بالله، وإن أقرَّ بالله وعبَّده، فإنَّ إقرارَ المشركين بالله وتقربُهم إليه لم يُخرجهم عن الشرك. قال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (1).

أخيرا: إن الله تعالى الغني الحميد، الغفور الرحيم يقول لجميع الخلق: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (2) فتوجه بدعائك إلى الله، وتوجه باستغاثتك إلى الله، واحذر من دعاء غير الله، ولا يغرنك كثرة المخالفين لهذا، والواقعين بهذه البدع القبيحة عند القبور والأضرحة، فيتمسحون بها، ويتوجهون إليها، ويستغيثون

(1) [يونس: 106].

(2) [البقرة: 186].

بها، وهذا من أكبر الجهل، وأعظم الباطل، وأسوأ الخرافات.

أَسْأَلُ اللَّهَ الْكَرِيمَ بفضله أن يثبتنا وإياكم على دينه وسنة نبيه حتى نلقاه، وأن يبصرنا بأحكامه، وأن يرزقنا وإياكم التوحيد الخالص حتى نلقاه على ذلك، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.



الالتجاء إلى الله

الخطبة الأولى

الحمد لله القائل: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾⁽¹⁾،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا
تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾⁽²⁾، **وأشهد**
أن محمدا عبده ورسوله، سيد العباد والمتضرعين، وأفضل الأولين والآخرين،
صلى الله عليه وسلم وأصحابه أجمعين، **أما بعد:**

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا
زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ
اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾⁽³⁾.

أيها المؤمنون: إن هذه الدنيا لا تثبت على حال، ولا تستقر على وضع، فيها
سعادة وهناء، وفيها كدر وهم، وفيها سرور وحزن، وفيها عسر ويسر:
﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾⁽⁴⁾.

(1) [الأعراف: 55].

(2) [الأنعام: 43].

(3) [النساء: 1].

(4) [الأنبياء: 35].

والسعيد من كان متضرعا لربه متوجها إلى خالقه في حال يسره ليجاب ويوفق ويهون عليه في حال عسره: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾⁽¹⁾.

إن في تقلبات الدهر عجائب، وفي تغير الأحوال مواعظ، والناظر في حال البلاد وما تمر به من أزمت يرى أن العقبات عليها قد توالى، والنكبات عليها قد تكاثرت، والأزمات فيها قد تعددت، والأحوال عليها قد تنوعت، كلما قيل ستفرج: اشتدت، وكلما قيل: هانت زادت، وكلما قيل: خفت كبرت وعظمت.

وإن الناظر في حالنا والمتأمل في أحوالنا هذه الأيام وما تمر به البلاد عموما من ضيق في العيش، وغلاء في الأسعار، وجفاف في الآبار، وتفرق في الكلمة، ونزيف في الدماء، وإزهاق للأرواح، وظلم من كل جانب، فقراء لا يجدون لقمة العيش، وموظفون كانوا في أحسن عيش أصبحوا في ليلة وضحاها فقراء ومعدمين، وأناس كانوا في بيوتهم آمنين أصبحوا في الملاجئ والخيام نازحين، أحوال مأساوية تدمي القلوب، وتذرف الدموع، وتحزن البعيد قبل القريب، كم عفيف كان مستورا أصبح في المساجد والأسواق متسولا، وكم من عفيفة كانت في خدرها مستورة أصبحت أمام المنظمات والجمعيات سائلة متسولة، وكم من موظف كان عزيزا أصبح في عيش ذليل، نُزعت الرحمة من قلوب أناس كثير، يرون هذه المشاهد، وينظرون إلى هذه المصائب، وتُمر عليهم هذه النكبات،

(1) [الصفات: 143، 144].

ويشاهدون هذه الحالات ولا يحركون ساكنا، قلوب كالأحجار بل هي أشد،
وعيون كالثلوج بل هي أجمد، تكالب الأعداء وتعاون الظالمون وتكاتف
المجرمون على هذا الشعب المسكين، فمن له غير الله، توبة ورجعة عبادة
وإنابة، ذلا وخضوعا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ
اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾⁽¹⁾، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ
أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا
فَأَخَذْنَاَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾⁽²⁾.

وَاللَّهُ أَكْرَمُ مَنْ رَجَوْتَ نَوَالَهُ وَاللَّهُ أَعْظَمُ مَنْ يُبِيلُ نَوَالَا
مَلِكٌ تَوَاضَعَتِ الْمُلُوكُ لِعِزِّهِ وَجَلَالِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
لَا شَيْءَ مِنْهُ أَدْقُ لَطْفٍ إِحَاطَةٍ بِالْعَالَمِينَ وَلَا أَجَلٌ جَلَالًا⁽³⁾

فيا عجباً لأناس ربطوا إذهاب الظلم عنهم بالأمم المتحدة، ولم يعلموا أنها
متحدة على حربهم وسفك دمائهم وتفريق كلمتهم، أيأسوا منها ومن مجلس
الخوف، فهو مجلس يخطط كيف تُسفك دماؤكم، وتؤخذ أموالكم، وتقسم
ثرواتكم.

وَمَنْ يَكُنِ الْغُرَابُ لَهُ دَلِيلًا يَمُرُّ بِهِ عَلَى جَيْفِ الْكِلَابِ⁽⁴⁾

(1) [الرعد: 11].

(2) [الأعراف: 96].

(3) مجموعة القصائد الزهديات (2/ 282).

(4) حياة الحيوان الكبرى (2/ 244).

لقد تعلق كثير من الناس بالناس، وشكوا أحوالهم على الناس، ووضعوا مطالبهم على الناس مع البعد عن رب الناس، والمخالفة لرب الناس، والمعصية لرب الناس، فأنى لهم بصلح عادل ورجعة صادقة ولمّ للشمل وجمع للكلمة، وقد وضعوا أمورهم بيد أعدائهم، وتركوا أوامر الله ظهرياً، معترضين عليها ومبتعدين عنها: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (1).

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «مَنْ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ لَمْ تُسَدِّ فَاقَتَهُ، وَمَنْ أَنْزَلَهَا بِاللَّهِ أَوْشَكَ اللَّهُ لَهُ بِالْغِنَى، إِمَّا بِمَوْتٍ عَاجِلٍ أَوْ غِنًى عَاجِلٍ» (2).

أيها المؤمنون: كم نحن بحاجة إلى اللجوء إلى الله والعودة إليه في الأزمات والشدائد، ومن كل ما يعرض من ظلم واعتداء، وفقر وحرمان، وأمراض في الأبدان، وتضييق في الأرزاق، وغلاء في الأسعار، وشح في الأمطار: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (3).

﴿قُلْ مَنْ يُنْجِيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنْجَانَا

(1) [الرعد: 11].

(2) سنن أبي داود (1645).

(3) [يونس: 31].

مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١﴾.

عندما تشتد الآلام، وتضعف القوى، وتغلق الأبواب، فلا ملجأ ولا منجاة إلا بالالتجاء إلى الله سبحانه، توبة وأوبة، رجوعاً وخضوعاً، ودعاء وتضرعاً.

مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَحْمَدُ فِي عَوَاقِبِهِ وَيَكْفِيهِ شَرَّ مَنْ عَزَّوَا وَمَنْ هَانُوا
مَنْ اسْتَعَانَ بِغَيْرِ اللَّهِ فِي طَلَبِ فَإِنَّ نَاصِرَهُ عَجَزٌ وَخِذْلَانٌ
وَأَشَدُّ يَدِيكَ بِحَبْلِ اللَّهِ مُعْتَصِمًا فَإِنَّهُ الرُّكْنُ إِنْ خَانَتْكَ أَرْكَانُ ﴿٢﴾

فالله وحده هو الملاذ في الشدة، والأنيس في الوحشة، والنصير في القلة، ومن عرف الله حقاً ناجى ربه: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٣) ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلِلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٤)، إذا أجذبت الأرض، ومات الزرع، وجف الضرع، وذبلت الأزهار، وغار الماء، وشحت الأمطار، فمن المغيث غير الله الرحمن الرحيم؟.

إذا اشتد المرض بالمريض، وضعف جسمه، وشحب لونه، وقلت حيلته، وضعفت وسيلته، وعز الطبيب، وحار المداوي، ووجف القلب، وانطرح

(١) [الأنعام: ٦٣، ٦٤].

(٢) من قصيدة عنوان الحكم لأبي الفتح البستي (ص ٣٥).

(٣) [الأنبياء: ٨٧].

(٤) [النمل: ٦٢].

المريض ينتظر المقدور، فمن المؤمل غير الله الكريم العليم؟.

فَاللَّهُ -تعالى- هو الملاذُّ في الشدة، والأنيسُ في الوحشة، والنصيرُ في القلة، ومن عَرَفَ اللهَ حقاً ناجى ربهُ إذا أمسى وإذا أصبح ألا يتولاه أحدٌ إلا الله، ويسألُ ربهُ وهو يُناجيه أنه **جَلَّ وَعَلَا** يتولاه بولايته، وأن لا يجعلَ في قلبه أحداً إلا الله، فإن استودعَ الإنسانُ ربهَ دينَه وسألَ اللهَ بقلبٍ صادقٍ أن يحفظَه فإن اللهَ أجل وأكرم من أن يُضيعَ من لجأ إليه:

إِنْ مَسَّنَا الضَّرُّ أَوْ ضَاقَتْ بِنَا الْحِيلُ	فَلَنْ يَخِيبَ لَنَا فِي رَبِّنَا أَمَلُ
وَإِنْ أَنَاخَتْ بِنَا الْبَلَاةُ فَإِنْ لَنَا	رَبًّا يُحَوِّلُهَا عَلَيْنَا فَتَتَقَلُّ
اللَّهُ فِي كُلِّ خَطْبٍ حَسْبُنَا وَكَفَى	إِلَيْهِ نَرْفَعُ شُكْرَنَا وَنَبْتَهِلُ
مَنْ ذَا نَلُودْ بِهِ فِي كَشْفِ كُرْبَتِنَا	وَمَنْ عَلَيْهِ سِوَى الرَّحْمَنِ نَتَكِلُ
كَمْ أَنْقَذَ اللَّهُ مَضْطَرَّاً بِرَحْمَتِهِ	وَكَمْ أَنْالَ ذَوِي الْأَمَالِ مَا أَمَلُوا
فَأَنْتَ أَكْرَمَ مَنْ يُدْعَى وَأَرْحَمَ مَنْ	يُرجى وَأَمْرُكَ فِيمَا شِئْتَ مُمَثِّلُ

أَسْأَلُ اللهَ أن يُعَلِّقَ قلوبنا به، وأن يجعلنا من أغنى خلقه به، فنحن الفقراء إليه وهو الغني الحميد، أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله ذي الفضل والإحسان، ذي الجلال والإكرام، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، **أما بعد:**

أيها المؤمنون: تأملوا معي في هذه الآية الكريمة بقلوبكم، وأنزلوها في واقعكم، وانظروا حالنا مع هذه الآية، وقارنوا واقعنا معها قال **جَلَّ وَعَلَا:** ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ * فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١﴾ و**(البأساء) هي:** الفقر والضيق في العيش، **(والضراء) هي:** الأمراض والأسقام والآلام، **(لعلهم يتضرعون)** أي يدعون الله ويتضرعون إليه ويخشعون له ويرجعون إليه.

(فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا) أي: فهلا إذ ابتليناهم تضرعوا إلينا، ولكنهم لم يفعلوا، **(وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ)** أي ما رقت ولا خشعت، وهذا هو السبب الأول في الإعراض عن الله واطاعته، قسوة القلوب، ثم ذكر السبب الثاني: **(وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)** من المعاصي والمعاندة والذنوب والبعد عن الله تعالى، حتى أصبحوا إليها مائلين، وعليها متواطئين، وفيها منغمسين.

فهذا واقع نشاهده عند كثير من الناس، مع كثرة البلايا المتتابة، والرزايا المتكاثرة، فهل من عودة إلى الله تعالى، ورجوع إلى الله وتوبة إليه.

(١) [الأنعام: ٤٢، ٤٣].

أخيراً: أحبابي المسلمين، جاء في سنن الترمذي رَحِمَهُ اللهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء»⁽¹⁾.

وفي وصية رسول الله ﷺ لابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا "تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرِّخَاءِ يَعْرِفَكَ فِي الشَّدَةِ"⁽²⁾.

يا من إليه جميع الخلق يتهلُّ	وكل حيٍّ على رحماه يتكل
يا من نأى فرأى ما في القلوب وما	تحت الثرى وحجاب الليل منسدل
أنت المنادى به في كل حادثة	وأنت ملجأ من ضاقت به الحيل
أنت الغياث لمن سُدَّتْ مذهبُهُ	أنت الدليل لمن ضلَّتْ به السُّبُل
إنّا قصدناك والآمال واقعة	عليك والكل ملهوف ومبتهل
فإن غفرت فعن طَوَّل وعن كرم	وإن سطوت فأنت الحاكم العدل ⁽³⁾

اللهم ألهمنا ذكرك، ووقفنا للقيام بحقك، وبارك لنا في الحلال من رزقك، ولا تفضحنا بين خلقك، يا خير من دعاه داع، وأفضل من رجاه راج، يا قاضي الحاجات، ومجيب الدعوات، هب لنا ما سألناه، وحقق رجاءنا فيما تمنيناه، يا من يملك حوائج السائلين، ويعلم ما في ضمائر الصامتين، أذقنا برد عفوكم، وحلاوة مغفرتك يا أرحم الراحمين.

(1) سنن الترمذي (3382)

(2) مستدرک الحاكم (6303)

(3) المسالك في شرح موطأ مالك (3/ 326).



الدعاء

الخطبة الأولى

الحمد لله القائل: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾⁽¹⁾، **وأشهد** أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾⁽²⁾، **وأشهد** أن محمدا عبده ورسوله القائل: «الدعاء هو العبادة»⁽³⁾، وأصحابه أجمعين، **أما بعد:**

فاتقوا الله عباد الله حق التقوى، وراقبوه في السر والنجوى، فهو القائل سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾⁽⁴⁾.

أيها المؤمنون: الإنسان في حاجة دائمة أن يستلهم الرحمات، ويقرع أبواب السموات، ويناجي المولى لينال عظيم الأجر وحسن الثواب، ويرفع أكف الضراعة إلى الله، كما أن في الدنيا مصائب ورزايا ومحنًا وبلايا، وآلامًا تضيق بها النفوس، ومزعجات تورث الخوف والجزع، وكم في الدنيا من عين باكية، وكم

(1) [غافر: 60].

(2) [البقرة: 186].

(3) سنن أبي داود (1479).

(4) [آل عمران: 102].

فيها من قلب حزين، وكم فيها من الضعفاء والمُعْدِمِينَ، قلوبهم تشتعل، ودموعهم تسيل، هذا يشكو علة وسقما، وذاك حاجة وفقرا، وآخر هما وقلقا، فهؤلاء إلى من يشكون؟ وإلى من يتضرعون؟ عليهم أن يشكوا إلى من قال وقوله الحق المبين: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (1).

وإلى من قال وهو أصدق القائلين: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذْكُرُونَ﴾ (2).

يشكون إلى من قال وهو أكرم الأكرمين: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (3).

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: أمرهم بدعائه ووعدهم أن يستجيب لهم.

أيها المؤمنون: الدعاء سمة العبودية، وروضة القلب، وجنة الدنيا، عبادة ميسورة مُطْلَقَةٌ غير مقيدة بمكان ولا زمان، والدعاء عدو البلاء يدفعه ويعالجه، ويمنع نزوله ويخففه.

عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةِ لَيْسَ فِيهَا إِنْشَاءٌ، وَلَا قَطِيعَةٌ رَحِمَ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إمَّا أَنْ تُعْجَلَ لَهُ

(1) [البقرة: 186].

(2) [النمل: 62].

(3) [غافر: 60].

دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ الشَّوْءِ مِثْلَهَا
"قَالُوا: إِذَنْ نُكْثِرُ؟ قَالَ: " اللَّهُ أَكْثَرُ" (1).

أيها المؤمنون: والدعاء كغيره من العبادات له آداب وشروط وموانع تمنع
من حصول أثره، ولعلنا نذكر ما يتعلق بهذه الأمور في النقاط الآتية:

شروط الدعاء:

وقبل أن نذكر هذه الشروط، هناك كثير من الناس يَشْكُون ويقولون: دعونا
ودعونا ولم يُستجب لنا، تأمل - أخي - في هذه الشروط، **ولينزلها كل واحد منا
على نفسه:**

1 - الشرط الأول: الإخلاص لله تعالى، بحيث يعتقد أن الله وحده هو
القادر على إجابة دعوته وتفريج كربته فلا يدعو إلا الله وحده.

2 - والشرط الثاني: الثقة بالله سبحانه واليقين بالإجابة، فمن أعظم الشروط
لقبول الدعاء الثقة بالله، وأنه على كل شيء قدير؛ لأنه سبحانه يقول للشيء: **كن، فيكون.**

ومما يزيد ثقة المؤمن بربه أن يعلم أن جميع خزائن الخيرات والبركات
عند الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ (2).

وفي الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ

(1) مسند أحمد (11133).

(2) [الحجر: 21].

كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمُ وَإِنْسَكُمُ وَجَنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمُ وَإِنْسَكُمُ وَجَنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ بِهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ» (1).

3 - والشرط الثالث: حضور القلب والخشوع، واستحضار ما عند الله من الثواب، والرهبة مما عنده من العقاب، وقد أثنى الله على زكريا وأهل بيته، وعلى الأنبياء قبله، فقال سبحانه: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين» (2).

فلا بد للمسلم في دعائه أن يحضر قلبه، وهذا من أعظم الشروط في قبول الدعاء، **وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قال: قال رسول الله ﷺ: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه» (3).

(1) صحيح مسلم (2577).

(2) [الأنبياء: 90، 89].

(3) سنن الترمذي (3479).

4- **والشرط الرابع:** العزم والجِد في الدعاء، فالمسلم إذا سأل ربه فإنه يجزم في دعائه، ولهذا نهى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الاستثناء في الدعاء، **فعن** أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيَعِزِّمْ الْمَسْأَلَةَ، وَلَا يَقُولَنَّ: اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ فَأَعْطِنِي، فَإِنَّهُ لَا مُسْتَكْرَهَ لَهُ»⁽¹⁾.

وجاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلَا يَقُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، وَلَكِنْ لِيَعِزِّمْ الْمَسْأَلَةَ، وَلْيُعْظِمِ الرَّغْبَةَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ»⁽²⁾.

فهذه أهم شروط إجابة الدعاء، وكما أن للدعاء شروطا كذلك له موانع تمنع من الإجابة، وتمنع من حصول المطلوب أو تؤخره، **ومن هذه الموانع:**

1- **أكل الحرام** سواء، كان أكلا أو شربا أو لباسا أو غير ذلك، **جاء في الحديث عن** أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا، إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾"⁽³⁾ وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾"⁽⁴⁾ ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء، يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه

(1) صحيح البخاري (6338).

(2) صحيح مسلم (2679).

(3) [المؤمنون: 51].

(4) [البقرة: 172].

حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأني يستجاب لذلك؟" (1).

وهذا الرجل قد أتى بأسباب إجابة الدعاء، وهي: (يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء، يا رب، يا رب)، ولكنه وقع في مانع من موانع إجابة الدعاء، وهو أكل الحرام.

2 - ومن الموانع أن يستعجل الإنسان في إجابة الدعاء، أو يترك الدعاء

لتأخر الإجابة، وقد جعل النبي ﷺ هذا العمل مانعا من موانع إجابة الدعاء، **فعن** أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: أن رسول الله ﷺ قال: "يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: دعوتُ فلم يُستجب لي" (2).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "ومن الآفات التي تمنع ترتب أثر الدعاء عليه: أن يستعجل العبد، ويستبطئ الإجابة، فيستحسر ويدع الدعاء، وهو بمنزلة من بذر بذرا أو غرس غرسا، فجعل يتعاهده ويسقيه، فلما استبطأ كماله وإدراكه تركه وأهمله" (3).

3 - ومن الموانع: الدعاء بإثم أو قطيعة رحم، **فعن** أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، عن

النبي ﷺ أنه قال: «لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ، أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ، مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْإِسْتِعْجَالُ؟ قَالَ: يَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ،

(1) صحيح مسلم (1015).

(2) صحيح البخاري (6340).

(3) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء (ص: 11).

فَلَمْ أَرِ يَسْتَجِيبُ لِي فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ، وَيَدْعُ الدُّعَاءَ»⁽¹⁾.

أيها الأجابة: يقول ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ:** "وكذلك الدعاء، فإنه من أقوى الأسباب في دفع المكروه، وحصول المطلوب، ولكن قد يتخلف أثره عنه، إما لضعفه في نفسه - بأن يكون دعاء لا يحبه الله، لما فيه من العدوان - وإما لضعف القلب وعدم إقباله على الله وجمعيته عليه وقت الدعاء، فيكون بمنزلة القوس الرخو جدا، فإن السهم يخرج منه خروجا ضعيفا، - وإما لحصول المانع من الإجابة: من أكل الحرام، والظلم، ورين الذنوب على القلوب، واستيلاء الغفلة والشهوة واللهو، وغلبتها عليها"⁽²⁾.

فلنعمل أحبتي الكرام على تحقق الشروط وتجنب الموانع حتى تحصل
إجابة الدعاء.

وفقنا الله وإياكم لمرضاته، وجعلنا ممن يتقيه حق تقاته، أقول ما سمعتم
وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(1) صحيح مسلم (2735).

(2) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء (ص: 9).

الخطبة الثانية

الحمد لله المجيب للدعاء تكرما وتفضلا، والصلاة والسلام على أكرم الرسل وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

أيها المؤمنون: والدعاء له آداب ينبغي للداعي أن يحرص عليها، ومن هذه الآداب:

أولا: أن يبدأ بحمد الله ويصلي على النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، قال علي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «كُلُّ دُعَاءٍ مَحْجُوبٌ حَتَّى يُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» (1).

عن فضالة بن عبيد صاحب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: سمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلا يدعو في الصلاة، ولم يذكر الله **عَزَّ وَجَلَّ**، ولم يُصَلِّ على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "عَجِلْ هَذَا" ثُمَّ دَعَاهُ، فَقَالَ لَهُ وَلِغَيْرِهِ: "إِذَا صَلَّي أَحَدُكُمْ، فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ رَبِّهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ لِيُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ، ثُمَّ لِيَدْعُ بَعْدَ بَمَا شَاءَ" (2).

2- ومن آداب الدعاء أيضا: الدعاء في الرخاء والشدة، فعن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكره فليكثر الدعاء في الرخاء» (3).

(1) الطبراني في الأوسط (721).

(2) مسند أحمد (23937).

(3) سنن الترمذي (3382).

ولهذا قال تعالى عن يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (1).

3-ومن الآداب: أن لا يدعو على أهله وماله وولده أو نفسه، كما في الحديث: «لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يُسأل فيها عطاء، فيستجيب لكم» (2).

4-ومن الآداب: أن يخفض صوته في الدعاء، ويكون بين الإخفات والجهر: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ (3)، وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (4).

5-ومن الآداب: أن يلح على ربه في دعائه، فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلِظُوا بَيَّا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» (5).

6-ومن الآداب أيضا: أن يتوسل إلى الله تعالى بأنواع التوسلات المشروعة، ومن هذه الأنواع:

- التوسل إلى الله بأسمائه الحسنی وصفاته العليا، فعن عبد الله بن بريدة

(1) [الصفات: 143، 144].

(2) صحيح مسلم (3009).

(3) [الإسراء: 110].

(4) [الأعراف: 205].

(5) سنن الترمذي (3525).

الأسلمي، عن أبيه، قال: سمع النبي ﷺ رجلا يدعو وهو يقول: «اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد»، قال: فقال: «والذي نفسي بيده، لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى»⁽¹⁾.

-ومن ذلك التوسل إلى الله بالعمل الصالح، فعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى أووا المبيت إلى غار، فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل، فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، فقال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلا، ولا مالا فنأى بي في طلب شيء يوما، فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما، فوجدتهما نائمين وكرهت أن أغبق قبلهما أهلا أو مالا، فلبثت والقدح على يدي، أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، فاستيقظا، فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج"، قال النبي ﷺ: "وقال الآخر: اللهم كانت لي بنت عم، كانت أحب الناس إلي، فأردتها عن نفسها، فامتنعت مني حتى أملت بها سنة من السنين، فجاءتني، فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها، ففعلت حتى إذا قدرت عليها، قالت: لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه، فتخرجت من الوقوع عليها، فانصرفت عنها

(1) سنن الترمذي (3475).

وهي أحب الناس إلي، وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ابتغاء وجهك، فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها"، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وقال الثالث: اللهم إني استأجرت أجراً، فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب، فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين فقال: يا عبد الله أد إلي أجري، فقلت له: كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فقال: يا عبد الله لا تستهزئ بي، فقلت: إني لا أستهزئ بك، فأخذه كله، فاستاقه، فلم يترك منه شيئاً، اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة، فخرجوا يمشون" (1).

وليحذر الداعي من التوسلات البدعية سواء بالأشخاص من الأولياء والأنبياء والصالحين وغيرهم فهذه توسلات بدعية خرافية مخالفة لهدي الإسلام وشرعية سيد الأنام محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

7- ومن الآداب في الدعاء: الاعتراف بالذنوب والنعمة حال الدعاء، فعن

شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء لك بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت" قال: «ومن قالها من النهار موقناً بها، فمات من يومه قبل أن يمسي، فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها،

(1) صحيح البخاري (2272). صحيح مسلم (100)،

فمات قبل أن يصبح، فهو من أهل الجنة»⁽¹⁾.

8 - ومن الآداب في الدعاء رفع الأيدي في الدعاء، فعن سلمان الفارسي

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، قال: «إن الله حيي كريم يستحيي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفرا خائبين»⁽²⁾.

وفي الأخير يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وَإِذَا جَمَعَ مَعَ الدُّعَاءِ حُضُورَ الْقَلْبِ وَجَمْعِيَّتَهُ بِكُلِّيَّتِهِ عَلَى الْمَطْلُوبِ، وَصَادَفَ وَقْتًا مِنْ أَوْقَاتِ الْإِجَابَةِ السَّيِّئَةِ، وَهِيَ: الثُّلُثُ الْأَخِيرُ مِنَ اللَّيْلِ، وَعِنْدَ الْأَذَانِ، وَبَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ، وَأَذْبَارُ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ، وَعِنْدَ صُعودِ الْإِمَامِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ عَلَى الْمُنْبَرِ حَتَّى تُقْضَى الصَّلَاةُ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَآخِرُ سَاعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ. وَصَادَفَ خُشُوعًا فِي الْقَلْبِ، وَانْكِسَارًا بَيْنَ يَدَيِ الرَّبِّ، وَذُلًّا لَهُ، وَتَضَرُّعًا، وَرِقَّةً. وَاسْتَقْبَلَ الدَّاعِيَ الْقِبْلَةَ. وَكَانَ عَلَى طَهَارَةٍ. وَرَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى اللَّهِ. وَبَدَأَ بِحَمْدِ اللَّهِ وَالشَّانِ عَلَيْهِ. ثُمَّ ثَنَّى بِالصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ ﷺ.

ثُمَّ قَدَّمَ بَيْنَ يَدَيِ حَاجَتِهِ التَّوْبَةَ وَالِاسْتِغْفَارَ. ثُمَّ دَخَلَ عَلَى اللَّهِ، وَأَلَحَّ عَلَيْهِ فِي الْمَسْأَلَةِ، وَتَمَلَّقَهُ وَدَعَاهُ رَغْبَةً وَرَهْبَةً. وَتَوَسَّلَ إِلَيْهِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَتَوْحِيدِهِ. وَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيِ دُعَائِهِ صَدَقَةً، فَإِنَّ هَذَا الدُّعَاءَ لَا يَكَادُ يُرَدُّ أَبَدًا، وَلَا سِيَّما إِنْ صَادَفَ الْأَدْعِيَةَ الَّتِي أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهَا مَطْنَةٌ الْإِجَابَةِ، أَوْ أَنَّهَا مُتَضَمِّنَةٌ

(1) صحيح البخاري (6306).

(2) سنن الترمذي (3556).

لِلْأَسْمِ الْأَعْظَمِ" (1).

اللهم افتح لدعائنا باب القبول والإجابة، واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

(1) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء (ص: 12).

الرضا

الخطبة الأولى

الحمد لله القائل: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ * لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١﴾، **وأشهد** أن لا إله الله وحده لا شريك له القائل: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ ﴿٢﴾، والصلاة والسلام على نبينا محمد القائل: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ» ﴿٣﴾، **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وأصحابه أجمعين، **أما بعد:**

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ ﴿٤﴾.

أيها المؤمنون: إن هناك عبادة عظيمة هي سبب سكون القلب، واطمئنان النفس، وراحة البال، وسعادة العيش، إنها عبادة الرضا عن الله وعن قضائه

(١) [الحديد: ٢٢: ٢٣].

(٢) [الأحزاب: ٣٨].

(٣) صحيح الترمذي (٢٣٩٦).

(٤) [الأحزاب: ٧١].

وقدره، عرّف العلماء الرضا عن الله وعن أقداره بقولهم: سكون القلب إلى اختيار الرب، قال ابن أبي الدنيا: "وَالرَّضَا سُكُونُ الْقَلْبِ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ"⁽¹⁾.

وقيل: سرور القلب بِمُرِّ الْقَضَاءِ⁽²⁾، **وقيل:** استقبال الأحكام بالفرح، وقيل: ارتفاع الجزع في أي حكم كان⁽³⁾.

فالرضا أيها المؤمنون: قبول حكم الله وأقداره في السراء والضراء، والعلم بأن ما قسمه الله وقضاه وقدره عليك هو الخير كله.

قال المبرّد رَحِمَهُ اللَّهُ: قيل للحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن أبا ذر يقول: الفقر أحبُّ إليَّ من الغنى، والسُّقْمُ أحبُّ إليَّ من الصحة. فقال: رحم الله أبا ذر، أما أنا فأقول: "مَنْ اتَّكَلَ عَلَى حُسْنِ اخْتِيَارِ اللَّهِ لَهُ، لَمْ يَتَمَنَّ شَيْئًا"⁽⁴⁾.

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: الرضا باب الله الأعظم، وجنة الدنيا، ومستراح العارفين، وحياة المحبين، ونعيم العابدين وقرة عيون المشتاقين⁽⁵⁾.

وهذا الفهم السليم للرضا بقضاء الله وقدره هو الذي يهون المصائب، ويخفف وطأة الألم، ويضعف قوة الخطب.

(1) التوكل على الله لابن أبي الدنيا (ص 71).

(2) الزهد الكبير للبيهقي (ص 341).

(3) مدارج السالكين (2/ 485).

(4) سير أعلام النبلاء (3/ 262).

(5) مدارج السالكين (2/ 481).

قال علقمة رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (1) قال: «هِيَ الْمُصِيبَةُ تُصِيبُ الرَّجُلَ فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَيَسْلَمُ لَهَا وَيَرْضَى» (2).

أيها المؤمنون: تأملوا الناس من حولكم، هل يخلو أحد من مصيبة أزعجته، أو من مشكلة أقلقته، أو من همٍّ أحرقه، أو من مرض أقعده، أو من ولد أشغله، أو من دينٍ أيقظه وأزعجه، أو من مال أتعبه؟.

كم من عبد مظلوم، وكم من فقير معدوم، وكم من مغموم ومهموم، قلوب تشتعل ونفوس تحترق، وهكذا هي الدنيا مصائب ورزايا، ومحن وبلايا، صرخات وزفرات، وأنات وآهات.

طَبَعَتْ عَلَى كَدَرٍ وَأَنْتَ تُرِيدُهَا صَفَوْنَا مِنَ الْأَقْدَاءِ وَالْأَكْدَارِ
وَمُكَلِّفُ الْأَيَّامِ ضِدَّ طِبَاعِهَا مُتَطَلِّبُ فِي الْمَاءِ جَذْوَةَ نَارٍ (3)

أيها المؤمنون: إن للرضا بقضاء الله وقدره والصبر على ذلك ثمرات كثيرة، وفوائد جلية، يمكن أن نذكر بعضها في هذه الخطبة فمنها:

1 - **أن الراضي بقضاء الله وقدره** مُفَوَّض أمره لله، والمفوض راضٍ بما اختاره الله له، لا سيما إذا علم كمال حكمته ورحمته، ولطفه وحسن اختياره لعبده.

(1) [التغابن 11].

(2) الرضا عن الله بقضائه (ص 47).

(3) تأريخ بغداد (19 / 38).

ولهذا قال النبي ﷺ: (عجباً للمؤمن لا يقضي الله له شيئاً إلا كان خيراً له) (1).

قال ابن القيم رحمه الله: فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يَقْضِي لِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ قَضَاءً إِلَّا كَانَ خَيْرًا لَهُ، سَاءَ ذَلِكَ الْقَضَاءُ أَوْ سَرَّهُ. فَقَضَاؤُهُ لِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ الْمَنْعَ عَطَاءً. وَإِنْ كَانَ فِي صُورَةِ الْمَنْعِ وَنِعْمَةً. وَإِنْ كَانَتْ فِي صُورَةِ مِحْنَةٍ وَبَلَاءٍ عَافِيَةً. وَإِنْ كَانَ فِي صُورَةِ بَلِيَّةٍ. وَلَكِنْ لِيَجْهَلَ الْعَبْدُ وَظُلْمِهِ لَا يَعُدُّ الْعَطَاءَ وَالنَّعْمَةَ وَالْعَافِيَةَ إِلَّا مَا التَّدَّ بِهِ فِي الْعَاجِلِ. وَكَانَ مُلَائِمًا لِطَبْعِهِ (2).

تأملوا في هذه القصة: يحكى أنه كان هناك ملك سريع الغضب، وله وزير صالح، كلما رأى شيئاً قال هذا الوزير: لعله خير، وفي يوم من الأيام قُطِعَ أَصْبُعُ الملك، فقال الوزير كعادته: لعله خير، فقال الملك وقد امتلأ غضباً: وأي خير في هذا، وأمر بحبس الوزير، فقال الوزير وابتسامته لم تفارقه: لعله خير، ومرت الأيام وخرج الملك في رحلة صيد وابتعد كثيراً عن حدود مملكته، حتى وصل إلى أناس يعبدون صنماً، فأحاطوا به فأخذوه، وكان يوم عيدهم، فأخذوه ليقربوه قرباناً لصنمهم ويذبحوه، لكنهم اكتشفوا أن هذا الملك مقطوع الأصبع فتركوه لأنهم يريدون أن يقربوا شخصاً لا عيب فيه، فعاد إلى مملكته وتذكر قول الوزير: لعله خير، فأمر بالإفراج عنه، وحكى له ما حدث، ثم قال ولكنني عندما حبستك سمعتك تقول لعله خير، فأني خير في هذا، فقال الوزير: لو لم

(1) مسند أحمد (20283).

(2) مدارج السالكين (2/ 207).

تحبسني لكنت معك ولقدمني هؤلاء قرباناً بدلاً، منك، فكان حبسي خيراً لي.
وصدق ابن عون حين قال: ارض بقضاء الله على ما كان من عسر ويسر،
 فإن ذلك أقل لغمك، وأبلغ فيما تطلب من أمر آخرتك، واعلم أن العبد لن
 يصيب حقيقة الرضا، حتى يكون رضاه عند الفقر والبلاء، كرضاه عند الغنى
 والرخاء، كيف تستقضي الله في أمرك، ثم تسخط إن رأيت قضاءه مخالفاً
 لهواك؟! ولعل ما هويت من ذلك، لو وفق لك، لكان فيه هلكك، وترضى
 قضاءه إذا وافق هواك، وذلك لقلّة علمك بالغيب، وكيف تستقضيهِ؟ إن كنتَ
 كذلك ما أنصفت من نفسك، ولا أصبت باب الرضا⁽¹⁾.

وَإِذَا تُصِيبُكَ مُصِيبَةٌ فَاصْبِرْ لَهَا عَظُمْتَ بَلِيَّةٌ مُبْتَلًى لَا يَضْبِرُ⁽²⁾

2 - ومن الثمرات للرضا بقضاء الله وقدره: أن يعلم الراضي بقضاء الله أن
 حظه من المقدور هو ما يتلقاه من رضا وسخط، فلا بد له منه، فإن رضي فله
 الرضا، وإن سخط فله السخط، ولهذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يقول الله تعالى: "يَا ابْنَ
 آدَمَ، إِذَا أَخَذْتُ كَرِيمَتِيكَ أَيِّ عَيْنِكَ، فَصَبَّرْتَ وَاحْتَسَبْتَ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى،
 لَمْ أَرْضَ لَكَ بِثَوَابٍ دُونَ الْجَنَّةِ"⁽³⁾.

وقال علي رضي الله عنه للأشعث بن قيس وقد مات أحد أولاده: إنك إن

(1) تسليّة أهل المصائب ص 155

(2) كنز الكتاب ومنتخب الآداب 1/ 435

(3) مسند الإمام أحمد (22228)

صبرت إيماناً واحتساباً، وإلا سلوت سلو البهائم⁽¹⁾.

قال أبو تمام ناظماً كلام علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَقَالَ عَلِيٌّ فِي التَّعَازِي لَا شَعَثَ وَخَافَ عَلَيْهِ بَعْضُ تِلْكَ الْمَآثِمِ
أَتَصْبِرُ لِلْبُلُوى عَزَاءً وَحِسْبَةً فَتَوْجَرَأْمُ تَسْلُو سَلَوَ الْبَهَائِمِ؟⁽²⁾

3- ومن ثمرات الرضاء بقضاء الله وقدره: أن السخط يوجب تلون العبد وعدم

ثباته مع الله تعالى، فإنه لا يرضى إلا بما يلائم طبعه ونفسه، والمقادير تجري دائماً بما يلائمه وبما لا يلائمه، ولما جرى عليه منها ما لا يلائمه أسخطه ذلك، ومن كان كذلك فلن تثبت له قدم العبودية والتسليم لله تعالى، وصدق من قال:

لَا تَجْزَعَنَّ لِأَمْرِ عَزَّ مَطْلَبُهُ وَلَا تَيْتَنَّ إِلَّا خَالِي الْبَالِ
فِيمَ اهْتِمَامُكَ فِي الْمُجْرَى عَلَيْكَ وَقَدْ جَرَى الْقَضَاءُ بِأَرْزَاقٍ وَأَجَالِ
دَعِ الْمَقَادِيرَ تَجْرِي فِي أَعْتَبِهَا فَمَا تَدُومُ لِمَخْلُوقٍ عَلَى حَالِ
يَوْمًا تُرِيكَ وَضِيعَ الْقَوْمِ مُرْتَفَعًا إِلَى السَّمَاءِ وَيَوْمًا تَخْفِضُ الْعَالِي⁽³⁾

ورحم الله القائل:

دَعِ الْمَقَادِيرَ تَجْرِي فِي أَعْتَبِهَا وَلَا تَيْتَنَّ إِلَّا خَالِي الْبَالِ

(1) التذكرة الحمدونية (4 / 210).

(2) العقد الفريد (3 / 255).

(3) الدر الفريد وبيت القصيد (7 / 441).

مَا بَيْنَ طَرْفَةِ عَيْنٍ وَانْتِبَاهَتِهَا يُغَيِّرُ الدَّهْرُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ⁽¹⁾

4- ومن ثمرات الرضا بالقضاء والقدر: أن من ملأ قلبه من الرضا بالقدر، ملأ الله صدره غنى وأمناً وقناعة، وفرغ قلبه لمحبتة، والإنابة إليه، والتوكل عليه. ومن فاتته حظه من الرضا، امتلأ قلبه بضد ذلك، واشتغل عما فيه سعادته وفلاحه. فالرضا يفرغ القلب لله، والسخط يفرغ القلب من الله.

فكم من قوي في البدن طيب العيش قد أنعم الله عليه بالعافية، ومع ذلك سلبه الرضا في قلبه، فإذا سئل عن حاله اشتكى وبكى! وكم من مريضٍ فقيرٍ طريح الفراش قد يكون مشلولاً مُقْعِداً، تسأله: كيف حالك؟ يقول: الحمد لله، لأن الله ملأ قلبه بالرضا.

قال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِذَا قَضَى اللَّهُ قَضَاءً أَحَبَّ أَنْ يُرْضَى بِقَضَائِهِ»⁽²⁾.

وما أحسن قول الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ:

مَا شِئْتُ كَانَ وَإِنْ لَمْ أَشَأْ وَمَا شِئْتُ إِنْ لَمْ تَشَأْ لَمْ يَكُنْ
خَلَقْتَ الْعِبَادَ عَلَى مَا عَلِمْتَ فِي الْعِلْمِ يَجْرِي الْفَتَى وَالْمُسْنُ
عَلَى ذَا مَنَنْتَ وَهَذَا خَذَلْتَ وَهَذَا أَعْنَتَ وَذَا لَمْ تُعِنْ
فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَمِنْهُمْ سَعِيدٌ وَمِنْهُمْ قَبِيحٌ وَمِنْهُمْ حَسَنٌ⁽³⁾

(1) ديوان ابن نباتة المصري (ص 388).

(2) الزهد والرفائق لابن المبارك (ص 32).

(3) الأسماء والصفات للبيهقي (1/ 450).

اللَّهُمَّ ارزقنا حسن اليقين، وتوفنا مسلمين، وألحقنا بعبادك الصالحين،
وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، أقول ما
سمعت وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله المحمود على قدره وقضائه، والمتفضل على عباده بنعمه وعطائه،
والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، **أما بعد:**

أيها المؤمنون: ومن الثمرات الرضا بالقضاء والقدر أيضاً:

5 - اليقين بالعوض من الله تعالى، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ⁽¹⁾ **قال ابن كثير رحمه الله** في تفسيره: ومن أصابته مصيبة فعلم أنها بقضاء الله وقدره فصبر واحتسب واستسلم لقضاء الله تعالى هدى الله قلبه، وعوضه عما فاته من الدنيا هُدى في قلبه، وبقيناً صادقاً، وقد يُخلف عليه ما كان أخذ منه أو خيرا منه، قال ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:** (يهدي قلبه) يعني يهدي قلبه لليقين، فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ⁽²⁾.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله **ﷺ**: "إن الرجل ليكون له عند الله المنزلة، فما يبلغها بعمل، فما يزال يتلى به بما يكره حتى يبلغه إياها" ⁽³⁾.

6 - ومن ثمرات الرضا بالقضاء والقدر: أن يعلم الراضي أن التسخط

(1) [التغابن: 11].

(2) تفسير ابن كثير (8/138).

(3) مسند أبي يعلى (6095).

يورث الهمَّ والغم والحزن وشتات القلب، كما أن الرضا ينزل السكينة، ومن كان راضياً استقام قلبه وصلحت أحواله، **قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقْسُطُهُ وَعِلْمُهُ وَحِلْمُهُ جَعَلَ الرُّوحَ وَالْفَرَجَ فِي الْيَقِينِ وَالرَّضَا، وَجَعَلَ الهمَّ وَالْحَزْنَ فِي الشَّكِّ وَالسُّخْطِ** (1).

أخيراً أخِي المؤمن إِلَيْكَ هَذِهِ الْحَقَائِقُ:

إن كنت فقيراً فإن أزيد من مليار شخص في العالم يعيشون تحت خط الفقر، وأزيد من مليار آخرين يعيشون دون الحد الكافي من الطعام والحاجات الأساسية، ويموت قرابة ثلاثين ألف طفل يوميا بسبب الجوع، ومليار شخص في البلدان النامية لا يحصلون على كمية كافية من المياه.

وإن كنت مريضاً فإن مرضى السكري حولك تجاوزوا ثلاثمائة وخمسين مليون شخص، ومرضى الكبد تجاوزوا خمسمائة مليون شخص، وإن كنت تحس بالحزن وكدر العيش فإن أزيد من مليار شخص حول العالم يعيشون حالات اكتئاب.

أليست هذه الحقائق كفيلة بأن تُقَدَّرَ نعم الله عليك، فتعلم فضلك على كثير من المبتلين، وأنه سلمك من كثير من الأكدار والأسقام والأوجاع والأحزان،

فعليك أن تلهج وتكرر وتأمل وتدبر وتقول:

رَضِيتُ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لِي وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَى خَالِقِي

(1) اليقين لابن أبي الدنيا (ص 74).

كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ فِي مَا مَضَى كَذَلِكَ يُحْسِنُ فِي مَا بَقِيَ ⁽¹⁾

اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ، وَارْزُقْنَا الْاِسْتِقَامَةَ طَوْعَ أَمْرِكَ، وَتَفَضَّلْ عَلَيْنَا
بِعَافِيَّتِكَ وَجَزِيلِ عَفْوِكَ وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ
وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

(1) زهر الآداب وثمر الألباب (3/ 884).



المسلم الحقيقي

الخطبة الأولى

الحمد لله القائل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾⁽¹⁾، **وأشهد** أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾⁽²⁾، **وأشهد** أن محمدا عبده ورسوله القائل: (إن الله لا ينظر إلى أجسامكم، ولا إلى أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)⁽³⁾ صلى الله عليه وسلم. **وأصحابه أجمعين، أما بعد:**

فاتقوا الله عباد الله حق التقوى، ففيها صلاح الفرد والبلاد والعباد: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾⁽⁴⁾.

أيها المسلمون: إن من حق كل مسلم ومسلمة أن يسأل نفسه ويسأل غيره: لماذا حين بُعث النبي صلى الله عليه وسلم ودعا إلى الإسلام ودخل الناس في الإسلام تغيرت

(1) [المائدة: 3].

(2) [آل عمران: 85].

(3) صحيح مسلم (2564).

(4) [الأعراف: 96].

حياتهم، وتغيرت أخلاقهم، وتغيرت سيرتهم، وتغيرت حضارتهم؟ فقد كانوا قبل الإسلام متقاتلين ومتناحرين وظالمين ومتفرقين، وربما بعضهم كانوا لصوصا وقطاع طرق، وربما بعضهم كان يقتل بنته طفلة صغيرة، ولماذا حين دخلوا في الإسلام بنوا دولة من أعظم دول الدنيا؟ وأنشأوا حضارة من أفضل وأعرق حضارات الأرض؟ ولقد وصلت حضارتهم ودولتهم إلى أطراف العالم، وحتى إن الحضارة الغربية اليوم لم تقم إلا على أسس حضارة المسلمين المنهارة.

فلماذا تغيروا حين دخلوا في الإسلام، ووصلوا إلى هذا المجد العظيم، والفضل الكبير العميم؟ ثم سقطوا هذا السقوط المدوي حتى أصبحوا في ذيل القافلة كما يقال؟ ثم يسأل المسلم نفسه وهو يشاهد المسلمين اليوم متفرقين متناحرين، ظالمين ومتحاربين، من أذل الناس بين الأمم، ومن أكثر الناس تخلفا بين الدول، لماذا تقدمت كثير من الدول وتخلفوا، وتوحدت دول وتفرقوا، وتطورت الأمم وتراجعوا.

أيها المؤمنون: إن السبب الأهم في وصول المسلمين اليوم إلى ما وصلوا إليه أنهم تركوا حقيقة الإسلام، وضيعوا جوهر الإسلام، وابتعدوا عن تطبيق تعاليم الإسلام، اكتفوا من الإسلام ببعض الشعائر التعبدية الشخصية الظاهرة، تاركين حقيقة هذه التعبدات وغيرها، ومفرطين لأصل حقيقة الإسلام وجوهره، ومخالفين لأسس تعاليمه ومنارته.

الإسلام الحقيقي هو إسلام القلب والوجه لله تعالى، والاستسلام لأحكام

الشريعة، والانقياد لأوامره سبحانه، وتطبيقها واقعا في الحياة في جميع شؤونها ومجالاتها، **قال الأزهري:** فالإسلام: إظهارُ الخُضوعِ والقبولِ لما أتى به الرسول ﷺ (1).

فالمسلم الحقيقي المستقيم على أمر الله، فيعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا، قال تعالى على لسان نبيه: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (2).

والمسلم الحقيقي ينقاد لله، فيمثل أمره ويجتنب نهيه، ولا يقدم عقله وهواه على ما بلغه من شرع ربه، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (3).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وقوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾: يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يُحَكِّمَ الرسول ﷺ في جميع الأمور، فما حَكَمَ به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطنا وظاهرا، ولهذا قال: ﴿لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾. أي: إذا حَكَّمُوكَ يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجا مما حكمت به، وينقادون له في الظاهر والباطن، فيسلمون لذلك

(1) تهذيب اللغة (12/ 313)

(2) [الأنعام: 162].

(3) [النساء: 65].

تسليماً كلياً من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة⁽¹⁾.

تأملوا معي هذه الأمور، ولنسأل أنفسنا، ونقارن حالنا: هل نحن حقاً ملتزمون بما جاء به ديننا الحنيف؟ أم أن أحكامه في جانبٍ وحياتنا في جانب بعيد عنه؟

تكفير المسلمين بعضهم لبعض، أليس هذا الأمر مما جاء الشرع بالزجر عنه؟ واليوم كم هي الجماعات التي تكفر أو تفسق من خالفها أو عارضها، سواء كان التكفير بالتصريح أو بالتلميح، والإسلام جاء بالنهاي عنه، قال صلى الله عليه وسلم: «أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لِأَخِيهِ: "يَا كَافِرٌ"؛ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمْ»⁽²⁾. وقال أيضاً: «مَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكُفْرِ، أَوْ قَالَ: "عَدُوَّ اللَّهِ"، وَلَيْسَ كَذَلِكَ؛ إِلَّا حَارَّ عَلَيْهِ [أي: رَجَعَ عليه القول]»⁽³⁾.

وَمَنْ كَفَرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ؛ وَقَعَ فِي مُصِيبَتَيْنِ: الْأُولَى: اسْتَحَلَّ دَمَهُ، وَمَالَهُ، وَعَرَضَهُ.

وَالْأُخْرَى: حَكَمَ عَلَى أَخِيهِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَغْفِرُ لَهُ أَبَدًا، وَلَا يَرْحَمُهُ، وَلَا يُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ، وَيُخَلِّدُهُ فِي النَّارِ! وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْبَغْيِ وَالظُّلْمِ.

حُرْمَةُ دَمِ الْمُسْلِمِ، كم هي الآيات والأحاديث في النهي عن هذه الجريمة

(1) تفسير ابن كثير (2/349).

(2) صحيح البخاري (6104).

(3) صحيح مسلم (61).

العظيمة؟ وكم هي جرائم القتل العمد المنتشرة بين الناس اليوم؟ قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (1) وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (2): (لَزَوَالُ الدُّنْيَا؛ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ).

ولو طبقت على القتلة الأحكام الشرعية وهي القصاص دون التطويل والمماطلة في القضايا، وكان هذا الأمر أمام الناس لزال كثير من هذه الجرائم، ولكن ربما القاتل يجلس في السجن عشر سنوات أو أكثر يأكل ويشرب ولا يبالي في هذه الجريمة، وكلما تأخر تطبيق الحكم عليه وعلى أمثاله ذهبت هيبة الجريمة وعظمتها، واستهان الناس بها.

بل بعض سفهاء المسلمين اليوم يريدون إلغاء أحكام العقوبات التي جاء بها الإسلام.

والإسلام حرم الظلم بجميع صورته وأنواعه، وجعله من أكبر الكبائر، بالله عليكم كم هو الظلم المنتشر اليوم في أوساط المسلمين؟ كم هي المظالم التي تقع من المسلمين مع بعضهم البعض؟ كم هي المظالم وكم هو الظلم الذي يقع من الكبار على الصغار، ومن المتسلطين على الضعفاء والمحتاجين؟ كم هي تلك الأموال التي تؤخذ ظلماً من الضعفاء؟ وكم تلك الأموال التي يتبذر بها

(1) [النساء: 93].

(2) سنن الترمذي (1395).

الظلمة والنافذون من ظهور الضعفاء والمساكين؟.

إِنَّ اللَّهَ أَهْلَكَ أُمَّمًا وَدَوْلًا بِسَبَبِ ظَلَمِهِمْ، وَإِنْ هَلَكَ كَثِيرٌ مِنَ الدُّوَلِ وَلَوْ كَانَتْ مُسْلِمَةً إِنَّمَا السَّبَبُ الرَّئِيسُ لِهَذَا عِنْدَ التَّأَمُّلِ هُوَ الظُّلْمُ. قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾⁽¹⁾، وَهَذِهِ سُنَّةُ اللَّهِ فِي كُلِّ ظَالِمٍ وَلَوْ كَانَ فِي قُبْلَةِ الْمَسْجِدِ. **فَعَنَ** أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ، حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يَفْلِتْهُ)، ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾⁽²⁾.

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنَّ اللَّهَ يَقِيمُ الدُّوْلَةَ الْعَادِلَةَ وَإِنْ كَانَتْ كَافِرَةً، وَلَا يَقِيمُ الظَّالِمَةَ وَإِنْ كَانَتْ مُسْلِمَةً، وَيُقَالُ: الدُّنْيَا تَدُومُ مَعَ الْعَدْلِ وَالْكَفْرِ، وَلَا تَدُومُ مَعَ الظُّلْمِ وَالْإِسْلَامِ⁽³⁾.

وَقَالَ ﷺ: «مَنْ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ، فَقَالَ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟!، فَقَالَ ﷺ: «وَإِنْ كَانَ قَضِيًّا مِنْ أَرَاكَ»⁽⁴⁾.

قُلْ لِي بِرَبِّكَ: كَمْ هِيَ الْأَمْوَالُ الَّتِي تَنْهَبُ، وَالْأَرْضُ الَّتِي تُوْخَذُ،

(1) [الكهف: 59].

(2) صحيح البخاري (4686).

(3) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه (28 / 146).

(4) صحيح مسلم (137).

والمواريث التي تُسلب، والرشاوى التي تدفع، والضرائب التي تؤخذ ظلما في بلاد المسلمين؟.

وقال صلى الله عليه وسلم: «كَيْفَ يَقْدَسُ اللَّهُ أُمَّةً لَا يُؤْخَذُ لِضَعِيفِهِمْ مِنْ شَدِيدِهِمْ؟» (1)؟ أي كيف يظهرهم حتى يظهرهم على غيرهم؟ هذا لا يمكن أن يكون وهم متنجسون بالظلم والمظالم.

ثم يأتي بعض الناس ويقول لك: لماذا نحن في ذيل القافلة؟ بالله عليكم قولوا لي: كم هي الرشوات التي تدفع حتى يتوظف موظف في غير ما يستحق؟ وكم هي الرشوات التي تدفع حتى تعطى المنح الدراسية لغير من يستحق؟ وكم هي الرشوات التي تدفع لسلب حقوق الضعفاء والمساكين؟.

إن الكوادر المتعلمة والنوابغ والعقول الكبيرة تسافر دول الكفر ولا ترجع؛ لأنها هناك وجدت من يحترم عقلها وتفكيرها وتخصصها، معطية له حقه الذي يستحقه من التقدير العلمي والمهاري والمالي، ولو رجع إلى بعض الدول المسلمة لعاش فقيرا حقيرا، بل ربما محاربا مطاردا للأسف، وهذه حقيقة نقولها بكل أسف ومرارة.

كم هم الذين يتهربون في أعماق البحار والغابات حتى يصلوا إلى بعض دول الكفر؟ وكم هي تلك المآسي حين تغرق تلك القوارب أو يموتون في الجبال والغابات بسبب الثلوج؟ يا ترى لماذا هؤلاء يفرون من بلاد الإسلام إلى

(1) سنن ابن ماجه (4010).

بلاد الكفر؟ أليس بسبب أنهم لم يجدوا ما يقيم عيشتهم، ولم يجدوا رزقا يكفي لعائلاتهم؟.

الإسلام جاء باحترام العقل، داعيا للتطور، مشجعا على الابتكار والاختراع، باذلا للموهبين التشجيع والرعاية والتعاون والتفرغ، ولهذا سبقت الحضارة الإسلامية مَنْ قبلها بسبب ما ذكرنا، فلما وقعت أمة الإسلام بضد ذلك سقطت وبقية مريضة الحال منهكة الجسم ذليلة.

جاء الإسلام بالنهي عن الفرقة والتفرق، واليوم المسلمون من أكثر شعوب العالم تفرقا واختلافا، أحزابا متحاربة، وجماعات متفرقة، وطوائف متعددة، تكفر بعضها بعضا، وتقاتل بعضها بعضا، وتحارب بعضها بعضا، وتكره بعضها بعضا، وللأسف أن بعضها باسم الإسلام، والإسلام بريء منها، بل ربما بعضها تكون تابعة لأعداء الإسلام تنفذ أوامره وتحقق أحلامه في الطعن بالإسلام والقتل لأهل الإسلام والتفريق بين أهل الإسلام باسم الإسلام للأسف، والله تعالى يقول: ﴿وَاَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (1).

وهذا نهْيٌ عن كل تفرق واختلاف، ونهي عن كل ما يتسبب به ويوصل إليه.

أيها الناس: لو جلسنا نعدد من اليوم إلى يوم غدٍ عن أحكام وآداب وتشريعات الإسلام التي جاء بها والتي ضيعها المسلمون لما انتهينا من ذلك، وهو شيء محزن للقلب مبك للعين.

(1) [آل عمران: 103].

لقد ضيع كثير من المسلمين الإسلام من واقع حياتهم فأذلهم الله، وصدق الله القائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (1).

عن طارق بن شهاب **رَحِمَهُ اللَّهُ**، قال: لما قَدِمَ عُمَرُ أَرْضَ الشَّامِ أُتِيَ بِبِرْذَوْنٍ فَرَكِبَهُ، فَهَزَّهْ، فَكْرِهَهُ، فنزل عنه، وركب بغيره، فَعَرَضَتْ لَهُ مَخَاضَةٌ، فنزل عن بغيره، وَنَزَعَ مُوقِيَهُ، فأخذهما بيده، وخاض الماء، وَهُوَ مُمَسِّكٌ بَعِيرَهُ بِخِطَامِهِ - أَوْ قَالَ: بِزِمَامِهِ، فقال له أبو عبيدة بن الجراح: لَقَدْ صَنَعْتَ الْيَوْمَ صَنِيعًا عَظِيمًا عِنْدَ أَهْلِ الْأَرْضِ، قَالَ: فَصَكَّ فِي صَدْرِهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَوَّه - يَمْدُ بِهَا صَوْتَهُ - لَوْ غَيْرَكَ يَقُولُ هَذَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ، إِنَّكُمْ كُنْتُمْ أَذَلَّ النَّاسِ، وَأَقَلَّ النَّاسِ، وَأَحْقَرَ النَّاسِ، فَأَعَزَّكُمْ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ، فَمَهْمَا تَطَلُّبُوا الْعِزَّ بِغَيْرِهِ يُذَلِّكُمْ اللَّهُ» (2).

فمتى رجعت الأمة معتزة بدينها قولاً وفعلاً وسلوكاً أعزها ورفعها كما كانت.

بارك الله لي ولكم بالقرآن العظيم وسنة نبينا الكريم، أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فيا فوز المستغفرين.

(1) [الرعد: 11].

(2) الزهد والرقائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد (584).

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي أعزَّنَّا بالإسلام، وأكرمنا بالإيمان، ورحمنا بنبيِّه عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، والصلاة والسلام نبينا محمداً، الذي من تمسك بدينه وسنته سعدت حياته، وحَسُنَتْ خاتمته، ومن ترك ذلك نُغِصَ عيشه وساءت خاتمته، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحبه أجمعين، **أما بعد:**

أيها المؤمنون: من أراد أن يعلم يقينا كيف أثر الإسلام على الناس حين تمسكوا به حتى تغيرت حياتهم في كل المجالات، وغيروا الدنيا، وأسسوا حضارة من أعرق الحضارات وأعظمها فليقرأ للمنصفين من المستشرقين وغيرهم من أهل الكفر، ويطلع على ما قالوه عن ذلك، وسأنقل لكم بعض كلامهم حتى تعلموا أين كنا في ماضينا وأين أصبحنا في حاضرنا.

يقول العالم الأسباني خوسيه لويس بارسلو: أرسى الإسلام مدنيَّة متقدمة تعد في الوقت الحاضر من أروع المدنيات في كل العصور، كذلك فإنه جمع حضارة متينة متقدمة، وذلك إذا ما طرحنا جانباً الاضمحلال الواضح للقوى السياسية، فإن الشخصية الجماعية للإسلام قد صمدت أمام كافة أنواع التغيرات؛ هذه هي روح الإسلام كما يجب أن يفهمها أولئك الذين يحاولون عن عَمَلٍ وسوء نية تشويه صورته.

ويقول المستشرق الألماني شاخت جوزيف متحدثاً عن الشريعة

الإسلامية، والتي لعبت دوراً هاماً في الحضارة الإسلامية، فيقول: "من أهم ما أورثه الإسلام للعالم المتحضّر قانونه الديني الذي يسمى (بالشريعة)، والشريعة الإسلامية تختلف اختلافاً واضحاً عن جميع أشكال القانون إلى حدّ أن دراستها أمر لا غنى عنه؛ لكي نقدر المدى الكامل للأمور القانونية تقديرًا كافياً.. إن الشريعة الإسلامية شيء فريد في بابه، وهي جملة الأوامر الإلهية التي تنظم حياة كل مسلم من جميع وجوهها، وهي تشمل على أحكام خاصة بالعبادات والشعائر الدينية كما تشمل على قواعد سياسية وقانونية..".

ويقرر المستشرق الفرنسي جوستاف لوبون في كتاب (حضارة العرب) عالمية الحضارة الإسلامية فيقول: لم يقتصر فضل العرب والمسلمين في ميدان الحضارة على أنفسهم؛ فقد كان لهم الأثر البالغ في الشرق والغرب، فهما مدينان لهم في تمدنهم، وإن هذا التأثير خاص بهم وحدهم؛ فهم الذين هذبوا بتأثيرهم الخلقي البرابرة (الصلبيين).

ويقول ريتشارد كوك في كتابه (مدينة السلام): إن أوروبا لتدين بالكثير لأسبانيا العربية (الأندلس) فقد كانت قرطبة سراجاً وهاجاً للعلم والمدنية في فترة كانت أوروبا لا تزال ترزح تحت وطأة القذارة والبداية، وقد هيا الحكم الإسلامي في إسبانيا مكانة جعلها الدولة الوحيدة التي أفلتت من عصور الظلام.

ويقول العالم الصيني لي قوان فبين: الحضارة الإسلامية من أقوى حضارات الأرض، وهي قادرة على اجتياز أي عقبات تواجهها؛ لأنها حضارة إنسانية الطابع، عالمية الأداء، رفيعة القدر علمياً وفكرياً وثقافياً وبعدها تعمّقت

في الأدب العربي القديم والحديث ازداد اقتناعي بأن الشرق يمتلك سحر الحضارة والأدب والثقافة، وأنه صاحبُ الكلمة المفكِّرة والعقلية المنظمة؛ إذن فالحضارة الإسلامية تحمل عوامل البقاء، لأنها عصية على الهدم، لتوافر أركان التجدد والحيوية في نبضها المتدفق، وهي من أقوى حضارات الأرض قاطبة؛ لأنها تستوعب كل ما هو مفيد من الآخر وتصهره في نفسها ليصبح من أبنائها، بخلاف الحضارة الغربية المعاصرة، كما أن الحضارة العربية الإسلامية تتسم بأنها عالمية الأداء والرسالة، إنسانية الطابع، جوهرها نقي ومتسامح.

وقد أبدى الباحث اليهودي "فرانز روزانتال" إعجابه الشديد ودهشته البالغة لسمو الحضارة الإسلامية وسرعة تشكلها، فيقول: "إن ترعرع هذه الحضارة هو موضوع مثير، ومن أكثر الموضوعات استحقاتاً للتأمل والدراسة في التاريخ، ذلك أن السرعة المذهلة التي تم بها تشكل وتكوّن هذه الحضارة أمر يستحق التأمل العميق، وهي ظاهرة عجيبة جداً في تاريخ نشوء وتطور الحضارة، وهي تثير دوماً وأبداً أعظم أنواع الإعجاب في نفوس الدارسين، ويمكن تسميتها بالحضارة المعجزة، لأنها تأسست وتشكلت وأخذت شكلها النهائي بشكل سريع جداً ووقت قصير جداً، بحيث يمكن القول إنها اكتملت وبلغت ذروتها حتى قبل أن تبدأ"⁽¹⁾.

(1) ينظر هذا المقال وغيره من المقالات: منشور على الشبكة العنكبوتية بعنوان: (شهادات استشرافية أنصفت الحضارة الإسلامية)، وينظر كتاب: أثر الحضارة الإسلامية على أوروبا (لسلمى ياسر).

أخيرا: لو حقق المسلمون العدل والنظام، وتحصنوا بالأخلاق الإسلامية التي جاء بها في جميع صورها، لأن الأزمة هي أزمة أخلاق وفكر، لو حققوا ما ذكرنا لعادت لهم حضارتهم ومجدهم، وإذ لم يحققوا ذلك فلا يزالون في ذيل القافلة؛ لأن السنن الكونية لا تحابي أحدا.

اللهم اجمع كلمة المسلمين على الحق والدين، اللهم انصر من نصر الدين، وأسعد ووفق كل من عمل على نشر الإسلام ونفع المسلمين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا وعلى آله وأصحابه أجمعين.



الأخوة الإيمانية

الخطبة الأولى

الحمد لله القائل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾⁽¹⁾ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾⁽²⁾، **وأشهد أن** محمدا عبده ورسوله القائل كما في سنن الترمذي **رَحِمَهُ اللَّهُ:** «المسلم أخو المسلم، لا يخونه، ولا يكذبه، ولا يخذله، كل المسلم على المسلم حرام، عرضه وماله ودمه»⁽³⁾ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وصحبه أجمعين، **أما بعد:**

فاتقوا الله عباد الله حق التقوى، فهي نجاة لمن اتصف بها في الدنيا والآخرة، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾⁽⁴⁾.

أيها المؤمنون: إن هناك عبادة عظيمة، وصفة كريمة، وخلعة جميلة، جاء الإسلام بها، وحث عليها، وجمع المسلمين عليها، وحذر من ضدها لئلا

(1) [الحجرات: 10].

(2) [آل عمران: 103].

(3) سنن الترمذي (1927).

(4) [الحشر: 18].

تضعف للمسلمين شوكتهم، ولا يتغلب عليهم عدوهم، هذه الصفة هي الأخوة الإسلامية والرابطة الإيمانية.

إن الأخوة الإسلامية شجرة وارفة الظلال، يستظل بفيئها من أراد السعادة والهناء، والقوة والبقاء، إنها شجرة تؤتي أكلها كل حين، شهية ثمارها، طيبة ريحها، تأوي إليها النفوس الظمأى لترتوي منها معاني الود والمحبة، والألفة والرحمة، والعزة والكرامة، والقوة والمهابة، وهي الحق الذي لا يقهر.

ولقد جعل الله بين المؤمنين أخوةً هي أعظم من أخوة النسب، ورابطةً هي أقوى من رابطة الدم، وشرع الموالاة على ذلك، ورغب في كل ما يزيد منها ويقويها؛ لأن بها قيام الدين وتعاون المسلمين، ونهى عن كل ما يخل بها؛ لأن في اختلالها فساد الدين وشتات أمر المسلمين، حتى يضعفوا ويتسلط عليهم عدوهم: قال **جَلَّ وَعَلَا**: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١﴾.

فانظروا رحمكم الله كيف قرن الله سبحانه الامتنان على عباده بهاتين النعمتين العظيمتين، وهما نعمة التأليف بين قلوب المؤمنين، ونعمة إنقاذهم بهذا الدين من السقوط في نار جهنم.

(١) [آل عمران: 102].

إن الأخوة الإسلامية والرابطة الإيمانية ليست مجرد كلمات تلفظها الأفواه، أو يتغنى بها الشعراء، أو يلقيها الخطباء والوعاظ، بل الأخوة الإسلامية معنى عظيم، ودين كريم يُرجى من الله ثوابه.

إن الأخوة الإسلامية عدل مع جميع المسلمين، لأنهم إخوانك، وهي مسارعة إلى نصره الضعفاء والمحتاجين وتفريج كربتهم ونجدتهم حال حاجتهم، وإعانتهم حال فقرهم وحاجتهم، وعدم خذلانهم حين يُظلمون ويُعتدى عليهم، وكذلك الوقوف معهم في محنتهم، وإعانتهم على بلائهم، ﴿وَإِنْ اسْتَنْصَرُواكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ﴾⁽¹⁾.

إن القيام بهذه الحقوق هو امتثال لقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾⁽²⁾، ولقوله **جَلَّ وَعَلَا**: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾⁽³⁾.

كما أنه امتثال لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «المسلم أخو المسلم؛ لا يظلمه، ولا يُسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربةً فرّج الله عنه كربةً من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة، ومن يسر على مُعسرٍ في الدنيا يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»⁽⁴⁾.

(1) [الأنفال: 72].

(2) [الحجرات: 10].

(3) [التوبة: 71].

(4) صحيح مسلم (2564).

وفي هذا الحديث أن الجزاء من جنس العمل، من فرج عن أخيه كربةً فرج الله عنه، وإذا كان سيفرج عنه كربات يوم القيامة فإنه ولا شك سيفرج عنه من كربات الدنيا، لأنه إنما ذكر كربات القيامة لأنها أشد وأهوالها أعظم، فذكر الأكبر والأعظم إشارة إلى ما دونه.

وهو امتثال لقول النبي ﷺ: "مثل المؤمنين في توادهم، وتراحيمهم، وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" (1).

وهو امتثال لقول النبي ﷺ: «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله، ولا يحقره التقوى هاهنا» ويشير إلى صدره ثلاث مرات «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه» (2).

فانظروا -رحمكم الله- إلى الآيات والأحاديث التي تحت على هذه الرابطة الوثيقة والصفة الحميدة، وقارنوها بحال المسلمين اليوم.

إن الأخوة الإسلامية والروابط الإيمانية فرقته الاختلافات الحزبية، والتناحرات المذهبية والتنظيمية، والمماحكات السياسية، حتى جعلت الأمة

(1) صحيح مسلم (2586).

(2) صحيح مسلم (2564).

الإسلامية أمام أعدائها ضعيفة القوى، كثيرة الفوضى، عديمة الجدوى، كثيرة العدد من غير عدد، أمة لعبت بها هذه الاختلافات حتى أصبح مَعْقِدُ الْوَلَاءِ والبراء والحب والبغض والبعد والقرب والثناء والمدح والذم والقدح هو بحسب الانتماءات الحزبية، والقراية التنظيمية أو الطائفية، حتى ضاعت بسبب ذلك الأخوة الإسلامية، والقراية الإيمانية، فإن كنت في الجماعة الفلانية وكنت مطيعا للأوامر فأنت الأخ في الله، والذي تُحِبُّ في الله، فإن ابتعدت عنهم قليلا أو كنت من جماعة أخرى وحزب آخر فأنت عدو الله وعدو رسوله، وتَنَزَّلُ عليك الأحكام والبراءات منك، وكأنك خارج عن الملة، بعيد عن الدين، ففترقت الأمة الإسلامية أحزابا وجماعات، حتى ضعف أمرها، وتسلب عليها أعداؤها، وتحكم في قراراتها، واستولى على ثرواتها، وما زال التفريخ لهذه الاختلافات في تزايد وتكاثر للأسف الشديد.

إن الشيطان حين يئس أن يوقع عموم المسلمين في الشرك والكفر جاء إليهم من طريق أخرى تضعف شوكتهم، وتفرق صفهم، وتمزق وحدتهم، وتضعف قوتهم، ألا وهي التحريش بينهم بمثل هذه الاختلافات والتفرقات والتناحرات، **ففي صحيح مسلم رحمه الله عن جابر رضي الله عنه**، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن الشيطان قد أيس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم»⁽¹⁾.

فانظروا إلى اقتران التحريش بعبادة الشيطان، فغايتة الأولى أن يُعْبَدَ هو من

(1) صحيح مسلم (2812).

دون الله، وإذا عجز عن تحقيق مراده، تنحى إلى المرتبة التي تليها، وهي فصل تلك الروابط الإيمانية بين المسلمين، عن طريق إحداث النزاع بالتحريش، فقد أدرك اللعين أنه إذا بقي في قلب المؤمن شيء من ذلك، فلن يستطيع الوصول إلى قلبه ولا استعباده، فتربط القلوب بهذا المعنى لا يدع مجالاً للأعداء في التسلط عليهم، وأولهم الشيطان، وما سواه من باب أولى.

فإذا علمنا أن الأخوة الإيمانية رباطٌ وثيق يمنع تسلط الأعداء، وحصن حصين يصدُّ أهله عن مسالك الأشقياء، بالدليل البين، والبرهان المضيء، فعلى المسلمين عموماً وعلى الكبار من العلماء والدعاة ورؤساء الأحزاب والتنظيمات السعي في لَمِّ المسلمين وجمعهم؛ لأنه والله لو اتفق الكبار لانتقاد الصغار، مع أن كثيراً من هذه الخلافات والاختلافات بين هذه الجماعات والأحزاب هي خلافات على المصالح الدنيوية، والكراسي الشخصية، والزعامات والمصالح الضيقة. وللأسف أنها تُروَّج بين الناس والأتباع باسم الإسلام.

واعلموا أن أول مراحل انتصار أعداء الإسلام على المسلمين حين فرقوا المسلمين أحزاباً وجماعات، مختلفة فيما بينها، متناحرة في توجهاتها، مضطربة في أفكارها، متعصبة لأرائها، محتقرة لغيرها، حاصرة للحق في نفسها، نافية له عن غيرها.

ألا وإن أي حزب أو جماعة يربي أتباعه وأصحابه أنه صاحب الحق الواحد، وأن غيره على ضلال، وأنه هو الجماعة الأم التي هي جماعة كل الأمة، أو أنه هو

الذي على السنة وغيره على البدعة، مثل هؤلاء الذين يربون أتباعهم وأصحابهم على هذا يفرقون الأمة الإسلامية من حيث يشعرون لا يشعرون، ويمزقون وحدتها وأخوتها، ويخالفون قول الله سبحانه: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (1).

فهل من عودة صادقة، ورجعة جادة، وتوبة إلى الله من كل ما يفرق أمة الإسلام.

نفعنا الله وإياكم بالقرآن العظيم وسنة النبي الكريم، أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

(1) [الحج: 78].

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي جعل أخوة الدين أقوى الروابط، والصلاة والسلام على نبينا محمد الذي جعل من بناء دولة الإسلام المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه أجمعين، **أما بعد:**

أيها الناس: لقد وقف أعداء الإسلام متأملين في أسباب انتصارات المسلمين حين ظهر الإسلام وانتشر انتشارا سريعا في أرجاء الأرض، وقامت بذلك حضارة الإسلام والتي ما زال المنصفون من الغربيين يذكرونها إلى يومنا هذا، وهنا وقف أعداء الإسلام يبحثون عن سبب تفوق المسلمين واجتماعهم وانتصاراتهم.

وكان أول من طرح هذا التساؤل قديما هو هرقل قيصر الروم الذي أذهلته الهزائم المتوالية لجيوشه على يد المسلمين، فأجابه قائد الجيوش قائلا: إنهم بشر ولكنهم ليسوا بالبشر، إنهم رهبان بالليل فرسان بالنهار، إنهم يصلون ويصومون ولا يشربون الخمر ولا يزنون، ولو سرق ابن ملكهم لقطعوا يده، وما من أحد إلا ويتمنى أن يموت قبل أخيه، فقال له هرقل: والله إن كانوا كما تقول ليملكن موضع قدمي هاتين، وتحقق ما توقعه بعد سنوات حيث خرج من سوريا وهو يردد العبارة الشهيرة: "سلام عليك يا سوريا سلاماً لا لقاء بعده" ⁽¹⁾ لقد جسدت كلمات هرقل وقائد جيوشه سر قوة المسلمين المتمثلة في إيمانهم

(1) ينظر فتوح الشام للواقدي (1/ 149) فقد ذكر محاوره قيصر مع حاشيته محاوره يظهر فيها أسباب سقوط الحضارات والأمم. وهو الذي نعيشه اليوم.

بعقيدتهم، وتطبيقهم لشريعتهم، واتقاء ما حرم الله، حينئذ لو اجتمعت كل قوى البشر ضد المسلمين ما نالت منهم شيئاً ما داموا قد تغلبوا على هوى نفوسهم، والتزموا أوامر الله، وانتهوا عن نواهيه.

وهنا سعى أعداء الإسلام لتفريق الأمة في الأمور التي كانت سبب قوتهم واجتماعهم، فزرعوا في أمة الإسلام أناساً عقولهم وأفكارهم وتوجهاتهم كلها تعمل على تفريق المسلمين، ونشر الفساد في أوساط المسلمين، والتشكيك في المُسَلِّمات الدينية والمعتقدات الإسلامية، وعمل هؤلاء على إثارة النعرات الطائفية، والخلافات الحزبية، والحروب الداخلية والخارجية، فانشغل المسلمون عن أهداف أمتهم، ونشر دينهم، والمحافظة على حضارتهم بهذه الأمور. فمتى أرادت الأمة العودة إلى عزتها والنصر على أعدائهم فلتوحد صفوفها، وتتفق كلمتها على دين الإسلام الذي دخل في ظله كل من تمسك به وحافظ عليه وطبقه واقعا في حياته ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾⁽¹⁾.

وهذه رسالة إلى الكبار الذين فرقوا الأمة أحزاباً متناحرة وجماعات متقاتلة أو متباغضة أو تنظيمات متحاببة اتقوا الله في أمة الإسلام ووحّدوا صفوفها واجمعوا كلمتها.

اللهم عليك بالخونة المجرمين، واليهود الغاصبين، والنصارى المعتدين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

(1) [الحج: 78].



صفات قلوب أهل الإيمان

الخطبة الأولى

الحمد لله القائل: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾⁽¹⁾، **وأشهد** أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾⁽²⁾ **وأشهد** أن محمد عبده ورسوله القائل: «لَا تَبَاغُضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ»⁽³⁾، **وأشهاد** وأصحابه أجمعين، **أما بعد:**

فاتقوا الله حق التقوى فهي وصية الله لعباده الأولين والآخرين ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾⁽⁴⁾.

أيها المؤمنون: جاء في الحديث الذي رواه ابن ماجه وصححه كثير من أهل العلم **عن** أبي موسى الأشعري **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، عن رسول الله، **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، قال: «إِنَّ اللَّهَ

(1) [الشعراء: 88].

(2) [الحشر: 10].

(3) صحيح البخاري (6065).

(4) [النساء: 131].

لَيَطَّلِعُ فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَيَغْفِرُ لَجَمِيعِ خَلْقِهِ إِلَّا لِمُشْرِكٍ أَوْ مُشَاحِنٍ»⁽¹⁾.

تأملوا - إخواني - في هذا الخلق الذميمة الذي قرنت عظمته مع الشرك بالله تعالى (فَيَغْفِرُ لَجَمِيعِ خَلْقِهِ إِلَّا لِمُشْرِكٍ أَوْ مُشَاحِنٍ)، **والمشاحن هو المعادي والمخاصم،** والمشاحن هو المبغض والحاسد والحاقد، فكم تنتشر اليوم الشحناء والبغضاء بين الأقارب والأرحام، وكم تنتشر بين الأصحاب والأحباب، وكم هي منتشرة في أوساط المسلمين، إنها أمراض تنتشر بين كثير من الناس انتشار النار في الهشيم.

أيها الناس: إن تنقية القلوب من الأمراض المهلكة من أعظم العبادات وأرفعها، وأحسن القربات وأنفعها، وقد وردت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في الحث على هذه العبادات العظيمة والتحذير من ضدها، لأن مرض القلب واتصافه بالغل أو الحقد أو الحسد أو الكراهة للآخرين من أعظم الذنوب وأسوئها، وأقبح الصفات وأردها، قال **جَلَّ وَعَلَا** في وصف أصحاب القلوب السليمة: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾⁽²⁾.

يقول الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: ونص كثير من الأئمة أن الاشتغال بتطهير القلوب أفضل من الاستكثار من الصّوم والصّلاة مع غش القلوب ودغلها،

(1) سنن ابن ماجه (1390).

(2) [الحشر: 10].

وَمَثَلٌ مَنْ يَسْتَكْثِرُ مِنَ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ مَعَ دَغَلِ الْقَلْبِ وَغَشَّهْ، كَمَثَلٍ مَنْ بَذَرَ بَذراً فِي أَرْضٍ دَغَلَةٍ كَثِيرَةِ الشَّوْكِ، فَلَا يَزْكُو مَا يَنْبَتُ فِيهَا مِنَ الزَّرْعِ بَلْ يَمْحَقُهُ دَغَلُ الْأَرْضِ وَيُفْسِدُهُ، فَإِذَا نُظِّفَتِ الْأَرْضُ مِنْ دَغَلِهَا زَكَا مَا يَنْبَتُ فِيهَا وَنَمَا⁽¹⁾.

قال بعض الصالحين: ليس من العبادات شيءٌ أنفعَ من إصلاحِ خواطر القلوب⁽²⁾.

وقال بعض السلف: أفضلُ الأعمالِ سلامةُ الصُّدُورِ، وسخاوةُ النُّفُوسِ⁽³⁾.

أَحْسِنُ إِلَى النَّاسِ كُلِّ النَّاسِ قَاطِبَةً وَالْحَقْدَ فَاحْذَرُ وَأَصْلَحْ مُضْغَةَ الْقَلْبِ⁽⁴⁾

إن داءَ الحقدِ يبدأ من الكراهية الشديدة للغير، ثم يتحول إلى عداوة دفينية في الصدر، وآخر مراحله هو الرغبة بالانتقام، وإنزال السوء بمن يكرهه الحاقداً، سواء كان هذا الانتقام لفظياً من غيبة ونميمة وانتقاص وتشويه سمعه، أو كان جسدياً أو معنوياً، حتى يخفف من قلبه هذا المرض القبيح؛ لأن الحقد حِمْلٌ ثَقِيلٌ قد أتعبه، ولأنه دائماً مشغول الفكر، غير مرتاح البال، دائماً يفكر ويبحث عن الكلمة التي يُخرجها لكي تُزعج الشخص الذي يحقد عليه، كما يبحث عن التصرف الذي يزعج من يحقد عليه، فهو دائماً يحاول أن يناله بسوء، لذا فهو في

(1) لطائف المعارف لابن رجب (ص: 255)

(2) سير السلف الصالحين (4/ 1210).

(3) لطائف المعارف (ص: 139).

(4) من كلماتي.

قَلَقٍ دَائِمٍ، لَا يَهْنَأُ بِمَنَامٍ، وَلَا يَتَلَذَّذُ بِلُقْمَةٍ، حَتَّى إِنْ بَعْضُ الْحَاقِدِينَ يَكُونُ حُلْمُهُ فِي الْمَنَامِ فَيَمْنُ يَحْقُدُ عَلَيْهِ. وَلَقَدْ صَدَّقَ الْعَلَامَةُ ابْنُ الْقَيْمِ **رَحِمَهُ اللَّهُ** حِينَ قَالَ: وَلَا تَظُنَّ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ ⁽¹⁾ مَخْتَصٌ بِيَوْمِ الْمَعَادِ فَقَطْ، بَلْ هُوَ لَا فِي نَعِيمٍ فِي دَوْرِهِمُ الثَّلَاثَةَ أَيْ فِي الدُّنْيَا وَالْقَبْرِ وَالْقِيَامَةِ، وَهُوَ لَا فِي جَحِيمٍ فِي دَوْرِهِمُ الثَّلَاثَةَ. وَأَيُّ لَذَّةٍ وَنَعِيمٍ فِي الدُّنْيَا أَطْيَبُ مِنْ بَرِّ الْقَلْبِ، وَسَلَامَةِ الصَّدْرِ، وَمَعْرِفَةِ الرَّبِّ تَعَالَى وَمَحَبَّتِهِ، وَالْعَمَلِ عَلَى مُوَافَقَتِهِ؟ وَهَلِ الْعَيْشُ فِي الْحَقِيقَةِ إِلَّا عَيْشُ الْقَلْبِ السَّلِيمِ ⁽²⁾.

إِنَّ الْحَقْدَ وَالْغِلَّ وَالْكَرَاهَةَ هِيَ الْمَصَادِرُ الدَّفِينَةُ لكَثِيرٍ مِنَ الرِّذَائِلِ الَّتِي رَهَّبَ مِنْهَا الْإِسْلَامُ وَحَذَرَ مِنْهَا، فَالْإِفْتِرَاءُ عَلَى الْأَبْرِيَاءِ جَرِيمَةٌ يَدْفَعُ إِلَيْهَا الْكَرْهَ الشَّدِيدَ الَّذِي هُوَ (الْحَقْدُ)، وَقَدْ عَدَّهَا الْإِسْلَامُ مِنْ أَقْبَحِ الزُّوْرِ، أَمَّا الْغِيْبَةُ فَهِيَ مَتَنَفَّسٌ حَقْدٌ مَكْظُومٌ، وَصَدْرٌ فَقِيرٌ إِلَى الرَّحْمَةِ وَالصَّفَاءِ، وَمَنْ لَوَازِمُ الْحَقْدِ سُوءُ الظَّنِّ وَتَتَبَعَ الْعَوْرَاتِ، وَاللِّمَزَ، وَتَعْيِيرُ النَّاسِ بِعَاهَاتِهِمْ، أَوْ خَصَائِصِهِمُ الْبَدَنِيَّةِ أَوْ النَّفْسِيَّةِ، وَقَدْ كَرِهَ الْإِسْلَامُ ذَلِكَ كُلَّهُ كَرَاهِيَةً شَدِيدَةً وَحَرَمَهَا تَحْرِيمًا أَكِيدًا.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ: تَأَمَّلُوا فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الْعَظِيمَةِ وَعَنَايَةِ الْإِسْلَامِ بِالْقَلْبِ، فَقَدْ جَاءَ فِي الصَّحِيحِينَ **عَنِ** النَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مَضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ"

(1) [الانفطار: 13].

(2) الجواب الكافي (ص 121).

الجسد كله، ألا وهي القلب" (1).

وفي صحيح مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ" (2).

فمن كان قلبه سليماً في العقيدة والتوحيد، وسليماً من الغل والحقد والحسد، ومن الكبر والغرور والخيلاء فهو من أهل رحمة الله، ومن اتصف بصفات الحقد والغل والحسد والمكر والخيلاء والكبر فهو محروم من نظر الله. نظر الرحمة والعطف والمحبة، **قال الحافظ ابن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:** ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (3) والذي عندي أنه لا يكون القلب سليماً إذا كان حقوداً حسوداً، معجباً متكبراً، وقد شرط النبي ﷺ في الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه (4).

وفي سنن ابن ماجه رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قيل لرسول الله ﷺ: أي الناس أفضل؟ قال: «كُلُّ مَخْمُومٍ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ»، قالوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ، نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: «هُوَ التَّقِيُّ

(1) صحيح البخاري (52)

(2) صحيح مسلم (2564).

(3) [الشعراء: 89، 90].

(4) أحكام القرآن (3/ 459).

النَّقِيَّةِ، لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيٍ، وَلَا غِلٍّ، وَلَا حَسَدٍ⁽¹⁾.

المخموم القلب: النقي القلب من الحسد والغل والحقد، قلبه له صفاء ونقاء وجمال كمثل البيت الذي قد نُقِيَ من جميع الأوساخ والأدناس.

قال العلامة ملا علي القاري رَحِمَهُ اللَّهُ: أي: سليم القلب لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾⁽²⁾، "مِنْ خَمَمَتِ الْبَيْتَ إِذَا كَنَسْتَهُ عَلَى مَا فِي الْقَامُوسِ وَغَيْرِهِ، فَالْمَعْنَى: أَنْ يَكُونَ قَلْبُهُ مَكْنُوسًا مِنْ غُبَارِ الْأَغْيَارِ، وَمُنْظَفًا مِنْ أَخْلَاقِ الْأَقْذَارِ"⁽³⁾.

ومن أراد أن ينظر إلى عظيم خطورة مرض القلب بالحقد والغل وغيرها من الأمراض فليتأمل هذه الحديث الذي رواه الإمام أحمد وغيره عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ وَفِي رِوَايَةٍ تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ عَلَى اللَّهِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ مُسْلِمٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءٌ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا"⁽⁴⁾.

وفي سنن ابن ماجه رَحِمَهُ اللَّهُ، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن رسول الله ﷺ

(1) سنن ابن ماجه (4216).

(2) [الشعراء: 89].

(3) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (8/ 3260).

(4) صحيح مسلم (2565).

قال: "ثَلَاثَةٌ لَا تَرْفَعُ صَلَاتَهُمْ فَوْقَ رُءُوسِهِمْ شَبْرًا: رَجُلٌ أُمَّ قَوْمًا وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ، وَامْرَأَةٌ بَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَلَيْهَا سَاخِطٌ، وَأَخْوَانٌ مُتَصَارِمَانِ"⁽¹⁾. أي متخاصمان ومتقاطعان.

سلامة القلب نورٌ يُستضاء به	لا الشمسُ تُشبههُ كلا ولا القمرُ
وأحسنُ الناسِ قلبًا لا جفاء به	كلا ولا حسدٌ يَأْتِي ولا ضررُ
إن الحسودَ لَنَارٌ لا مثيلَ له	به التعاسةُ للأرواح والشرُّ
طهارة القلبِ أسمى كلِّ مكرمةٍ	بها السعادةُ والإسعادُ والظفرُ
فَطَهَّرِ القلبَ من غِلٍّ ومن حسدٍ	وحسِّنِ الظنَّ... في الأحداثِ مُعْتَبِرٌ ⁽²⁾

أَسْأَلُ اللَّهَ الْكَرِيمَ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَنَا مِنْ كُلِّ مِنْ مَرَضٍ وَدَاءٍ، وَأَنْ يَجْعَلَنَا جَمِيعًا مِنَ السَّعْدَاءِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ فَاسْتَغْفِرُوهُ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

(1) سنن ابن ماجه (971)

(2) من كلماتي.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي جعل دين الإسلام داعياً لأحسن الصفات وأفضلها، ومحذراً من قبيح الخلال وسيئها، والصلاة والسلام على من وصفه ربه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (1) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه أجمعين، **أما بعد:**

أيها المؤمنون: إن مما ابتليت به أمة الإسلام اليوم أن تفرقت أحزاباً متناحرة، وجماعات متفرقة، ودولاً متحاربة، وأرحاماً متهاجرة، كل ذلك كان متولداً من قلوب مريضة بالأحقاد والحسد والغل الذي حذر منه الإسلام، فلما مرضت القلوب بهذه الأمراض المهلكة تولدت منها هذه الأخلاق المدمرة للأسف، **وقد صدق النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين قال: «دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ؛ الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ، هِيَ الْحَالِقَةُ، حَالِقَةُ الدِّينِ، لَا حَالِقَةَ الشَّعْرِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا تَوَّعُّوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلَا أَنْبَأَكُمْ بِأَمْرٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؛ أَفْشَوْا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ» (2)، **والحالقة هي الماحية للشواب، الموقعة في العقاب، وقد تصل إلى القتل وقطع الرقاب.**

لقد دمر الحقد والحسد والغل أوطاناً ومزقها، وفرق أسراً وشتتها، وأهلك مجتمعات وأفسدها، وهو أخطر من الأمراض الفتاكة، والأوبئة المعدية،

(1) [القلم: 4].

(2) صحيح مسلم (54).

والسموم القاتلة.

وإن هناك أيادي خبيثة تسعى بين الناس في إفساد القلوب المتقاربة، والنفوس المتصافية، والأرحام المتوائمة، والصدقات المتحابّة، هذه النفوس الخبيثة تسعى بين الناس بهذا الفساد كثيرا، حتى كثرت ووجدت حتى في أوساط من ظاهرهم الصلاح في المساجد وغيرها حتى تم تشويه أناس أبرياء بسبب هؤلاء الأمراض وهم كثير، فليحذر العاقل المسلم من هؤلاء وتصديقهم، ومن جاء إليك ليحدثك عن أخيك المسلم وقريبك وجارك بما تكره ليملاً قلبك حقدا عليه فاحذر من هذا المريض أشد الحذر، **ولقد صدق ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** حين قال: (الكذب فجور، والنميمة سحرٌ، فمن كذب فقد فجر، ومن نَمَّ فقد سحر) (1).

وقال الإمام بن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ: وما في جميع الناس شر من الوشاة، وهم النمامون، وإن النميمة لطبع يدل على نتن الأصل، ورداءة الفرع، وفساد الطبع، وخبث النشأة، ولا بد لصاحبه من الكذب؛ والنميمة فرع من فروع الكذب ونوع من أنواعه، وكل نمام كذاب (2).

فكيف يصدق العاقل على أخيه المسلم من هذا وصفه وهذا طبعه وهذا خلقه.

(1) عيون الأخبار (2 / 31).

(2) رسائل ابن حزم (1 / 173).

أخي المسلم: ستجد في حياتك من يحقد عليك أو يحسدك، وستجد في حياتك من يغتابك ويتقص منك، وستجد في حياتك من يتمنى زوال نعمة الله عليك، ويفرح بسقوطك أو حاجتك، ولو أنك عاملت هؤلاء الناس بمثل أخلاقهم لاجتمع فيك الشر كله، ولكن قابلهم بأخلاق الصالحين، وأخلاق الكبار، وأخلاق أهل المجد؛ لأن أخلاق الأراذل لا تقابل بمثلها.

أخيرا: أخي المسلم هل تريد أقصر طريق تصل به إلى الجنة بعد فعل الواجبات وترك الكبائر: تأمل معي في هذا:

عن سفيان بن دينار **رَحِمَهُ اللَّهُ** قال: «قلت لأبي بشير: أخبرني عن أعمال من كان قبلنا؟ قال: كانوا يعملون يسيرا ويؤجرون كثيرا، قلت: ولم ذاك؟ قال: لسلامة صدورهم»⁽¹⁾.

وعن زيد بن أسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**، أنهم: «دخلوا على أبي دُجَانَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** وهو مريض، وكان وجهه يتهلل، فقيل له: ما لوجهك يتهلل؟ فقال: ما من عملي شيء أوثق عندي من اثنتين؛ أما إحداهما: فكنت لا أتكلم فيما لا يعنيني، وأما الأخرى فكان قلبي للمسلمين سليما»⁽²⁾.

(1) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (3/ 349).

(2) صفة الصفوة (1/ 184).

وقال قاسم الجوعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أصل الدين: الورع، وأفضل العبادة: مكابدة الليل، وأقصر طرق الجنة: سلامة الصدر»⁽¹⁾.

وقال يحيى بن معاذ الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ: ليكن حظ المؤمن منك ثلاثة: إن لم تنفعه فلا تضره، وإن لم تُفرِّحه فلا تغمه، وإن لم تمدحه فلا تدمه⁽²⁾.

اللهم طهر قلوبنا من الحسد والحقد، والبغض لعبادك المؤمنين.

اللهم طهر قلوبنا من النفاق، وعملنا من الرياء، وألسنتنا من الكذب، وأعيننا من الخيانة، وآذاننا عن الاستماع إلى ما لا يرضيك، وتوفنا مسلمين، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، الأحياء منهم والميتين، برحمتك يا أرحم الراحمين.

(1) دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ (2/ 578).

(2) الزهد والرقائق للخطيب البغدادي (ص 114).



الخطبة الأولى

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَلَّغَنِي تَصْلِحَ الْأَعْمَالِ، وَبَكْرَمِهِ وَجُودِهِ تُدْرِكُ الْأَمَالَ، سُبْحَانَهُ هُوَ الْبَاقِي بِلَا زَوَالٍ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ، أَرْسَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، فَتَرَكْنَا عَلَى الْمَحْجَةِ الْبَيْضَاءِ لَيْلَهَا كُنْهَارُهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ، وَأَصْحَابَهُ أَجْمَعِينَ، **أما بعد:**

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (1).

أيها المؤمنون: إن هناك عبادة هي من أعظم العبادات وأجملها، وأجل القربات وأحسنها، وأفضل الطاعات وأعلاها، وهي من أكبر المنجيات من المهلكات، هذه العبادة هي من سمات المؤمنين العظيمة، وصفاتهم الكريمة، وأخلاقهم العالية، وأوصافهم الرفيعة، هذه العبادة تدل على كمال المروءة، وتتمام الدين، ونبل الصفات والأخلاق، هذه العبادة العظيمة، والدرجة الرفيعة، لا يصل إليها إلا أصحاب الفضل والكمالات، لأنها ليست عبارات تُدعى ولا

(1) [الحشر: 18].

أَمَانِي تُشْتَهَى، بَلْ هِيَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، وَهِيَ يَسِيرَةٌ عَلَى مَنْ يَسْرِهَا اللَّهُ عَلَيْهِ، عَسِيرَةٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ.

هَذِهِ الْعِبَادَةُ هِيَ سَلَامَةُ الْقَلْبِ، سَلَامَةُ قَلْبِ الْمُؤْمِنِ لِإِخْوَانِهِ الْمُؤْمِنِينَ، هِيَ طَهَارَةُ قَلْبِهِ مَعَ إِخْوَانِهِ.

سَلِيمُ الْقَلْبِ هُوَ الَّذِي لَيْسَ فِي قَلْبِهِ حَسَدٌ وَلَا غِلٌّ، وَلَا بَغْضٌ وَلَا ضَغِينَةٌ، وَلَا مَا يَتَوَلَدُ مِنْ ذَلِكَ مِنَ الْغِيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَالْكَذْبِ وَالْوَقِيعَةِ وَالْبَهْتَانِ وَالْخَدِيعَةِ، بَلْ لَا يَحْمِلُ فِي قَلْبِهِ إِلَّا الْمَحَبَّةَ وَالْخَيْرَ، وَالرَّحْمَةَ وَالْإِحْسَانَ وَالْعُطْفَ وَالْإِكْرَامَ.

شَعَارُهُ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾⁽¹⁾.

وَدَثَارُهُ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾⁽²⁾.

بِسَلَامَةِ الصَّدْرِ الْحَيَاةُ طَيِّبٌ	وَتَفِيضُ بِالْحَبِّ الْكَبِيرِ قُلُوبٌ
كَالشَّمْسِ يَعْصِفُ بِالظَّلَامِ سُرُوقُهُ	وَتُعْتِمُ الْآفَاقُ حِينَ تَغِيْبُ
فِي الْقَلْبِ مِيزَانُ الْعِبَادِ، فَإِنْ صَفَا	فَالْعَيْشُ صَافٍ، وَالْبَعِيدُ قَرِيبٌ
وَإِذَا تَخَثَّرَ بِالضَّغَائِنِ وَالْهَوَى	فَالْقَلْبُ "كَوْزٌ" فَارِغٌ مَقْلُوبٌ
إِنِّي أَقُولُ لِكُلِّ مَنْ فِي نَفْسِهِ	"شَيْءٌ" يُعَكِّرُ صَفْوَهَا وَيَشُوبُ

(1) [الحجرات: 10].

(2) [الحجر: 47].

ما هذه الدُّنيا سوى أَرْجوحةٍ للناسِ فيها عِشْرَةٌ وَوُثُوبُ
مقياسُنا فيها شريعتنا التي فيها السُّؤْلُ السَّائِلِينَ مُجِيبُ
والصَّبْرُ فيها زورقٌ، مهما علا موجٌ، يَظْلُ يخوضُهُ وَيَجُوبُ
إِنْ قَالَ فِيكَ النَّاسُ قَوْلَةً ظالِمٍ فالقولُ عِنْدَ إلهنا مَكْتُوبُ
لا تَبْتَسِسْ مِنْ شَاتِمٍ مُتَطاولٍ أَبَدًا، فَإِنَّ الشَّاتِمَ الْمَغْلُوبُ
دَعْ عَنْكَ مَنْ يُيْدي ابتسامتهُ على دَخَنِ، وَسُمُّ لسانِهِ مَسْكُوبُ
وانظر إلى خير العبادِ "مُحَمَّدٍ" كَم نالَهُ مِنْ قَوْمِهِ التَّشْرِيبُ
شتموه حتَّى في طهارة عَرْضِهِ ورموه، وهو مُكْرَمٌ مَحْبُوبُ
صنفانِ يصعبُ أَنْ تنالَ رضاهُم مهما تُحاولُ، حاسِدٌ وَكَذُوبُ⁽¹⁾

أيها المؤمنون: إن سلامة القلب وطهارته تجاه إخوانه المؤمنين عطية ربانية، ومنحة إلهية، من حصل عليها فهو في سعادة، ومن حُرِمَها فهو في تعاسة وشقاوة، سليم القلب مستريح في حياته، سعيد في عيشته، سالم من نزعات الحقد الأعمى، لا غش فيه ولا بغي.

عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قيل لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أي الناس أفضل؟ قال: «كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ»، قالوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ، نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: «هُوَ التَّقِيُّ النَّفِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيٍ، وَلَا غِلٍّ،

وَلَا حَسَدَ⁽¹⁾.

قال العلامة ابن العربي رَحِمَهُ اللهُ: لا يكون القلب سليماً إذا كان حقوداً حسوداً معجباً متكبراً، وقد شرط النبي ﷺ من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه⁽²⁾.

إن سلامة القلب وطهارته تجاه إخوانه المؤمنين مُعِينَةٌ عَلَى الْخَيْرَاتِ والطاعات، جالبة للسعادة والبركات، قاطعة لسلاسل العيوب وأسباب الذنوب، فمن سلم صدره عن الأدران الفاسدة، وطهره من الظنون السيئة عَفَّ لسانه عن الغيبة والنميمة، والكذب والبهتان وسائر أنواع العصيان.

قال بعض السلف: أصل العبادة مكابدة الليل، وأقصر طرق الجنة سلامة الصدر⁽³⁾.

وقال سفيان بن دينار: قلت لأبي بشير - وكان من أصحاب عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أخبرني عن أعمال من كان قَبْلُنَا؟ قال: "كانوا يعملون يسيراً، وَيُؤْجِرُونَ كثيراً. قلت: ولمَ ذاك؟ قال: لِسَلَامَةِ صدورهم"⁽⁴⁾.

وقال بعض السلف: وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا طَرِيقَ اقْرَبُ مِنَ الصَّدْقِ، وَلَا دَلِيلَ أَنْجَحَ مِنَ الْعِلْمِ، وَلَا زَادَ أَبْلَغَ مِنَ التَّقْوَى، وما رأيت أنْفَى للوسواس من ترك الفضول،

(1) سنن ابن ماجه (4216).

(2) أحكام القرآن لابن العربي (3/ 459).

(3) تاريخ دمشق لابن عساكر (49/ 123).

(4) الزهد لهناد بن السري (2/ 600).

وَلَا أَنْوَرُ لِلْقَلْبِ مِنْ سَلَامَةِ الصَّدْرِ⁽¹⁾.

وكما أن سلامة الصدر وطهارة القلب مُطالبٌ فيها الأفراد، ومخاطب فيها جميع المسلمين، وكما أن التباغض والتحاسد والنميمة والكذب والغل والغش مذموم بين الأفراد، فكَذلك سلامة الصدور وطهارة القلوب مُطالب بها الجماعات والأحزاب، والمؤسسات والتنظيمات.

وقد ابتليت الأمة الإسلامية، وأقولها بكل مرارة: قد ابتليت الأمة الإسلامية بتعصبات حزبية، وتكتلات تنظيمية، مزقت الأمة من وُحدتها، وفَرقت الأمة من كلمتها، وشتت شملها بالتعصبات والولاءات لهذه الأحزاب والتنظيمات، متناسية قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾⁽²⁾.

وغافلة متغافلة عن قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾⁽³⁾.

ومعرضة عن قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾⁽⁴⁾. ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾: أي قوتكم.

ففي الوقت الذي كانت الأمة فيه بحاجة إلى أن تتوحد وتجتمع على مبدأ

(1) رسالة المسترشدين للمحاسبي (161 - 162).

(2) [الحجرات: 10].

(3) [آل عمران: 105].

(4) [الأنفال: 46].

واحد ﴿هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ﴾⁽¹⁾ تقسمت الأمة فرقا وأحزابا وجماعات وتنظيمات ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾⁽²⁾.

سواء كان هذا في الأحزاب والجماعات الدينية، أو في الأحزاب والجماعات

غير الدينية، وللأسف الشديد:

إِنِّي أَقُولُ، وَفِي عُرُوقِ قَصِيدَتِي	أَمَلٌ، وَصَوْتُ لِلْوَفَاءِ حَبِيبُ
يَا كُلَّ مَنْ يَلُوي عِمَامَةً عَالِمٍ	تِلْكَ الْأَمَانَةُ، وَالْإِلَهُ رَقِيبُ
لُمُّوا الشَّتَاتِ، فَإِنَّنَا فِي عَالَمٍ	قَدْ فَرَّقَتْهُ عَنِ الصِّرَاطِ دُرُوبُ
مِنْ حَوْلِكُمْ يَا قَوْمَ أَلْفٍ قَذِيفَةٍ	يَرْمِي بِهَا التَّفْسِيقَ وَالتَّغْرِيبُ
وَمِنْ التَّنَطُّعِ وَالتَّطَرُّفِ حَوْلَكُمْ	نَارٌ لَهَا بَيْنَ الْعُقُولِ لَهَبُ
فَإِلَى مَتَى يَبْقَى التَّنَاحِرُ بَيْنَكُمْ	وَإِلَى مَتَى يَتَأَوَّهُ الْمَكْرُوبُ؟! ⁽³⁾

لقد من الله تعالى على هذه الأمة بدين الإسلام، وأكرمها بنور الإيمان، وأخرجها من الظلمات إلى النور، وألف بين القلوب طلبا للوئام فاجتمعت الكلمة، وقويت الشوكة، وارتبطت برابط المودة والألفة، وانحسرت دواعي الشتات والفرقة والاختلاف والنفرة: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ

(1) [الحج: 78].

(2) [المؤمنون: 53].

(3) منقول.

جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١﴾.

فما أجمل صورة المجتمع المسلم حين يبقى مجتمعاً قوياً متماسكاً، تسود أفرادَه روحُ المودة والسماحة، والتآلف والتراحم، والتقارب وعدم التقاطع والتفرق والتناحر، وهل يشك عاقل أن فشل الأمة وهوانها وضعفها سببه التفرق والتنازع؟ ﴿٢﴾ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢﴾، فهل يَعْقِلُ أرباب الجماعات والأحزاب والمنظمات والتنظيمات والأمة كلها ذلك، أم أن الدنيا غرتهم، والمصالح الشخصية أعمتهم، والزعامات الدنيوية أفسدتهم، وحب الرياسة فرقهم.

أَسْأَلُ اللَّهَ الْكَرِيمَ بفضله أن يصلح قلوبنا، ويسعد حياتنا، ويوحد أمتنا على الهدى والحق، أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(١) [الأنفال: ٦٢، ٦٣].

(٢) [الأنفال: ٤٦].

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، **أما بعد:**

أيها المؤمنون: إن لسلامة القلب وطهارته تجاه إخوانه المؤمنين ثمراتٍ عظيمة ومكاسب جسيمة، لو لم يكن منها إلا أن سلامة القلب من أسباب الفلاح والفوز يوم القيامة، كما قال تعالى عن الخليل **عَلَيْهِ السَّلَامُ:** ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ * يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿⁽¹⁾﴾، وأن سليم القلب من أفضل الناس عند الله تعالى كما تقدم في الحديث.

كما أن سلامة القلب من أسباب مغفرة الذنوب، فعن عبد الله بن عمرو **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، قال: قيل لرسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** أي الناس أفضل؟ قال: «كل مخموم القلب، صدوق اللسان»، قالوا: صدوق اللسان، نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: «هو التقي النقي، لا إثم فيه، ولا بغي، ولا غل، ولا حسد» ⁽²⁾.

وعن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا أنظروا هذين حتى

(1) [الشعراء: 87 - 89].

(2) سنن ابن ماجه (4216).

يصطلحوا أنظروا هذين حتى يصطلحا»⁽¹⁾.

ومن ثمرات سلامة القلب: أن صاحبه يعيش في سعادة وراحة نفسية كبيرة، لأنه ليس في قلبه حسد ولا غل ولا كذب، وليس فيه غش ولا ضغينة لأحد من المسلمين.

دخلوا على أبي دجانة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وهو مريض، فكان وجهه يتهلل، فقيل له: ما بال وجهك يتهلل؟ فقال: "ما من عمل شيء أوثق عندي من اثنين: كنت لا أتكلم فيما لا يعنيني، وكان قلبي للمسلمين سليماً"⁽²⁾.

فتمسكوا بهذه العبادة العظيمة، واحذروا من أصحاب القلوب المريضة السقيمة، لأنهم لا يرون الأشياء على حقيقتها، ولا يرون الناس على حقيقتهم، ولا يعرفون الحياة على حقيقتها، فهؤلاء وإن كان لهم أبصار فليس لهم بصائر.

تَاللَّهِ مَا الْأَبْصَارُ تَنْفَعُ أَهْلَهَا إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمُبْصِرِينَ مِنْ بَصَائِرٍ⁽³⁾

اللهم أيقظ قلوبنا ونورها بنور الإيمان، وثبت محبتك في قلوبنا وقوها، وارزقنا المعرفة بك عن بصيرة، وألهمناذكرك وشكرك، ووفقنا لطاعتك وامثال أمرك، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين.

(1) صحيح مسلم (2565).

(2) صفة الصفوة (1/ 184).

(3) يتيمة الدهر (1/ 84).



أمراض القلوب

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا، أحمده سبحانه على كل فضل وأشكره على كل نعمة، وأتوب إليه وأستغفره إعلانا وسرا، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له أحاط بكل شيء خبرا، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله، أعلى الناس منزلة وقدرًا، وأوصلهم رحما وبرًا، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، **أما بعد:**

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾⁽¹⁾.

أيها المؤمنون: إن كل إنسان في هذه الحياة يبحث عن السعادة والهناء وعن الصحة والراحة، ولكن قد تنزل على الإنسان الأمراض والأسقام والأوجاع والآلام.

والأمراض التي تصيب الإنسان نوعان:

أمراض حسية مشاهدة، **وأمراض** معنوية تظهر آثارها على تصرفات

(1) [الحشر: 18].

الإنسان وحركاته، وهذه الأمراض هي أمراض القلوب، وهي أشد خطراً على الإنسان من النوع الأول، لأن الأمراض الحسية مع عظيم خطرها فغاية خطرها أن يموت الإنسان، وأما الأمراض المعنوية فلها آثار دنيوية وآثار أخروية إن لم يتداركها بتوبة ورجوع إلى الله.

والقلب المريض هو القلب الذي فيه حياة وفيه علة ومرض، تمده هذه مرة وهذه أخرى، وهو لما غلب عليه منهما، ففيه من محبة الله تعالى والإيمان به والإخلاص له والتوكل عليه ما هو مادة حياته، وفيه من محبة الشهوات وإيثارها والحرص على تحصيلها والحسد والكبر والعجب ما هو مادة هلاكه، فهو مُمْتَحَن من داعيين، داع يدعو إلى الله والدار الآخرة، وداع يدعو إلى العاجلة والهلاك، وهو يجيب أقربهما باباً وأدناهما إليه جواراً.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ قال: «إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر وتاب سُقل قلبه، وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه، وهو الران الذي ذكر الله» ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (1).

أيها المؤمنون: اعلموا أن القلب قد يمرض ويشتد مرضه، وتكبر علته، ويزداد سقمه، ولا يعرف صاحبه بهذا المرض وبتلك العلة لأنها قد غلبت عليه واستولت عليه.

(1) سنن الترمذي (3334).

ألا وإن لأمرض القلوب وعللها علاماتٍ ومظاهرٍ يُعرف بها، فينبغي للإنسان العاقل أن يعرفها لينظر هل هو مريض فيسارع لعلاج نفسه واستدراك يومه وأمه، وإن كان صحيحاً حمد الله على عافيته وشكره على توفيقه.

ومن هذه المظاهر التي تدل على أن القلب مريض:

أولاً: التكاسل عن الطاعات والعبادات: يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾⁽¹⁾، **ويقول تعالى:** ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾⁽²⁾.

فالسابقون في الدنيا إلى الخيرات هم السابقون في الآخرة إلى الجنات ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾⁽³⁾.

قال علقمة رحمه الله: بكى عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مرض موته، فسُئِلَ عن ذلك، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن العبد إذا مرض يقول الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عبيدي في وثاقي، فإن كان نزل به المرض وهو في اجتهاده قال: اكتبوا له من الأجر قدر ما كان يعمل في اجتهاده، وإن كان به المرض في فترة منه قال:

(1) [آل عمران: 133].

(2) [الحديد: 21].

(3) [الواقعة: 10 - 12].

اكتبوا له من الأجر ما كان في فترته، فأنا أبكي أنه نزل بي المرض في فترة، ولوددت أنه كان في اجتهدا مني⁽¹⁾.

لما أصابه مرض الموت بكى قال: لأنه أصابني المرض وكنت في حال فترة وضعف، ويا ليت المرض أصابني وأنا في حال اجتهدا في الطاعات، وفرق بين من يصاب بمرض وهو في حال نشاط واجتهدا في العبادات، وبين من يصاب بمرض وهو في حال فتور عنها؛ لأن المريض والمسافر يكتب له ما كان يعمل في حال صحته، فبكي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** من أجل ذلك.

من قائل هذا الكلام، من هذا الذي يحزن أنه نزل به في حال فترة منه، هذا الصحابي الجليل الذي قال عنه ابنه: «كَانَ عَبْدُ اللَّهِ إِذَا هَدَاتِ الْعُيُونُ قَامَ، فَسَمِعْتُ لَهُ دَوِيًّا كَدَوِيَّ النَّحْلِ حَتَّى يُصْبِحَ»⁽²⁾.

وكان سادس الإسلام سبقاً وإيماناً فهو سادس من أسلم وصدق النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وهو أحد الأربعة من القراء الذين حث النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بالأخذ والتعلم منهم **عن** مسروق **رَحِمَهُ اللَّهُ**، قَالَ: «ذُكِرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو فَقَالَ: ذَاكَ رَجُلٌ لَا أَزَالُ أَحِبُّهُ بَعْدَ مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يَقُولُ: اسْتَغْفِرُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ؛ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، وَأَبِي بِنِ كَعْبٍ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ»⁽³⁾.

(1) شعب الإيمان (7/ 185).

(2) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر (14/ 64).

(3) صحيح البخاري (3548).

ولقد وتلقن من فم رسول الله ﷺ مباشرة سبعين سورة من القرآن (1)، وقال فيه ﷺ: "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أُنْزِلَ، فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ" (2)، أي ابن مسعود، وأخبر أن ساقيه في الميزان أثقل من جبل أحد (3)، فماذا نقول أيها الإخوة عن أنفسنا.

ليسأل كل واحد منا نفسه لو مرض: هل هو على حال مَرْضِيَّةٍ في الطاعات، وفي العبادات، وفي أداء الصلوات والبعد عن المحرمات.

إن التكاسل عن الطاعات داءٌ خطير، ومرض كبير، قد عم كثيراً من الناس، وحلَّ في قلوبهم فقصروا في العبادات، ووقعوا في المحرمات، فكم من نائم عن صلاة الفجر مع عظيم جُرم من يفعل ذلك، وكم من ساهر على الحرام في ليله، مضيع للطاعات في نهاره، فانتبه من رقدة الغفلة فالعمر قليل، واطرح كلمة: (سوف أتوب في المستقبل، أو حتى أكبر في السن والعمر) فهما داء دخيل، والموت يأتي بغتة، والعاقبة جنة أو نار. ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾.

ثانياً: ومن مظاهر مرض القلب وعلاماته: عدم التأثر بالآيات القرآنية، والمواعظ الدينية، فهو يسمع آيات الوعد والوعيد فلا يتأثر ولا يخشع قلبه، بل نشاهد كثيراً من الناس يغفل عن قراءة القرآن وتلاوته، مع كثرة ما يقرأ في التلفون وغيره من الرسائل والمقالات في وسائل التواصل الاجتماعي، وإذا فتح

(1) مسند الإمام أحمد (3599).

(2) مسند الإمام أحمد (35).

(3) الجامع في الحديث لابن وهب (555)، وينظر: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر (14/45).

المصحف يجد ثقلاً وضيقاً وكأنه في سجن، ينزل عليه النوم ويأتيه الشاؤب وغير ذلك من الصوارف، فإذا فتح التلفون والواتس ذهب كل ذلك، وصدق الله: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (1).

والقائل سبحانه: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (2).

ثالثاً: ومن مظاهر مرض القلب وقسوته: أن يضعف في نفسه تعظيم الله وتعظيم حرمان الله، حتى إنه قد تنطفئ الغيرة في قلبه، وتقل جذوة الإيمان في فؤاده، فيرى المنكرات، ويقع في الذنوب والسيئات، وتكرر عليه المعاصي والملهيات ولا يحرك ساكناً.

قال العلامة ابن الجوزي رحمه الله: يَا صَاحِبُ الْخَطَايَا أَيْنَ الدُّمُوعُ الْجَارِيَةُ، يَا أَسِيرَ الْمَعَاصِي ابْنُكَ عَلَى الذُّنُوبِ الْمَاضِيَةِ، يَا مُبَارِزًا بِالْقَبَائِحِ أَتَصْبِرُ عَلَى الْهَآوِيَةِ؟! يَا نَاسِيًا ذُنُوبَهُ وَالصُّحُفَ لِلْمُنْسَى حَاوِيَةً، أَسَفًا لَكَ إِذَا جَاءَكَ الْمَوْتُ وَمَا أَنْبَتَ، وَاحْسِرَةً لَكَ إِذَا دُعِيَتْ إِلَى التَّوْبَةِ فَمَا أَجَبْتَ، كَيْفَ تَصْنَعُ إِذَا نُودِيَ بِالرَّحِيلِ وَمَا تَأَهَّبْتَ، أَلَسْتَ الَّذِي بَارَزْتَ بِالْكَبَائِرِ وَمَا رَاقَبْتَ؟ (3).

(1) [الأنفال: 2 - 4].

(2) [الزمر: 22].

(3) التبصرة (ص 37).

اللهم نور قلوبنا بنور الإيمان، وأصلح حالنا وحسن ختامنا برحمتك يا
أرحم الراحمين، أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو
الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾⁽¹⁾، **وأشهد** أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الحليم الرحيم التواب، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وآله وسلم وعلى جميع الأصحاب، وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الحساب، **أما بعد:**

أيها المسلمون: ألا وإن من أعظم أمراض القلوب وأشدّها خطرا وأكثرها انتشارا وضررا أن الناس في هذا الزمان قد أحاطت بهم الأخطار، وتوالت عليهم نُذُرُ العزيز الجبار، وصاروا يتوقعون العقوبات وموجبات الهلاك والغلاء، وجفاف الماء وشدة الجوع، ولا يزال كثير منهم مقيما على موجبات غضب الله، وواقعا فيما يسخط الله، لقد جاهر أناس بترك الصلوات، حتى إنك لتشاهد الأسواق في أوقات الصلاة ممتلئة والشوارع مزدحمة وكأننا في بلاد كفر لا بلاد إسلام، حتى في أبواب المساجد للأسف الشديد، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أحبابي وإخواني، قد يسأل سائل ويقول: فما هو علاج القلب المريض؟

فنقول وبالله التوفيق: إن هناك طرقا لعلاج القلب ومنها:

أولا: المعرفة بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهو الخالق الرازق المنعم علينا بجلال

(1) [غافر: 2].

النعم، وهو الرحيم الغفور، فالمعرفة بالله تولد محبة الله ومراقبته وطاعته.

ثانيا: ومن طرق ووسائل علاج أمراض القلوب: الإكثار من قراءة القرآن

وسماعة فهو كلام الرحمن، فيه الشفاء لمرض القلوب وقسوتها، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (1).

ثالثا: ومن ذلك أيضا: الإكثار من ذكر الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى والاستغفار، فهو

حياة القلوب، وسعادة النفوس، وراحة البال، قال **جَلَّ وَعَلَا**: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (2).

رابعا: ومن ذلك أيضا: زيارة الصالحين والحذر من مجالسة المفسدين،

فهو داء عضال ومرض فتاك، والجلوس يؤثر على الإنسان، بل كثير من الناس سبب هلاكهم مجالسة الفاسدين، وقد قال الله عن جليس السوء مخبرا عن ندمه يوم لا ينفع الندم: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ (3).

(1) [الزمر: 23].

(2) [الرعد: 28].

(3) [الفرقان: 27 - 29].

خامسا: ومن طرق ووسائل علاج أمراض القلوب: مجاهدة النفس ومحاسبتها ومعاتبتها، فالإنسان إذا لم يجاهد نفسه ويعاتبها لا يمكن أن يدرك حقيقة مرضها، فكيف سيتمكن من العلاج؟ قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا وتزينوا للعرض الأكبر، يوم تعرضون لا تخفى منكم خافية»⁽¹⁾.

سادسا: ومن طرق ووسائل علاج أمراض القلب: تذكر الموت وما بعده، فالدنيا حياة قصيرة، والموت قد يأتي فجأة، ولهذا حث النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ على الإكثار من ذكر الموت بقوله: «أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَٰذِهِ اللَّذَاتِ» يَعْنِي الْمَوْتَ⁽²⁾.
فزوروا مغاسل الأموات والمقابر والجنائز، فالحياة زائلة، وإن الحياة الحقيقية هي بعد الموت، ولهذا يقول المحتظر الكافر: ﴿يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾⁽³⁾.

وتأملوا في هذه الكلمات:

وإذا دخلت إلى المقابر خلَّتْهَا	ما ذاقَتِ النعماء والأفراحا
قومٌ هَجوعٌ في نعيمٍ مُفْرَحٍ	أو في الجحيم تُجرعُ الأتراحا
زُرْهَا تَجِدُ فِيهَا حَيَاةَ قَصِيرَةٍ	وَلَكُمْ تَضُمُّ مِنَ الشَّبَابِ مِلَاحَا

(1) مصنف ابن أبي شيبة (34459).

(2) سنن الترمذي (2307).

(3) [الفجر: 24].

ولكم جنينا غفلةً لم نَعْتَبِرْ	فانظرْ بقلبك عُدوةً وَرَوَاحا
ولكم لهونا عن حياةٍ سعادةٍ	وترى المنايا تَخُطِفُ الأرواحا
ولكم سهونا، والذنوبُ كثيرةٌ	وأرى السعادةَ هِمةً وكِفاحا
إن السعادةَ إن أردتَ لَطَاعَةً	وترى الذنوبَ مَقَاتِلًا وجِراحا
هَلَّا رجعنا للغفورِ إِنْابَةً	هَلَّا رجعنا توبةً وفلاحا
يا رَبِّ أرجعنا إليك برحمةٍ	يا رب فارزقنا هدىً وصلاحا
وارحمْ بفضلِكَ ذُلَّنَا في لَحْدِنَا	أدْعُو الكَرِيمَ الغافرَ الفَتَّاحا
ثم الصلاة على النبيِّ محمدٍ	نرجو بها الإسعادَ والأرباحا ⁽¹⁾

اللهم اختتم بالأعمال الصالحات أعمارنا، وحقق بفضلك آمالنا، وسهل
 لبلوغ رضاك سبلنا، وحسّن في جميع الأحوال أعمالنا، يا منقذ الغرقى، ويا
 منجي الهلكى، ويا دائم الإحسان، أذقنا برد عفوك، وأنلنا من كرمك وجودك ما
 تقر به عيوننا من رؤيتك في جنات النعيم، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين
 برحمتك يا أرحم الراحمين.

(1) من كلماتي.



داء الحقد

الخطبة الأولى

الحمد لله القائل: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ. إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾⁽¹⁾، **وأشهد** أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي أثنى على المؤمنين في صفاء قلوبهم فقال مخبراً عن دعائهم: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾⁽²⁾، **وأشهد** أن محمداً عبده ورسوله القائل: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»⁽³⁾، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه أجمعين، **أما بعد:**

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾⁽⁴⁾.

أيها المؤمنون: إن من أسوأ الأعمال القلبية، وأقبح الإرادات النفسية، وأرذل التصرفات الأخلاقية، داء الحقد، فهو خلق قبيح، وتصرف سيء، يدل على دناءة النفس وخبثها، وينبئ عن سوء النية وفساد الطوية، ويورث مقت الله وسخطه، وهو معول هدم وخراب، وباب من أبواب النيران.

(1) [الشعراء: 89].

(2) [الحشر: 10].

(3) مسند الإمام أحمد (10817).

(4) [الحشر: 18].

وقد عرف العلماء الحقد بأنه حبسٌ أو إمساكُ العداوة والبغضاء في الصدر للعجز عن التشفي حالاً، مع التربص أو التحين للتعبير عنها بصورة من الصور، أو شكل من الأشكال مآلاً، أي في المستقبل.

وقال الشريف الجرجاني: هو طلب الانتقام، وتحقيقه: أن الغضب إذا لزم كظمه لعجز عن التشفي في الحال رجع إلى الباطل واحتقن فيه فصار حقداً⁽¹⁾.

وقال ابن منظور: الحقد: إمساكُ العداوة في القلب والتربص لفرصتها⁽²⁾.
أي والتربص للانتقام بأي شكل من الأشكال مستقبلاً.

وقال بعض العلماء: الحقد: هو سوء الظن في القلب على الخلائق لأجل العداوة⁽³⁾.

وهذه العداوة قد تكون من أجل الدنيا، وقد تكون من أجل المصالح الشخصية، وقد تكون بسبب الاختلافات الفكرية، وقد تكون أحقاداً بين الأصدقاء بسبب الاختلافات بينهم أو حب التصدر، أو بسبب الشعور بالنقص، وقد تكون أحقاداً بين الأسرة الواحدة.

وهو ما يسمى بتصفية الحسابات، سواء كانت فردية أو حزبية أو مجتمعية، فالحاقد يتمسكن حتى يتمكن، فإذا ما تمكن أظهر ما كان يضمّر من الأحقاد،

(1) التعريفات (ص 91).

(2) لسان العرب (3/ 154).

(3) التعريفات (ص 91).

وقد تكون هذه التصفيات بالإيذاء الحسي أو المعنوي، وقد تكون بمنع حق من الحقوق، وقد تكون بتهميش الشخص المحقود عليه وغير ذلك مما يستطيع الحاقد فعله من إيذاء للطرف الآخر.

قال الجاحظ: والحقْد: هو إضمار الشر للجاني إذا لم يتمكن من الانتقام منه فأخفى ذلك الاعتقاد إلى وقت إمكان الفرصة⁽¹⁾.

قال أحد الفضلاء: والحقْد هو العداوة الدفينة في القلب، والعداوة هي كراهيةٌ يصاحبها رغبة بالانتقام من الشخص المكروه إلى حد إفئائه وإغائه من الوجود، أو إبعاده عن مكانته التي يستحقها.

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: وَنَصَّ كَثِيرٌ مِنَ الْأَثَمَةِ عَلَى أَنَّ طَلَبَ الْعِلْمِ أَفْضَلُ مِنَ صَلَاةِ النَّافِلَةِ، وَكَذَلِكَ الْإِشْتَغَالُ بِتَطْهِيرِ الْقُلُوبِ أَفْضَلُ مِنَ الْإِسْتِكْثَارِ مِنَ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ مَعَ غَشِّ الْقُلُوبِ وَدَغْلِهَا. وَمِثْلُ مَنْ يَسْتَكْثِرُ مِنَ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ مَعَ دَغْلِ الْقَلْبِ وَغَشِّهِ كَمِثْلِ مَنْ بَذَرَ بَذْرًا فِي أَرْضٍ دَغْلَةٍ كَثِيرَةِ الشَّوْكِ فَلَا يَزْكُو مَا يَنْبُتُ فِيهَا مِنَ الزَّرْعِ بَلْ يَمَحِقُهُ دَغْلُ الْأَرْضِ وَيُفْسِدُهُ، فَإِذَا نُظِّفَتِ الْأَرْضُ مِنْ دَغْلِهَا زَكَ مَا يَنْبُتُ فِيهَا وَنَمَا⁽²⁾.

داء الحقْد يبدأ من الكراهية الشديدة للغير، ثم يتحول إلى عداوة دفينة في القلب، وآخر مراحله هو الرغبة بالانتقام، وإنزال السوء بمن يكرهه الحاقد،

(1) موسوعة الأخلاق الإسلامية (2/ 233).

(2) لطائف المعارف (ص 566).

سواء كان هذا الانتقام لفظياً أو جسدياً أو معنوياً، حتى يخفف من قلبه هذا المرض القبيح؛ لأن الحقد، حمل ثقيل قد أتعبه، ولأنه دائماً مشغول الفكر، غير مرتاح البال، دائماً يفكر يبحث عن الكلمة التي يُخرجها، لكي تزعج الشخص الذي يحقد عليه، كما يبحث عن التصرف الذي يزعج من يحقد عليه، فهو دائماً يحاول أن يناله بسوء، لذا فهو في قلق دائم، لا يهنأ بمنام، ولا يتلذذ بلقمة، حتى إن بعض الحاقدين يكون حلمه في المنام فيمن يحقد عليه.

إن سلامة القلب من الأمراض المهلكة ومنها الحقد أهم من كثير من نوافل الصلاة والصيام وغيرها، فكيف يقرأ القرآن من قلبه على أخيه المسلم ممتلئ حقداً، وأسوأ من ذلك أن يكون الحاقد ممن يعرفون أثر هذه الجريمة النكراء والصفة الشنعاء ثم يتصف بها، جاء عن سفيان بن دينار قال: قلت لأبي بشير وكان من أصحاب علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أخبرني عن أعمال من كان قبلنا؟ قال: «كانوا يعملون يسيراً ويؤجرون كثيراً» وقال: قلت: ولم ذاك؟ قال: «لسلامة صدورهم»⁽¹⁾.

وقال بعض السلف: ما بلغ من بلغ عندنا بكثرة صلاة ولا صيام؛ ولكن بسخاوة النفوس، وسلامة الصدور، والنصح للأمة⁽²⁾.

أيها الناس: إن الشيطان ربّما عجز أن يجعل من الرجل العاقل عابد صنم، ولكنّه - وهو الحريص على إغواء الإنسان وإيراده المهالك لن يعجز عن

(1) الزهد لهناد بن السري (2/ 600).

(2) لطائف المعارف لابن رجب (ص: 254).

المباعدة بينه وبين ربّه، حتّى يجهل حقوقه أشدّ ممّا يجهلها الوثنيّ المخرّف، وهو يحتال لذلك بإيقاد نار العداوة في القلوب، فإذا اشتعلت استمتع الشيطان برؤيتها وهي تحرق حاضر الناس ومستقبلهم، وتلتهم علائقهم وفضائلهم، ذلك أنّ الشرّ إذا تمكّن من الأفئدة (الحاقدة) تنافر ودّها، وارتدّ الناس إلى حال من القسوة والعناد والبعد والقطيعة، حتّى إنّهم ليقطعون ما أمر الله به أن يوصل، ويفسدون في الأرض.

إنّ الحقد هو المصدر الدفين لكثير من الرذائل التي رهّب منها الإسلام وحذر منها، فالافتراء على الأبرياء جريمة يدفع إليها الكره الشديد الذي هو (الحقد)، وقد عدّها الإسلام من أقبح الزور، أمّا الغيبة فهي مُتَنَفِّسُ حقد مكظوم، وصدرٌ فقير إلى الرحمة والصفاء، ومن لوازم الحقد: سوء الظنّ، وتبّع العورات، واللمز، وتعيير الناس بعاياتهم، أو خصائصهم البدنيّة أو النفسيّة، وقد كره الإسلام ذلك كلّ كراهية شديدة.

ألا وإن لهذا الداء العضال والمرض الفتاك بواعث وأسباباً **ومن ذلك:**

الحسد، وهو من أهم أسباب الحقد، إذ يتولد منه الحقد، والحقد أصل الشر، ومن أضمر الشر في قلبه أنبت له نباتاً مُرّاً مذاقه، نماؤه الغيظ، وثمرته الندم، وعاقبته الذل والهوان في القيامة.

وكذلك من أهم أسباب الحقد: حُبُّ التصدر والظهور والتنافس على ذلك، وكم هو مؤسف أن يكون ذلك حتّى في أوساط أهل الدين والجماعات

الإسلامية، ومن هم قدوات في المجتمع.

ومن أسباب الحقد أيضا: النيمة ونقل الأخبار، إذ يُصدق الحاقد على المحقود كل ما يصل إليه عنه، فيزيد غيظه ويزداد حقه.

ومن أسباب الحقد أيضا: سوء الظن، وهو من أشد أمراض القلوب، ومتى فتح المسلم لقلبه سوء الظن فقد أهلك نفسه وأفسد قلبه ونكّد عيشه.

ومن أسباب الحقد كذلك: الحرص على الدنيا وخوف ذهاب المصالح سواء مالية أو نفسية، كحب التصدر والتعالي حتى لو كان ظاهر هذا التصدر دينيا.

ألا وإن من أسوأ مظاهر الحقد أن يحقد بعض الناس على أهل الدين والصلاح، لا لشيء إلا لأنهم يُبلِّغون دين الله، ويحذرون من الفساد، وينشرون الخير، ويحاربون الرذيلة، ويدعون إلى الفضيلة.

إن هناك أيادي خبيثة تعمل بمكر ودهاء لتشويه الصالحين وأهل الخير والصلاح، حتى يحقد عامة الناس عليهم، ويغضونهم، وينفرون منهم، ويتعدون عنهم، وقد نجحوا في نشر ذلك إلى حد كبير في أوساط كثير من عامة الناس حتى في أوساط المثقفين منهم للأسف الشديد، ولهذا كم تسمع من بُزٍ لهم، واحتقار لهم، وتشويه لهم.

كما أن من أسوأ صور الحقد أيضا هو حقد من ظاهرهم الصلاح بعضهم على بعض، ففي الوقت الذي كان الأصل أن يكون هؤلاء هم القدوة في صفاء

القلوب والسريرة وسلامة الظاهر والباطن، أصبحوا ممن ابتلوا بهذا المرض القبيح والداء المهلك.

فكم ينتشر هذا في أوساط بعضهم أحزابا وجماعات وأفرادا لمصالح دنيوية أو لحُبِّ التصدر، وأسوأ من ذلك أن يظهر هذا الحقد باسم النصرة للدين والحق، ويظهر بمظهر الدموع الكاذبة والكلمات الحزينة، حتى إنهم يُلبسون هذا الداء القبيح باسم الحرص على الدعوة، والحرص على الخير، والتحذير من فلان وعلان.

إن هذا الذي تنطوي عليه هذه القلوب من الحقد حِمْلٌ ثَقِيلٌ على صاحبه؛ فيجعله في عيش تعيس، وحال بئيس؛ لأن قلبه يغلي ناراً على مَنْ يحقد عليه. والحق غالباً لا يكون إلا من الأدنى للأعلى، تجد الإنسان الدنيء قليل المنزلّة، خسيس الطبع، سيء الأخلاق هذا الذي يمتلئ قلبه بالحق غالباً. لكن كريم الطبع، ذو الأخلاق الفاضلة لا يعرف الحقد.

لَا يَحْمِلُ الْحِقْدُ مَنْ تَعْلُو بِهِ الرُّتَبُ وَلَا يَنَالُ الْعُلَا مَنْ طَبَعَهُ الْغَضَبُ⁽¹⁾

ولهذا، لا يحقد شخص على أحد إلا إذا كان الآخر أكثر منه مالاً، أو جاهاً، أو سمعة، أو ذكاءً، أو عملاً، أو علماً، أو نحو ذلك، ومن كان كذلك فلم يترَبَّ على الإسلام كاملاً، وقد أمرض نفسه وأذهب سعادتها.

وكم يعلو قدر الإنسان، وتشرف منزلته حينما يصل إلى صفاء القلب

(1) ديوان عنتره (ص 10).

والسريرة، فإنها منقبة عظيمة وخلّة كريمة لا يقوى عليها إلا ذوو الصدق والإخلاص. **فعن** عبدالله بن عمرو **رضي الله عنهما**، قال: قيل لرسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم**: أي الناس أفضل؟ قال: «كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ»، قالوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ، نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: «هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيَ، وَلَا غِلٍّ، وَلَا حَسَدٍ»⁽¹⁾، فسلم القلب أفضل الناس عند الله، وكفى بذلك منقبة.

ومن بُلي بإنسان حقود لا ينسي الهفوات، ويجازي بعد المدة الطويلة على السقطات فليفر منه فراره من الأسد لأنه ليس في صحبته أمان، ولا في الجلوس معه والاختلاط به سلام.

سلامة القلب نورٌ يُستضاء به لا الشمس تُشبهه كلا ولا القمرُ
طهارة القلب أسمى كلِّ مكرمة بها السعادة والإسعاد والظفرُ
فَطَهَّرِ الْقَلْبَ مِنْ غِلٍّ وَمِنْ حَسَدٍ وحسن الظن، في الأحداث مُعْتَبَرٌ⁽²⁾

اللهم طهر قلوبنا من جميع الأمراض والأسقام، وارحم حالنا في الدنيا ويوم الزحام.

أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(1) سنن ابن ماجه (4216).

(2) من كلماتي.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي جعل القلوب السليمة من صفات الأبرار المتقين، والصلاة والسلام على سيد العالمين محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، **أما بعد:**

أيها الناس: إن من أعظم نِعَمِ الله تعالى على العبد المسلم أن يجعل صدره سليماً من الشحناء، معافى من البغضاء، نقياً من الغلّ والحسد، صافياً من الغدر والخيانة، معافى من الضغينة والحقد، لا يطوي في قلبه إلا المحبة والإشفاق على المسلمين.

إن سلامة الصدر أفضل من نصب الأقدام في ظلمات الليالي، وصوم النوافل في الهواجر، وصدقة السر، فمن سلم صدره سلم لسانه، ومن سلم لسانه سلم الناس من شره، ومن سلم الناس من شره فقد أتى أبواباً من أبواب العبادات عظيمة، ووصل لمراتب من الإيمان كريمة.

ومن أبحر في نوايا الناس غرق في ظلمات الهموم وأمواج الشكوك، واحترق بنيران الأحقاد ولهب المعاصي والسيئات.

قال القاسم الجوعي رَحِمَهُ اللهُ: "أصل الدين الورع، وأفضل العبادة مكابدة الليل، وأفضل طريق للجنة سلامة الصدر"⁽¹⁾.

(1) صفة الصفوة (2/ 389).

(ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب)⁽¹⁾.

وفي الأثر: «ثلاث من لم يكن فيه واحدة منهن فإن الله عَزَّوَجَلَّ يغفر له ما سوى ذلك: من مات لا يشرك به شيئا، ولم يكن ساحرا ولم يتبع السحرة، ولم يحقد على أخيه»⁽²⁾.

وقد صدق العلامة أبو بكر الطرطوشي حين قال: وإذا رأيت إنساناً حقوداً لا ينسى الهفوات ويجازي بعد المدة على السقطات، فألحقه بعالم الجمال، والعرب تقول: فلان أحقد من جمل. وكما تجتنب قرب الجمل الحقود فاجتنب صحبة الرجل الحقود⁽³⁾.

فلنحذر من هذه الصفة الذميمة، فإنها داء عضال ومرض فتاك.

اللهم طهر قلوبنا من الأمراض والأسقام، وطهر ألسنتنا من الكذب، وأعمالنا من الرياء، واختم لنا بالحسنى. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

(1) صحيح البخاري (52).

(2) المعجم الأوسط (917).

(3) سراج الملوك (صد 112).

داء الخيانة

الخطبة الأولى

الحمد لله القائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾⁽¹⁾، **وأشهد** أن لا إله إلا الله القائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾⁽²⁾، **وأشهد** أن محمدا عبده ورسوله الذي كان يقول في دعائه: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ، فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخِيَانَةِ، فَإِنَّهَا بِئْسَتْ الْبَطَانَةُ»⁽³⁾، **أما بعد:**

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾⁽⁴⁾.

أيها المؤمنون: إن هناك ذنبا عظيما، ووصفا قبيحا، ومنكرا كبيرا، كثر انتشاره، وظهرت أضراره، وتوسعت مفسده، وزاد المتصفون به، ألا وإن هذا المنكر العظيم والوصف القبيح: هو الخيانة.

(1) [الأنفال: 27].

(2) [الأنفال: 58].

(3) سنن أبي داود (1547).

(4) [الأحزاب: 71].

منكر لا يتصف به إلا أصحاب النفوس الضعيفة، والقلوب المريضة، قال ابن أبي الدنيا **رَحِمَهُ اللَّهُ**: **وَالدَّاعِي إِلَى الْخِيَانَةِ شَيْئَانِ: الْمَهَانَةُ وَقِلَّةُ الْأَمَانَةِ** ⁽¹⁾.

كما لم يتصف بهذا المنكر إلا اليهود الذين قال الله عنهم: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ ⁽²⁾ واتصف به أيضا المنافقون، الذين يظهرون خلاف ما يبطنون، **قال رسول الله ﷺ**: "آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان" ⁽³⁾ **وعن مجاهد**، قال: المكر والخديعة والخيانة في النار، وليس من أخلاق المؤمن المكر ولا الخيانة ⁽⁴⁾.

وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «على كل يَطْوِي المؤمن إلا على الخيانة والكذب فلا تجد المؤمن خائنا ولا كاذبا» ⁽⁵⁾.

أيها الناس: إن الخيانة أنواع كثيرة، وليست محصورة في نوع واحد، وهي تنحصر في قسمين رئيسيين هما: **خيانة لله، وخيانة لخلق الله**:

أما الخيانة لله، فتتمثل بترك أوامر الله، والوقوع فيما نهى الله عنه، فالتقصير في الفرائض من صلاة أو صيام من الخيانة لله، والنظر إلى الله الحرام أو سماع الحرام من الخيانة لله.

(1) أدب الدنيا والدين (ص 326).

(2) [المائدة: 13].

(3) صحيح البخاري (33).

(4) الجامع لابن وهب (487).

(5) الزهد لهناد بن السري (2/ 633).

وخيانة النفس بتضييع حقوق الله والوقوع فيما حرم الله تُؤدي بها إلى مهووي الردى، وأودية البلاء. **قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (1).**

قال سعيد بن جبیر رَحِمَهُ اللَّهُ: "الأمانة: الفرائض التي افترضها الله على العباد، والخيانة تضييعها.

والقسم الثاني من الخيانة: هو الخيانة لخلق الله تعالى، ويتمثل في الصور الآتية:

الصورة الأولى من الخيانة لخلق الله: هي الخيانة الزوجية: إفشاء أسرار شريك الحياة من الخيانة، فكل سر أو كلام يكون بين الزوجين فيقوم أحدهما بإخراجه فهو من الخيانة.

ومن الخيانة الزوجية، وهي من الذنوب العظيمة، وهي منتشرة في أوساط النساء أكثر من الرجال أن تتحدث الزوجة بما يحصل مع زوجها من العشرة الزوجية، وما يحصل في غرفة النوم، وقد انتشر هذا الذنب العظيم انتشاراً حين ذهب الحياء، وقل الوازع الديني، وانتشرت المسلسلات، فتقوم هذه الغيبة باستعراض مثل هذه الأمور في مجالس النساء، **وقد قال رسول الله ﷺ: «عَسَى أَحَدُكُمْ يُخْبِرُ بِمَا صَنَعَ بِأَهْلِهِ؟ وَعَسَى إِحْدَاكُنَّ أَنْ تُخْبِرَ بِمَا صَنَعَ بِهَا زَوْجُهَا»**

(1) [الأحزاب: 72].

فَقَامَتِ امْرَأَةٌ سَوْدَاءُ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُمْ لَيَفْعَلُونَ، وَإِنَّهُمْ لَيَفْعَلْنَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَثَلِ ذَلِكَ؟ مَثَلُ ذَلِكَ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ لَقِيَ شَيْطَانَهُ، فَوَقَعَ عَلَيْهَا فِي الطَّرِيقِ، وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ فَقَضَى حَاجَتَهُ مِنْهَا، وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ» (1).

وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الرَّجُلُ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا» (2).

ومن الخيانة الزوجية: التصرف في ماله بما لا يرضاه، إلا إن كان بخيلاً يمنع البيت حقوقه الواجبة فيجوز أن تأخذ ما تحتاجه للبيت لهذه الحقوق فقط أو ما تحتاجه لها مما يجب عليه أن ينفق عليها فيه من الحقوق الواجبة ولا يجوز ما زاد على ذلك.

ومن الخيانة الزوجية: الخيانة العاطفية، سواء أكانت بمكالمة هاتفية، أو مراسلة إلكترونية، أو مقابلة غير مشروعة، بل مجرد التفكير في غير شريك الحياة يدخل في دائرة الخيانة الزوجية، فكم تجد من الأزواج والزوجات يظهر ما يسمى بالرومانسية والعاطفة، وكلمات الحب والغزل والحنان والغرام في وسائل التواصل والمكالمات في المعاكسات، فإذا رجع إلى بيته فكأنه جماد لا يعرف من هذه الأمور شيئاً، وكم من زوجة تخون زوجها فتتواصل مع الرجال سواء في

(1) مصنف ابن أبي شيبة (17560).

(2) صحيح مسلم (1437).

أماكن العمل والمحلات التجارية، ثم من كلمة إلى أخرى حتى يصل الأمر إلى كلمات الحب والعاطفة والحنان والغزل، وقد يصل إلى ما هو أعظم من ذلك كإرسال الصور واللقاءات، وهذا من أعظم الخيانات، وكم زوج مسكين مشغول بتوفير لقمة العيش لزوجته وأولاده وهي مشغولة بخيانتته مع غيره.

فعلى المرأة أن تحذر من الذئاب البشرية، والوحش المفترسة، والكواسر الضارية، والحمير الأهلية في صور بشرية، وأخلاق شيطانية، وأساليب إبليسية. تبدأ بمعاكسات هاتفية عادية، ثم تترقى إلى حُب وغرام، وعشق وهيام، ومقاطع وصور، والضحية ستكون هذه الخائنة الغبية.

خدش هذا الذئب عفتها، وأهان كرامتها، وجعلها مشغولة به ليلاً ونهاراً سرا وجهاراً، أحلامٌ زائفة، ووعود كاذبة، وآمال خداعة، والضحية هذه الخائنة.

قصص كثيرة لا يصدقها عاقل، ولم تكن موجودة في الأزمان السابقة قبل وجود وسائل التواصل بشتى أنواعها، كم أفسدت من بيت، وكم هتكت من ستر.

المرأة ليس معها إلا عفتها وشرفها وكرامتها، فلتحذر من الذئاب البشرية، وخفافيش الظلام، ولتحذر من وسائل التواصل، ولتجعل بينها وبين هؤلاء حاجزاً منيعاً وحصناً حصيناً، وعلى أولياء الأمور التحذير من ذلك، والحذر من كل ما يسبب لمثل هذه الأمور، لو دخل بعضكم إلى بعض الجهات الحكومية المسؤولة عن الضبط لمثل هذه الأمور لشاب رأسه من كثرة ما يوجد من هذه الأمور.

ومن الخيانة الزوجية: الخيانة الجسدية، وهي أشد وأعظم أنواع الخيانات الزوجية، وما تقدم ذكره هي مقدمات ووسائل لهذا الجرم العظيم، والخطب الجسيم، والمنكر الكبير.

ومتى وجدت الخيانة في البيوت نزعَت منها البركة، **فعن** أنس بن مالك **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: «إِذَا كَانَتْ فِي الْبَيْتِ خِيَانَةٌ ذَهَبَتْ مِنْهُ الْبَرَكَةُ»⁽¹⁾، ومتى نزعَت البركة من بيت عاشه أهله في شقاء.

الصورة الثانية من الخيانات هي: إفشاء الأسرار.

قال الإمام الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ: وإفشاء السر خيانة، وهو حرام إذا كان فيه إضرار، ولؤم إن لم يكن فيه إضرار⁽²⁾. **وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ:** إن من الخيانة أن تحدث بِسَرِّ أَخِيكَ⁽³⁾.

إن إفشاء الأسرار يقطع الأواصر، ويقضي على العلاقات، وإفشاء الأسرار يُوغر الصدور ويؤلم النفوس، وإفشاء الأسرار يُفقد الثقة ويُبْثُّ الريبة، إن إفشاء الأسرار يُيْدي مساوئ، ويَهْتك سِتْرًا، ويفضح سِتْرًا، ويتَّهك حُرْمَاتٍ وخصوصيات، وكم من إفشاء سر أراق دماءً، وطُلقت بسببه نساء، وذُهِبت بسببه أموال. ولقد أصبح اليوم أمناء الأسرار أقل وجودًا من أمناء الأموال.

(1) مكارم الأخلاق للخرائطي (167).

(2) إحياء علوم الدين (3/ 132).

(3) حياة السلف بين القول والعمل (ص: 908).

وفي الأثر: "من الخيانة أن يحدث الرجل أخاه بالحديث، فيقول: اكتم علي فيخبر به عنه" (1).

الصورة الثالثة من الخيانة: خيانات المجالس، وما أكثرها هذه الأيام، لقد انتشرت هذه الأيام خيانات المجالس انتشارا كبيرا، وتساهل فيها كثير من الناس، حتى ممن هم محسوبون على الصلاح والاستقامة، فمنهم مَنْ يتكلم معك بالهاتف بكلام خاص ويقوم بتسجيل تلك المكالمة دون أن تعلم ودون أن يستأذن، ويقوم بإسماع هذه المكالمة أناسا، وكم قد حصل بسبب ذلك من مفاسد، ومنهم مَنْ تُرسل له رسائل على الواتساب (سواء كانت مكتوبة أو صوتية) ثم يقوم بنسخها ويرسلها لبعض الناس وهي رسائل خاصة بينك وبينه، ومنهم مَنْ يتحدث معك في الهاتف ويفتح (الإسبكر) دون علمك حتى يُسمع بعض الناس كلامك، وقد يكون فيه أسرار خطيرة، أو كلام خاص، أو يكون ذلك للوقعة بينك وبين بعض الناس، فيكون بمثابة السعي بالنميمة، ولقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ: "المجالس بالأمانة"، وقال ﷺ: إذا حدث الإنسان حديثا والمحدث يلتفت حوله فهو أمانة (2).

ومن صور الخيانة وهي الصور الرابعة: توسيد الأمر إلى غير أهله، وهذا ليس خاصا بالحاكم كما يظن البعض، بل في كل شخص تكون له على غيره ولاية حتى في إمامة المساجد وخطبها والمدارس والوزارات، وكل مكان يكون

(1) الزهد لهناد بن السري (2 / 578).

(2) مسند أحمد (14792).

للشخص تحكم على من دونه، وهذا من أعظم الخيانات، ومفاسده متعددة، وأضراره عامه، فيتولى مثل هذه الأمور وهو ليس أهلاً لها ولا مستحقاً لها، بل إنما هي الوساطات والمعاملات والمحسوبيات، قال الإمام الأعمش **رَحِمَهُ اللَّهُ**: أعظم الخيانة: أداء الأمانة إلى الخائنين ⁽¹⁾.

وإنما تُدمر البلدان، وتهدم البنيان، وينتشر الفساد، ويظهر الظلم، وتكثر الرشاوى، وتؤخر المعاملات، بل ويموت المريض، ويمرض الصحيح حين يوضع الشخص غير المناسب في المكان الذي لا يناسبه. وقد قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة»، قال: كيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال: «إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة» ⁽²⁾.

اللهم أصلح أحوالنا، واغفر ذنوبنا برحمتك يا أرحم الراحمين، أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(1) حلية الأولياء (48 / 5).

(2) صحيح البخاري (6496).

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي جعل الأمانة من العبادات الكريمة، وجعل الخيانة من الجنایات والمنكرات العظيمة، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي دعاء إلى مكارم الأخلاق، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه أجمعين، **أما بعد:**

أيها الناس عباد الله: ومن صور الخيانة وهي الصورة الرابعة: **عدم النصيحة عند الاستشارة:** كإنسان يستشيرك في أمر ما؛ في زواج أو طلاق، في تجارة أو عمل من الأعمال، في فتوى ونحو ذلك، هذه الاستشارة أمانة، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «المستشار مؤتمن»⁽¹⁾.

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَنْ اسْتَشَارَهُ أَخُوهُ فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِغَيْرِ رِشْدَةٍ فَقَدْ خَانَهُ، وَمَنْ أَفْتَى بِفُتْيَا غَيْرِ ثَبَتٍ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى مَنْ أَفْتَاهُ»⁽²⁾.

الصورة الخامسة من صور الخيانة: وهي من أشدها ضررا وأكثرها أثرا في الفساد والإفساد أن يُلَمَّع أهل الفساد أنهم هم النجوم وأنهم هم القدوات، حتى تتربى الأجيال على حبهم، والافتداء بهم، والتأثر بصفاتهم، والميل إليهم، مع التشويه للصالحين أصحاب القدوات فيصفونهم بالأوصاف القبيحة والصفات المنفرة والألقاب المقززة، حتى إنه ليخيل إلى الناس أن هؤلاء وحوش كاسرة،

(1) سنن أبي داود (5128).

(2) الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (1336).

وأسود مفترسة، وحيوانات عاشت في الغابات.

ويدخل في هذه الخيانة محاربة شعائر الإسلام والسعي في منعها، والطعن في حملة الشريعة وعلمائها والقدح فيهم بأي أنواع من القدح الدال على البغض والكراهية.

إن من أعظم الخيانة لأجيال الأمة اليوم أن يُجعل الفنانون والفنانات، والممثلون والممثلات والراقصات وأهل العهر وما يسمى بنجوم الرياضة أن يجعل هؤلاء هم القدوات لأبناء المسلمين وبناتهم، حتى تأثروا بهم في ألبستهم وقصات شعرهم وحركاتهم وميولاتهم، بل وفي فسادهم، وهناك من أبناء المسلمين من يُروج لذلك ويشجع على ذلك. **ولقد قال رسول الله ﷺ:** «سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَاعَاتٌ، يُصَدِّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذِّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْضَةُ»، قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْضَةُ؟ قَالَ: «الرَّجُلُ التَّافَهُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ»⁽¹⁾.

الصورة السادسة من صور الخيانة: وهي من أعظم صور الخيانة لأنها متعلقة بالأجساد والأموال، وهي **خيانة الأطباء والمستشفيات الأهلية وغيرها من المرافق الصحية:** نعم هناك أطباء ناصحون ومخلصون في أعمالهم، وأمناء في تشخيصاتهم وأدويتهم وفحوصاتهم، ولكنهم للأسف أصبحوا قليلين مقارنة بالخائنين.

(1) سنن ابن ماجه (4036).

وَكُنَّا نَسْتَطِبُّ إِذَا مَرَضْنَا فَصَارَ سِقَامُنَا بِيَدِ الطَّيِّبِ⁽¹⁾

لقد أضحى الطب عند بعض الأطباء وكثير من المستشفيات الأهلية وسيلةً لأخذ الأموال بغير حلها، فكم تُكتب من أدوية والمريض ليس بحاجة إليها، وكم تلك الفحوصات التي يطلبها الطبيب من المريض ولا دخل للمريض بها.

إن مهنة الطب التي كانت سامية المقام، رفيعة المحل، صدوقة التشخيص، نافعة العوائد، أصبحت نقمة على الأمراض، مصيبة على المساكين، جريمة تُدمر أرواح الكثيرين من المرضى، وتنغص عيش البسطاء والمساكين.

ومن تتبع أخبار بعض المستشفيات أو المسالخ الأهلية وبعض العيادات الخاصة عرف ذلك.

ومن المصائب الجديدة: أنصاف الأطباء والطبيبات في بعض المستشفيات، يتخرج من الجامعة دبلوم سنتين ثم مباشرة لسوق العمل، بل لسوق الاحتيال حتى يكون في الاستقبال لحالات الطوارئ. وانظروا أخطاء الطبيبات في عيادات النساء والولادة.

رَاجِعْ حَسَابَكَ يَا طَبِيبًا ظَالِمًا وَأَحْذَرْ فَإِنَّ الظَّلِمَ مَرْتَعُهُ وَخَيْمٌ
أَتَظُنُّ جَهْلًا أَنْ جُرْمَكَ هَيِّنٌ كَلَّا، فَجُرْمُكَ فِي الْعِبَادِ عَظِيمٌ
سَهْمُ الْجَرِيمَةِ لَا يَزَالُ مُصَوَّبًا نَحْوَ الظُّلُومِ وَفِي الْقِيَامِ جَحِيمٌ
مَنْ ذَا الَّذِي يَرْضَى بِضُرِّ دَائِمٍ وَالْمَالُ يَذْهَبُ وَالْمَرِيضُ خَصِيمٌ

(1) البيان والتبيين (2/ 424).

وَالشُّكْرُ أَهْدِيهِ الَّذِي فِي طَبِّهِ حَذَقُ أَمِينٌ بِالْعِبَادِ رَحِيمٌ⁽¹⁾

هذا واقع مؤلم موجود مشاهد دون رقابة أو محاسبة.

إن الطبيب الخائن وحش كاسر، وثعلب ماکر، وحية رقطاء، وجرح في المجتمع غائر، وإن الطبيب الأمين بلسم للروح، وفأل في الحياة، وسعادة للمجتمع.

إن الخائن أحد الخمسة الذين توعدهم الشرع بالنار، قال صلى الله عليه وسلم **عنهم: وأهل النار خمسة وذكر منهم:** "وَالْخَائِنُ الَّذِي لَا يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ وَإِنْ دَقَّ إِلَّا خَانَهُ، وَرَجُلٌ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إِلَّا وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ"⁽²⁾، **وبين النبي** صلى الله عليه وسلم **أنَّ الخيانة والأمانة لا يجتمعان كما لا يجتمع الكفر والإيمان، فقال:** «لَا يَجْتَمِعُ الْإِيمَانُ وَالْكَفْرُ فِي قَلْبِ امْرِئٍ، وَلَا يَجْتَمِعُ الْكَذِبُ وَالصِّدْقُ جَمِيعًا، وَلَا تَجْتَمِعُ الْخِيَانَةُ وَالْأَمَانَةُ جَمِيعًا»⁽³⁾.

وخائن الأمانة لا دين له، ولا إيمان له، فقد ثبت عن أنس بن مالك رضي الله عنه **قال:** «لَا إِيْمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ»⁽⁴⁾.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم **«إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمُّونَ، وَيَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلَا يُقُونَ، وَيُظْهَرُ فِيهِمُ السَّمَنُ»**⁽⁵⁾.

(1) من كلماتي.

(2) صحيح مسلم (2865).

(3) مسند أحمد (8577).

(4) مسند أحمد (13199).

(5) صحيح البخاري (2651).

ومن كان خائناً فلا تقبل شهادته فضلاً عن أن يُعطى مكانة أو منصباً، **ففي سنن أبي داود عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، «أن رسول الله ﷺ ردَّ شَهَادَةَ الْخَائِنِ، وَالْخَائِنَةِ»⁽¹⁾**. وذلك لأنه فاسق، والفاسق مردود الشهادة.

وأخبر ﷺ أن الخائن متوعد بعدم دخول الجنة فقال ﷺ: «لَا يَسْتَرِعِي اللَّهُ عَبْدًا رَعِيَّةً فَيَمُوتُ حِينَ يَمُوتُ، وَهُوَ غَاشٌّ لَهَا إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»⁽²⁾. وهذا عام في كل ولاية صغيرة كانت أو كبيرة، حتى العامل في الدكان إذا غش صاحب المحل أو خدعه.

وحذر ﷺ من الخيانة فقال: «إِنَّ الْغَادِرَ يُنْصَبُ لَهُ لَوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقَالُ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ بِنِ فُلَانٍ»⁽³⁾ أي خيانتته وخديعته.

ومن أقبح الخيانة وأشدّها على النفس أن الخائن يكون ممن يُظن فيه الأمانة بسبب ظاهر صلاحه من صلاة ودخول للمسجد، فإذا عاملته في المال وجدته من الخائنين، ولهذا فالصلاة والمسجد مع أهمية هذه العبادة ليست دليلاً على أن من دخلها فهو ليس خائناً، فكم من شخص اغتر بمن يدخل المساجد ثم ندّم، قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: أصل الإيمان عندنا وفرعه وداخله وخارجه بعد الشهادة بالتوحيد وبعد الشهادة للنبي ﷺ بالبلاغ، وبعد أداء الفرائض صدق الحديث وحفظ الأمانة وترك الخيانة ووفاء بالعهد وصلة

(1) سنن أبي داود (3600).

(2) صحيح مسلم (142).

(3) صحيح البخاري (6178).

الرحم والنصيحة لجميع المسلمين⁽¹⁾.

وقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «لَا تُغْرِنِي صَلَاةُ امْرِئٍ وَلَا صَوْمُهُ، مَنْ شَاءَ صَامَ، وَمَنْ شَاءَ صَلَّى، لَا دِينَ لِمَنْ لَا أَمَانَةٌ لَهُ»⁽²⁾.

وإذا كانت الخيانة من الوضع مذمومة، فإنها من الوجيه أكثر قبحاً وأشدّ ذمّاً وأكبر أثراً.

وأخيراً: لا يكفي عديم الأمانة المتصف بالخيانة أياً كان نوعها وصورتها لا يكفيه ما يلقاه في الدنيا من مهانة وصغار، وإنما يجدها متمثلة له يوم القيامة عند الصراط لتهوّي به من فوق الصراط إلى قعر جهنم؛ لقاء ما ضيّع منها، وفرّط فيها كما في الحديث: «وُتِرَ سَلُّ الْأَمَانَةِ وَالرَّحِمِ، فَتَقَوْمَانِ جَنْبَتَيِ الصَّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا»⁽³⁾، فهنيئاً لمن قام بحق الأمانة فجرى على الصراط غير هيّاب ولا وِجِل، والحسرة والندامة - حيث لا تنفع حسرة ولا ندامة - على مَنْ تساهل فخان، وسقط فغدر؛ لشهوة عارضة، أو لحقد أعمى.

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِسُلُوكِ مَنَاجِجِ الْمُتَّقِينَ، وَخَصَّنَا بِالتَّوْفِيقِ الْمُبِينِ، وَاجْعَلْنَا بِفَضْلِكَ مِنْ عِبَادِكَ الْمُخْلِصِينَ الَّذِينَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

(1) شعب الإيمان للبيهقي (5260).

(2) مكارم الأخلاق للخرائطي (162).

(3) صحيح مسلم (195).



داء الكبر

الخطبة الأولى

الحمد لله القائل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾⁽¹⁾، **وأشهد** أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾⁽²⁾، **وأشهد** أن محمدا عبده ورسوله القائل في حجة الوداع: "يا أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ألا هل بلغت؟"⁽³⁾ **وأصحابه أجمعين، أما بعد:**

فاتقوا الله عباد الله حق التقوى، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾⁽⁴⁾.

أيها المؤمنون: إن هناك صفة ذميمة، وخلة قبيحة، وخُلُقًا قبيحا، حذر

(1) [الحجرات: 13].

(2) [الحجرات: 10].

(3) شعب الإيمان (4774).

(4) [الأحزاب: 70].

الإسلام الحنيف منه أشد التحذير، وتوعد المتصف به بعقوبات كثيرة، ألا وإن هذا الخلق القبيح وهذه الصفة الذميمة هي داء الكبر، صفة جالبة لغضب الرحمن، مبعدة عن محبة الكريم المنان، مقربة من الشيطان: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾⁽¹⁾، ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾⁽²⁾.

إن الكبر هو أن يستعظم الإنسان نفسه، وأن يستحسن ما فيه من الفضائل، مع الاستهانة بالناس، واستصغارهم. **جاء في صحيح مسلم رَحْمَةُ اللَّهِ، عن** عبد الله بن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ** قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا، ونعله حسنة، قال: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبَرُ بَطْرٌ الْحَقُّ وَغَمْطُ النَّاسِ»⁽³⁾. **ومعنى (بَطْرٌ الحق):** الاستنكاف عن قبوله، وردّه، والنظر إليه بعين الاستصغار، وذلك للترفع والتعاضم، **ومعنى (غمط الناس):** ازدراؤهم، واحتقارهم. سواء لنسبهم أو مكانتهم أو بلدهم ومنظقتهم، أو لحالهم المادي أو لغير ذلك.

أيها المؤمنون: إن التكبر والكبر من بعض الناس يكون في الأمور الآتية:

أولا: التكبر في العلم، سواء كان في العلوم الشرعية أو غيرها من العلوم، فيرى أنه أحسن من غيره، مقترنا هذا باحتقار الآخرين والتنقص منهم

(1) [النساء: 36].

(2) [النحل: 23].

(3) صحيح مسلم (91).

والاستهزاء بهم، سواء تلفظ بهذا مع الغير أو ظن في نفسه هذا الأمر من غير أن يتلفظ به، ولا يدري هذا المسكين أن كل عِلْمٍ دعاكَ إلى التكبر والاحتقار للآخرين فهو وبال عليه، خصوصاً ما كان من العلوم الشرعية، لأن العلم الحقيقي هو الخشية لا حفظ المعلومات، ومثل هذا داخل في قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾⁽¹⁾ فقد صرف الله عنهم الانتفاع بهذه الآيات وإن كانوا عالمين بها.

ويدخل في هذا - أيها الإخوة - التكبر بالعبادة والصلاح، سواء صلاحه في نفسه أو صلاح أولاده وانحراف أولاد الآخرين، فتراه دائم الذكر لصلاح أولاده، وأنهم ليسوا كأبناء فلان وفلان.

يا هذا الهداية توفيقٌ من الله، ولا تدري كيف ستكون الخاتمة، واحمد الله على نعمة الهداية، وادع لغيرك بالهداية ولا تحتقرهم، فقد يصلحهم الله ويميتك على معصية كبيرة أو على غير الإسلام. قال مسروق **رَحِمَهُ اللَّهُ**: كفى بالمرء جهلاً أن يُعْجَبَ بعمله⁽²⁾.

ومن ذلك ما يتناقله الناس في وسائل التواصل بعد ذهاب رمضان عن المساجد وقلة الناس فيها: ذهب الضيوف وبقي الأهل، صحيح المسلم يحزن من قلة الناس في غير رمضان في المساجد، ولكن أيها الناشر لمثل هذا احمد الله على نعمة المحافظة على الصلاة في المسجد، ولا تحتقر غيرك، وادع لهم

(1) [الأعراف: 146].

(2) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (9/7).

بالهداية والصلاح، ولا تنظر لنفسك نظرة رفعة وتعالى وتنظر لغيرك نظرة احتقار واستصغار، فالتوفيق من الله.

قال مطرف بن عبد الله رَحِمَهُ اللَّهُ: لَأَنْ أُبَيْتَ نَائِمًا وَأَصْبَحَ نَادِمًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُبَيْتَ قَائِمًا وَأَصْبَحَ مُعْجَبًا⁽¹⁾.

وقال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: "لَا أَفْلَحَ وَاللَّهِ مَنْ زَكَّى نَفْسَهُ، أَوْ أَعْجَبَتْهُ"⁽²⁾.

ثانيا: ومن أنواع الكبر والتكبر المذموم: الكبر بالحَسَبِ والنسب: وما أكثره في أوساط الناس، فترى بعض الناس يرى نفسه أفضل من غيره بسبب نسبه، وتراه كثير الافتخار بنسبه، وكثير الذكر له في المجالس وغيرها: أنا ابن فلان، وجدي فلان، وأمي بنت فلان وفلانه، وهذا من جهله بحقيقة الدين وبحقيقة الإسلام الذي قال الله في كتابه: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾⁽³⁾، **جاء في صحيح مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ، عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:** "كان بيني وبين رجل من إخواني كلام (مشكلة)، وكانت أمه أعجمية، فغيرته بأمه، فشكاني إلى النبي ﷺ، فلقيت النبي ﷺ، فقال: «يا أبا ذر، إنك امرؤ فيك جاهلية»، قلت: يا رسول الله، من سب الرجال سبوا أباه وأمه، قال: «يا أبا ذر، إنك امرؤ فيك جاهلية، هم إخوانكم»⁽⁴⁾.

(1) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (200 / 2).

(2) سير أعلام النبلاء (4 / 190).

(3) [الحجرات: 13].

(4) صحيح مسلم (1661).

وفي سنن أبي داود رَحِمَهُ اللهُ، **عن** أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ، «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبْيَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخَّرَهَا بِالْأَبَاءِ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ أَوْ فَاجِرٌ شَقِيٌّ، أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، لَيْدَعَنَّ رِجَالٌ فَخْرَهُمْ بِأَقْوَامٍ إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ، أَوْ لِيَكُونَنَّ أَهْوَنَ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْجِعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتْنَ»⁽¹⁾.

وقد قال الصديق أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لا يحقرن أحدٌ أحدًا من المسلمين، فإن صغير المسلمين عند الله كبير⁽²⁾. **وقال مالك بن دينار رَحِمَهُ اللهُ:** كيف يتكبر من أوله نطفة مَذْرَة، وآخره جيفة قَذْرَة، وهو فيما بين ذلك حامل عَذْرَة⁽³⁾.

وصدق العلامة ابن العربي حين قال: ولذلك كان شيوخينا يستحبون أن ينظر المرء في الأبيات الحكمية التي جمعت هذه الأوصاف العلمية:

كيف يزهي من رجيعة	أبد الدهر ضجيعة
فهو ومنه وإليه	وأخوه ورضيعة
وهو يدعوه إلى الحش	بصغر فيطيعه ⁽⁴⁾

إن التكبر بالنسب جهل بحقيقة الإسلام العالمية، وجهل بحقيقة النفس، وجهل بعاقبة الكِبَر، وجهل بسيرة النبي ﷺ.

(1) سنن أبي داود (5116).

(2) إحياء علوم الدين (3/ 338).

(3) الآداب الشرعية والمنح المرعية (2/ 209).

(4) أحكام القرآن (2/ 353).

لئن فخرت بأباء ذوي شرف لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا

ثالثا: ومن أنواع الكبر: الكبر بالمال: فينظر لنفسه بسبب ماله نظر تعالٍ على الفقراء والمساكين، وينظر إلى أبناء المساكين نظرة احتقار.

وليس معنى هذا ألا يلبس الإنسان الجميل، أو يكون بيته جميلا، أو مركبه طيبا، لا ليس هذه المقصود، بل المقصود الاحتقار والتعالي على الفقراء، سواء صرح ذلك بلفظه، أو نظر إلى نفسه نظر العلو والغرور، خصوصا أولئك الذين يساعدون الناس ثم يمتنون عليهم، والمَنُّ قد يكون تصريحا أو غير تصريح.

جاء في الأدب المفرد للبخاري رَحِمَهُ اللهُ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَعَظَّمَ فِي نَفْسِهِ، أَوْ اخْتَالَ فِي مَشِيَّتِهِ، لَقِيَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانٌ» (1).

وقد قال أبو سلمة: قلت لأبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ما ترى فيما أحدث الناس من الملبس والمشرب والمركب والمطعم فقال: يا ابن أخي، كل لله، واشرب لله، والبس لله، وكل شيء من ذلك دخله زهو أو مباهاة أو رياء أو سمعة فهو معصية وسرف، وعالج في بيتك من الخدمة ما كان يعالج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بيته، كان يعلف الناضح، ويعقل البعير، ويقم البيت، ويحلب الشاة، ويخصف النعل، ويرقع الثوب، ويأكل مع خادمه، ويطحن عنه إذا أعياء، ويشترى الشيء من السوق ولا يمنع الحياء أن يعلقه بيده، أو يجعله في طرف ثوبه، وينقلب إلى أهله، يصافح الغني والفقير والكبير والصغير، ويسلم مبتدئا على كل من استقبله

(1) الأدب المفرد (ص: 193).

من صغير أو كبير، أسود أو أحمر، حر أو عبد من أهل الصلاة⁽¹⁾.

إن الله الذي أغناك وأفقر غيرك قادر أن يغنيه ويفقرك، إن الله الذي جعل حاجة خلقه إليك قادر أن يجعل حاجتك إليهم، فأحمد الله على هذه النعمة فقلَّ أن تبقى هذه النعمة مع الكبر والغرور، ولك في قارون عبرة إن كان لك قلب يفهم أو عقل يعقل.

رابعاً: ومن التكبر المذموم: التكبر بالجمال، وهذا حاصل في أوساط النساء كثيراً، وبعض الشباب كذلك، خصوصاً في المناسبات، فكم ترى من امرأة متكبرة على غيرها، حتى إذا رأت من هي أقل منها جمالاً غمزتها بعينها وإشارتها مع من بجانبها، وكم تسمع من النساء من تذهب إلى مناسبات الأعراس وترجع محتقرة للعروسة في جمالها أو خلقتها، وكم تسمع من التضاحكات وغمزات العيون في مثل هذه المناسبات، ومن اتصفت بهذا الوصف أو حصل منها هذا الأمر فلتأمل في هذا الحديث: قال صلى الله عليه وسلم: "مَا مِنْ رَجُلٍ يَمُوتُ حِينَ يَمُوتُ وَفِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ كِبَرٍ، تَحِلُّ لَهُ الْجَنَّةُ أَنْ يَرِيحَ رِيحَهَا وَلَا يَرَاهَا" فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُقَالُ لَهُ أَبُو رِيحَانَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّ الْجَمَالَ وَأَشْتَهِيهِ، حَتَّى إِنِّي لِأُحِبُّهُ فِي عِلَاقَةِ سَوْطِي، وَفِي شِرَاكِ نَعْلِي. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "لَيْسَ ذَاكَ الْكِبَرُ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، وَلَكِنَّ الْكِبَرَ مَنْ سَفِهَ الْحَقَّ، وَعَمَّصَ النَّاسَ بِعَيْنَيْهِ"⁽²⁾.

(1) إحياء علوم الدين (3/ 356).

(2) مسند الإمام أحمد (17369).

فإذا كان مجرد الإشارة بالعين للغير تكبرا فيها هذا الوعيد الشديد، فكيف بما هو أكبر من ذلك؟!.

أخيرا: قال الأحنف بن قيس: "ما ينبغي لمن خرج من مخرج البول مرتين أن يفخر" (1).

وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: "الكبر فيه كل عيب" (2).

جنبنا الله وإياكم الكبر والمتكبرين، وعافانا الله وإياكم من أمراض القلوب،
أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(1) شعب الإيمان (8210).

(2) شعب الإيمان (8212).

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي جعل الأخلاق الحميدة من الدين القويم، والصلاة والسلام على رسوله الكريم وعلى آله وأصحابه أجمعين، **أما بعد:**

أيها المؤمنون: إن للتكبر والكبر عواقبَ عظيمة في الدنيا والآخرة ومن ذلك:

أولاً: أن الكبر من صفات أهل النار، قال صلى الله عليه وسلم: «ألا أخبركم بأهل النار؟ كُلُّ عَتَلٍ جَوَّازٍ مُسْتَكْبِرٍ»⁽¹⁾.

ثانياً: أن الكبر من أسباب الحرمان من الجنة ابتداءً، قال صلى الله عليه وسلم: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ»⁽²⁾.

ثالثاً: عقوبتهم أن يطأهم الناس يوم القيامة بأقدامهم، لأن الجزاء من جنس العمل، فلما ترفعوا عن الناس في الدنيا أذلهم الله في الآخرة.

جاء في سنن الترمذي رحمه الله، قال صلى الله عليه وسلم: «يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورِ الرِّجَالِ يَعْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَيَسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى بُولَسَ تَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ يُسْقَوْنَ مِنْ عَصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةً

(1) صحيح البخاري (5723).

(2) صحيح مسلم (91).

الْخَبَالِ»⁽¹⁾.

رابعاً: أن الله لا يحب من كان هذا وصفه، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾⁽²⁾، فهل ترضى ألا يحبك الله أيها المتكبر؟!.

خامساً: لا ينظر الله للمتكبر في إزاره يوم القيامة نظر رحمة في وقت هو في أشد الحاجة إلى رحمة الله، فكيف بمن يتكبر على خلق الله بغير اللباس؟ قال صلى الله عليه وسلم «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى مَنْ يَجُرُّ إِزَارَهُ بَطْرًا»⁽³⁾.

سادساً: المتكبر من أبغض الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبعدهم عنه: قال صلى الله عليه وسلم: «إِنْ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجَلَسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الثَّرَاوُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفِيهِقُونَ»، قالوا: يا رسول الله، قد علمنا والمتشدقون الثرثارون فما المتفيهقون؟ قال: «المتكبرون»⁽⁴⁾.

سابعاً: الكبر سبب لزوال النعم: جاء في صحيح مسلم **رَحْمَةُ اللَّهِ، عَنْ** سلمة بن الأكوع **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:** «أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِشِمَالِهِ فَقَالَ: (كُلْ بِيَمِينِكَ). قَالَ: (لَا أَسْتَطِيعُ). قَالَ: لَا اسْتَطَعْتَ. مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبَرُ. قَالَ: فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ»⁽⁵⁾. أي أصيب بما يسمى الشلل والجلطة بسبب تكبره وعناده في قبول

(1) سنن الترمذي (2492).

(2) [النحل: 23].

(3) صحيح مسلم (2087).

(4) سنن الترمذي (2018).

(5) صحيح مسلم (2021).

الحق والنصيحة.

فلنحذر من هذه الصفة القبيحة التي عَلِمْتُمْ أثرها، وسمعتُمْ ضررها،
ورأيتُمْ عاقبتها.

اللهم وفقنا لصالح الأعمال، ونجنا من جميع الأهوال، وأمنا من الفزع
الأكبر يوم الرجفة والزلال، واغفر لنا ولوالدينا، ولجميع المسلمين الأحياء
منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين.



المنافقون (1)

الخطبة الأولى

الحمد لله القائل: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمْ الْفَاسِقُونَ﴾⁽¹⁾، **وأشهد** أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾⁽²⁾، **وأشهد** أن محمدا عبده ورسوله القائل: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي كُلِّ مُنَافِقٍ عَلِيمُ اللِّسَانِ»⁽³⁾، صلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، **أما بعد:**

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾⁽⁴⁾.

أيها المؤمنون: إن هناك صفة هي من أقبح الصفات وأسوئها، ومن أكبر

(1) [التوبة: 67].

(2) [المنافقون: 1].

(3) المعجم الكبير للطبراني (593).

(4) [الأحزاب: 70].

الجرائم وأردءها، وأشنع الأوصاف وألأمها، هذه الصفة القبيحة متى علا أصحابها وظهروا يقل بسببهم الخير، ويتشر بظهورهم الشر، ويعلو بسببهم الباطل، ويقل أو يختفي بانتشارهم الحق.

هذه الصفة هي صفة النفاق والمنافقين.

إن من يتأمل حديث القرآن الكثير والكثيف عن النفاق والمنافقين يدرك أنه يتناول خطراً ماحقاً، وضرراً مفجعاً يستحق التحذير منه والتوجيه إلى مواجهته، ولقد استغرقت صفات النفاق والمنافقين آيات كثيرة، حيث كان الحديث عنهم في القرآن في سبعة عشر سورة مدنية من ثلاثين سورة، واستغرق ذلك قرابة ثلاثمائة وأربعين آية، حتى قال ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ**: كاد القرآن أن يكون كله في شأنهم ⁽¹⁾.

إن صفات المنافقين في القرآن الكريم كثيرة ومتنوعة، وهي مُشاهدة للعيان في أوقات ضعف الأمة الإسلامية وتكالب الأعداء عليها.

وسوف نتحدث في هذه الخطبة عن صفة واحدة فقط هي أخطر الصفات فيهم وأشدّها ضرراً، وأكثرها أثراً، وأسرعها انتشاراً، هذه الصفة أيها الأجابة جميعاً هي: مولاتهم لأعداء الدين بأديانهم المختلفة وتنوعاتهم الفكرية الكثيرة، ولكنها كلها تجتمع على شيء واحد مع المنافقين وهي محاربتهم ومعاداتهم لكل ما هو من دين الإسلام، وعقيدة الإسلام، وأخلاق الإسلام، وتوجيهات

(1) مدارج السالكين (1/ 550).

الإسلام، وآداب الإسلام، ولكن هؤلاء المنافقون يحاربون الإسلام وأحكام الإسلام باسم الإسلام، فهم خناجر مسمومة في ظهر الأمة الإسلامية، يلبسون لها جلود الضأن وقلوبهم قلوب الذئاب:

وَإِذَا الذَّابُّ اسْتَنْجَتْ لَكَ مَرَّةً فَحَذَارِ مِنْهَا أَنْ تَعُودَ ذَنَابًا
فَالذُّبُ أَحَبُّ مَا يَكُونُ إِذَا غَدَا مُتَلَبِّسًا بَيْنَ النَّعَاجِ إِهَابًا⁽¹⁾

وما نزلت البلايا في الأمة الإسلامية، ولا مُنِّي أهل الإيمان بالمصائب إلا بسبب المنافقين من أبناء الأمة، فهم عيون أعداء الإسلام الساهرة، وألستهم الناطقة، وجنودهم المتفانية، وصدق الله القائل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾⁽²⁾، وقال تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِغُّوهُمْ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾⁽³⁾.

ولقد اتخذ المنافقون لهذه الصفة طرقا كثيرة ووسائل متعددة، ومن أهم

هذه الوسائل والطرق لمعاداة كل ما هو من دين الإسلام ومحاربته:

أولاً: الدس والوقعة بين المسلمين وإثارة الخلافات بينهم، سواء الخلافات المذهبية، أو الاختلافات الفكرية، أو التنوعات العرقية والمذهبية؛

(1) التمثيل والمحاضرة (ص 353).

(2) [الحشر: 11].

(3) [النساء: 138].

لأنهم يعلمون أن الخلافات بين الأمة بأنواعها من أهم أسباب تمزق النسيج الاجتماعي، وانتشار الفساد الأخلاقي، وتوسع الفقر والمجاعات، وضياح الدين والهوية الدينية، وللأسف أن كثيرا من الجماعات الدينية والأحزاب الإسلامية لم تَسَلِّمْ من هذا، حتى أصبحت فيما بينها متناحرة أشد من تناحر المسلمين مع غيرهم من أعداء الممل الأخرى، قال **جَلَّ وَعَلَا** عن هذه الصفة في المنافقين: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفْنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (1).

ثانيا: ومن وسائل وطرق المنافقين في معاداة كل ما هو من دين الإسلام ومحاربتة: الطعن في الثوابت الدينية، والتشكيك في المسلمات الإسلامية، بطرق ملتوية وألسنة خداعة، وأساليب جذابة، وقد اتخذوا للوصول إلى هذه الطريقة منابر متعددة، سواء في الإعلام، أو في وسائل التواصل، أو في المحافل العامة، أو تأسيس مراكز بأسماء جذابة، ومن آخر هذه المنابر التي أظهروها هذه الأيام أنهم أسسوا مركزا ومنتدى في مصر تحت مسمى (مركز تكوين)، منتدى يجمع الملحدين والمنكرين للسنة والمحرفين لآيات القرآن، وهدف المركز هو الحديث باسم الإسلام والدين، فبالله عليكم كيف سيتحدث عن الدين مَنْ هذه صفته وهذه أوصافه، ولهم دعم كبير مادي ومعنوي وإعلامي.

(1) [التوبة: 107].

إن المجتمعات والأمم في أي زمان ومكان ترتبط بثوابتها وتراثها وثقافتها ارتباطاً وثيقاً، وتتخذ منه منهجاً وطريقاً لحاضرها ومستقبلها، وتتميز الأمة الإسلامية عن غيرها من الأمم بمتانة ثوابتها ورسوخ منهجها؛ لكونه مستمداً من الوحيين؛ القرآن الكريم والسنة المطهرة.

وهذه الثوابت والمسلمات في دين الإسلام هي من قواعد الدين الراسخة، ومن ثوابته العظيمة التي لا تتبدل ولا تتغير، ويزعم المنافقون الذين يحرفون هذه القواعد وينكرون هذه الثوابت أن ذلك من جهة التطوير والتجديد والوسطية والمرونة، ومن باب الحرية الفكرية، والتعبير عن الرأي، بالله عليكم هل تقنين الزنا من التعبير عن الرأي أم من المخالفة لشرعية الإسلام؟ بالله عليكم هل إلغاء حد السرقة والقتل العمد من التعبير عن الرأي والتطوير أم هو محاربة للدين والشرعية؟ بالله عليكم هل المناداة بحرية المرأة تحت مسميات مختلفة لتفعل ما تشاء من فواحش ومنكرات، تحت غطاء جسدي ملكي، وتحت غطاء الحرية الشخصية، هل هذا من التطور من الفساد والإفساد؟

إن من يعمل في بلدان المسلمين لفرض هذه الأمور، ونشر هذه الأمور، والإعانة عليها هم أناس من أبناء جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، وربما كانت لهم المكانة الكبيرة، والتأثير الكبير، والدعم الذي لا نظير له، وبحسب إفساده يكون لهم الدعم، لكن قد مُسخت فطرهم وذهبت أخلاقهم، وتوغل النفاق في قلوبهم، ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ (1).

(1) [البقرة: 10].

إن معاداة الثواب الدينية ومحاربة المسلمات الإسلامية من قبل هؤلاء المنافقين وأعدائهم من شأنه أن يُضعف تماسك المجتمع المسلم، ويزعزع الثقة بعلماء الأمة السابقين واللاحقين، كما يؤدي إلى حصول الشك فيها في قلوب ضعاف الإيمان، خصوصاً في أوساط الشباب، حتى تذهب هيبة هذه المسلمات، ويكون من السهل إنكارها والاعتراض عليها، وهذه بوابة كبيرة من بوابات الإلحاد، والذي بدأ يتنشر يوماً بعد يوم هذه الأيام حتى أصبح له متدييات وقنوات ومواقع للأسف.

كما أن هذه المعاداة والمحاربة للثواب الدينية من هؤلاء المنافقين بوابة من بوابات تسلط أعداء الأمة الإسلامية عليها، وطريق من طرق إضعاف عزائم الشباب في الاستقامة الدينية والأخلاقية، بل تضعفهم في عزائمهم في بناء أنفسهم وأمتهم حضارياً وثقافياً، لأنه مهزوز الثقافة والفكر والدين، ومن كان كذلك فكيف سيُبنى جيلاً يشارك في بناء أمته.

ولقد صدق العلامة ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ** حين قال في وصف المنافقين: فإن بلية الإسلام بهم شديدة جداً، لأنهم منسوبون إليه، وإلى نصرته وموالاته، وهم أعداؤه في الحقيقة، يخرجون عداوته في كل قالب يظن الجاهل أنه علم وإصلاح، وهو غاية الجهل والإفساد. فَلِلَّهِ كَمْ مِنْ مَعْقِلٍ لِلْإِسْلَامِ قَدْ هَدَمُوهُ؟! وكم من حصن له قد قلعوا أساسه وَخَرَّبُوهُ؟! وَكَمْ مِنْ عِلْمٍ لَهُ قَدْ طَمَسُوهُ؟! وكم من لواء له مرفوع قد وضعوه؟! وَكَمْ ضَرَبُوا بِمَعَاوِلِ الشُّبْهِ فِي أَصُولِ غَرَائِصِهِ لِيَقْلَعُوهَا؟! وَكَمْ عَمَّوْا عَيْنَ مَوَارِدِهِ بِآرَائِهِمْ لِيَدْفَنُوهَا وَيَقْطَعُوهَا?!.

فَلَا يَزَالُ الْإِسْلَامُ وَأَهْلُهُ مِنْهُمْ فِي مِحْنَةٍ وَبَلِيَّةٍ، وَلَا يَزَالُ يَطْرُقُهُ مِنْ شُبَهِهِمْ سَرِيَّةٌ بَعْدَ سَرِيَّةٍ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ بِذَلِكَ مُصْلِحُونَ ﴿١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمَفْسُدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢﴾، ﴿٣﴾ يَرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مَتَمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٢﴾(3).

إن مخططات اليهودية الماسونية والتي يطبقها المنافقون من بني جلدتنا قائمةٌ على هدم الدين الإسلامي بتشريعاته وأخلاقياته، كما هي قائمة على تزييف التاريخ خصوصاً في عصوره الناصعة وفتوحاته العادلة، كما هي قائمة على فرض المادية على الفكر البشري المخالف للتشريعات السماوية، وبذلك تنتشر ما يسمى بالفوضى الخلاقة والتي من خلالها يتحكمون في كل شيء في الأمة الإسلامية: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مَتَمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾(4).

اللهم نور قلوبنا بالإيمان، وثبتها على قولك الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، واجعلنا هداة مهتدين، وتوفنا مسلمين، وألحقنا بعبادك الصالحين يا أكرم الأكرمين، ويا أرحم الراحمين، أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

(1) [البقرة: 12].

(2) [الصف: 8].

(3) مدارج السالكين (1/ 355).

(4) [الصف: 8].

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي جعل دينه لمن تمسك به بابا للسعادة والهناء، وسبيلا لرفعة الأمة والبقاء، والصلاة والسلام على سيد المرسلين الذي أرسله الله رحمة للعالمين، ونورا لمن تمسك بهديه وسنته إلى يوم الدين، صلى الله عليه وسلم وأصحابه أجمعين، **أما بعد:**

أيها المؤمنون: ومن وسائل وطرق المنافقين في معادة كل ما هو من دين الإسلام ومحاربتة: وهي الوسيلة الثالثة: الهمز واللمز والانتقاص لرموز الإمة الإسلامية سواء من السابقين أو من اللاحقين.

وليس غريبا على المنافقين الذين ينتقصون من الرموز الدينية الذين نقلوا لنا الدين، وحفظ الله بهم الإسلام حتى وصل إلى أطراف الأرض، فإن الله قد قال عن المنافقين الذي في عهد النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾⁽¹⁾. ولكن الأغرب أن يصدق أناس كلام المنافقين ويتركون كلام العلماء العاملين.

إن الهمز واللمز والانتقاص من رموز الإسلام وإسقاط مكانتهم من القلوب هو إسقاط للحضارة الإسلامية، وإسقاط للمكانة الدينية لهم في قلوب الناس، خصوصا الشباب.

(1) [التوبة: 65].

إنك قد تسمع بقدوة هنا أو هناك يُجْمَعُ عليها معظم الناس إن لم يكن كل الناس، سرعان ما تهتز مكانته بسبب ما يبث حوله من سموم، هدفها التشكيك به والتقليل من مكانته، لا بل قد تصل إلى الطعن به وتحقيره، وبذلك نهدم قدواتنا بأيدينا، وغالبا ما يكون البديل السيئ جاهزا ومروجا له، ومن خلال قنوات الاتصالات المختلفة بما فيها وسائل التواصل الاجتماعي.

فكم هي المسلسلات والمقاطع التي فيها الاستهزاء بالعلماء والفضلاء والخلفاء وغيرهم.

إنك إذا أردت أن تعرف قيمة أي أمة فانظر إلى ما تقدمه لأبنائها من قدوات ليكونوا مثالا عاليا لهم، يسيرون على خطاهم، ويتمثلون بأخلاقهم وأعمالهم، ويسعون ليكونوا أمثالهم.

إن واقع أمتنا الإسلامية في عصورها المتأخرة يدل على أنها تنكبت طريق العزة والرفعة، وتركت الريادة والسيادة لغيرها بعد أن سادت الدنيا قرونا طويلة، وكان من أهم دلالات هذا السقوط والتردي والتأخر والتنكب للطريق القويم، وهو في ذات الوقت من أهم أسبابه تغيير مفهوم القدوة عند القابضين على زمام الأمور فيها، وعند المتحكمين فيما يعرض على الناس منها.

إن نظرة سريعة لحال الشباب المسلم اليوم بينين وبنات، والنظر في ملابسهم وقصات شعورهم، وجديد الموضة عندهم، وحال أخلاقهم والتمعن في دراسة ظاهريهم كافية لتدلك على مَنْ في قلوبهم من القدوات.

وإن استبينا سريعا حول من تحب أن تكون؟ أو من هو قدواتك الأولى؟
أو من هو مثلك الأعلى؟ يكفي لفضح المستوى الذي وصل إليه حال أبنائنا
وشبابنا وبناتنا، ومدى النجاح الذي حققه الساعون من المنافقين وغيرهم في
تضليل الأمة وإسقاط قدواتها، وما أنجزه المحاربون لدين الله وشرعه، والله
تعالى يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ﴾⁽¹⁾، وقال تعالى في الاقتداء بالأنبياء والصالحين: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى
اللَّهُ فَبُهِدَاهُمْ أَفَتَدَّهَ﴾⁽²⁾.

اللهم اجعل في قلوبنا نورا نهتدي به إليك، وتولنا بحسن رعايتك حتى
نتوكل عليك، وارزقنا حلاوة التذلل بين يديك، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع
المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين.

(1) [الأحزاب: 21].

(2) [الأنعام: 90].



المنافقون (2)

الخطبة الأولى

الحمد لله القائل: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾⁽¹⁾، **وأشهد** أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾⁽²⁾، **وأشهد** أن محمدا عبده ورسوله القائل كما في صحيح مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ:** «مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ - أي المتحيرة المترددة - بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ، تَعِيرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً»⁽³⁾ صلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، **أما بعد:**

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾⁽⁴⁾.

أيها المؤمنون: تقدم معنا في خطبة سابقة الحديث عن طرق المنافقين ووسائلهم في محاربة الدين والشريعة، وقد ذكرنا ثلاث طرق فيها، وسوف نذكر

(1) [النساء: 142].

(2) [التوبة: 8].

(3) صحيح مسلم (2784).

(4) [آل عمران: 102].

إن شاء الله في هذه الخطبة أيضا طرقهم ووسائلهم.

الوسيلة والطريقة الرابعة في محاربة المنافقين للدين والشريعة وما يتعلق بها: نشر الفساد الأخلاقي بكل أنواعه باسم الحرية وغيرها من المسميات الجذابة والبراقة، مستعينين بأعداء الإسلام من الكفار وغيرهم من أعداء الإسلام.

أيها الناس: لقد أودع الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في الإنسان جملة من الشهوات والغرائز والمشاعر والأحاسيس، ليعيش المرء مستمتعا بحياته وأحواله، دون الإضرار بغيره من البشر، ولذلك لم يُترك له حرية التصرف وإطلاق العنان للشهوة والغريزة، بل ضبطها الشارع وقيدَها وفق منظومة من الشرائع والأحكام التي تربي النفس وتزكّيها، وتبعدها عن الطمع والجشع، والخوض في تجارب حيوانية من شأنها أن ترسخ مفهوم القوة والغطرسة، وتقضي على كل قيمة عالية ومبدأ سام، إن الإسلام يعترف بالشهوة ولكنه يضبطها، ويعترف بالغريزة ولكنه يُقيّدُها؛ لأن إشباعها من غير ضوابط شرعية يتقارب مع مفهوم الحيوانات، وتقييدها وضبطها يتقارب مع مفهوم الإنسان، يقول الحق **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (1).

إن الآيات القرآنية التي تذكر الفساد تكون بين نهْي وتذكير، نهْي عن

(1) [الإسراء: 70].

ارتكاب هذه الجريمة البشعة بكل أنواعها، وتذكير بأحوال الأمم السابقة التي فسدت، فكان مآلها السقوط والاندثار والعذاب الأليم، ففي النهي يقول المولى عز وجل: ﴿وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾⁽¹⁾ وفي التذكير يقول الحق ر: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾⁽²⁾، أي حتى لا تكون عاقبتكم مثلهم.

إن الفساد بكل أنواعه ملة واحد -إن صح التعبير-، فليس هناك فساد محظور وآخر محبوب، وليس هناك فساد هو حرية شخصية، وآخريات ضرورة لتمرير مصالح معينة، لأن الفساد معاملة لا أخلاقية تنخر المجتمعات من الداخل ويصيبها بالشلل اقتصاديا واجتماعيا وأخلاقيا، وربما لا تظهر آثاره بسرعة، قد يحصل المنافع على المال والمال الكثير مقابل إفساده ونشره للفساد، وقد يستمتع الراشي والمرتشي بالرشوة، ويتلذذ العاصي بالمعصية، وينتشي الظالم بما يقوم به من قهر للآخرين وحرمان من الحقوق وتعد على الممتلكات، ولكنه لا يدري ما يخبئه له القدر، وما يبتليه الله المنتقم، وما يحصل له في قادم الأيام كما حصل لبقية الأمم، والقرآن كتاب يُذكر الناس بأن لا يقعوا في الفخ كما وقع سابقوهم من البشر.

تأملوا أيها الإخوة ماذا يريد المنافقون من المرأة اليمنية ومن الشباب المسلم عموما ومن الشباب اليمني ومن كل مسلم أيضا.

نشرت منظمة الحقوق المتساوية - إنجلترا بالتعاون مع منظمة يمنية وعدد

(1) [البقرة: 60].

(2) [الأعراف: 86].

من الباحثين اليمنيين، وبتمويل مباشر من الاتحاد الأوروبي في ديسمبر 2018 تقريراً ضمن مشروع التغريب العالمي المستهدف للأسرة والمرأة اليمنية، والمجتمع اليمني المحافظ: وذكرت المنظمة الدولية أن هذا التقرير تمت إدارته (بشكل سري)، بالتعاون مع إحدى المنظمات اليمنية الشريكة لها في العمل على أراضي الجمهورية، والتي (رفضت الإفصاح عن اسمها لأسباب أمنية)، كما ذكرت أن (11) فريقاً من اليمن (تحفظت عن ذكر أسمائهم لأسباب أمنية كذلك) وعلى مدار (3) سنوات قاموا بجمع مادة التقرير، وأجروا المقابلات (المباشرة) مع الفئات المستهدفة؛ بغرض حصر صور التمييز والعنف وعدم المساواة في اليمن، وبهدف رصد انتهاكات حقوق الإنسان والمرأة التي يتعرض لها المجتمع اليمني.

ذكرت المنظمة أن تلك الفرق الميدانية وثقت (6000) حالة تمييز وانتهاك لحقوق الإنسان.

هل تعرفون ما هي صور العنف والتمييز وانتهاكات حقوق الإنسان التي رصدها هذا التقرير في اليمن؟

أولاً: التمييز الموجه ضد المثليين والمثليات ومزدوجي التوجه الجنسي ومغايري الهوية الجنسانية (الشاذين جنسياً)، اللواطين والزناة.

ذكرت فرق البحث الميدانية أنها رصدت (12) بلاغاً للتمييز على أساس التوجه الجنسي الذي تتعرض له الأقليات الجنسية في اليمن (اللواط)

والسحاقيات بمختلف مسمياتهم الحديثة)، واستنكر التقرير نبذ المجتمع اليمني للشخص بمجرد أن يكون مثلياً. لوطيا وزانيا وسموها ما شئتم. وتأملوا (تعرض له الأقليات الجنسية في اليمن) قد أصبحوا في نظر هذه المنظمات أقليات يجري عليهم جميع أنظمة الدفاع عن الأقليات في العالم الإسلامي.

ثانياً: ثم ذكر التقرير قوله: التمييز والعنف الاجتماعي والمنزلي الموجه ضد النساء في عدد من المجالات بما فيها (الحق في الحرية الشخصية، يعني تفعل البنت ما تشاء ولا يحق لأحد من أسرتها لا أبوها ولا أمها أن يمنعوها مما تريد، حتى لو أدخلت أشخاصاً إلى غرفة نومها فهذه حريتها في نظرهم ولا يحق لأحد أن يمنعها.

وأيضاً - الحق في اختيار الزوج ولو كان فاسقاً فاسداً مفسداً مجرماً حتى كافراً فلا اعتراض لأحد - فلا اعتراض في الحق في الحياة الأسرية ولو كانت حياة أسرية من الحرام، وليس الزواج شرطاً لها.

- حرية التنقل واختيار السكن الذي ترغب به، فللمرأة الشابة أن تسكن حيثما تريد حتى مع أصدقائها وعشاقها، فلا يحق للأب والأم والأسرة أن يعترضوا عليها.

- الرعاية الصحية الشاملة للصحة الجنسية والإنجابية. ومعناها إذا حملت البنت من الحرام وجب على والدها رعايتها صحياً ونفسياً حتى تضع حملها بسلام.

ومما جاء في التقرير: على اليمن ضمان المساواة في التمتع بجميع الحقوق

المكفولة في (النصوص الدولية) لجميع الأشخاص دون تمييز على أساس العرق أو اللون أو .. التوجه الجنسي والهوية الجنسية، زواج الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة".

ومما جاء فيه: هناك مستويات عالية من الوصمة الاجتماعية المحيطة بالمثلية الجنسية في اليمن، ويتم تجريم الجماع بين شخصين من نفس الجنس "اللواط وغيره. يعني الرجل مع الرجل والمرأة مع المرأة، والإنكار لهذا الفعل جريمة يعاقب عليها القانون الدولي. وما أشبه هذه الكلام بما أخبر الله به عن قوم لوط ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ، إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾⁽¹⁾.

ومما جاء فيه أيضا: يتضح من الأرقام المقدمة في هذا التقرير أن اليمن أخفقت في احترام وحماية وإعمال الحق في المساواة وعدم التمييز وفقاً لالتزاماتها الدولية في مجال حقوق الإنسان".

أيها الأجابة هذا التقرير هو صياغة أيدي المنافقين من أبناء جلدتنا، يتكلمون بألسنتنا، فهل علمتم خطر هؤلاء في نشر الفساد والإفساد والجرام.

إن المنافق الذي باع دينه وأخلاقه وعرضه وبلاده لن يهنأ له بال، ولن يستقر له قرار حتى يرى الفساد منتشرًا، والخير منحصرًا، والإجرام عاليًا، والفواحش والفجور في كل مكان، والعفة والحياء منزوية ومحاربة في أي مكان، ينشرون ذلك بكلمات الرحمة بالفاسدين، وعبارات الشفقة على المجرمين،

(1) [النمل: 56].

والبحث عن حمايتهم بالقوانين، فصار صاحب العفة والشرف مجرماً، وصار أهل الزنا واللواط وغيرهم من أصحاب الفواحش أصحاب حرية ومدح وثناء من هؤلاء المنافقين. وصدق الله القائل في وصفهم: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (1).

أيها المؤمنون: أختتم لكم هذه الفقرة أو النقطة بتعليق من أحد الدكاترة الفضلاء الذين حضروا الخطبة في الجمعة الماضية لتعرفوا خطر ما نتكلم عنه، أرسل لي هذا الدكتور الفاضل رسالة شكر على الموضوع الذي تكلمنا عنه ومما جاء في رسالته قوله: ملاحظة العصر هدفهم الكسب من أبشع موارده.

أي: المنافقين الذي نذكر طرقهم ووسائلهم لإفساد المجتمعات.

ثم قال: أعرف طالبا متخرجاً بامتياز من عندي من كلية التجارة من آل... (كذا)، الولد مهذب ملتزم محافظ على الصلوات، بل إنه كان سباقاً إلى المساجد، وتفاجأت قبل عامين حين شاهدت له فيديو من هولندا وفي يده الصليب والمبخرة، وقد ارتضى أن يلبس أثواب القساوسة ويعلن تنصره، وبعد حوار طويل أسرني بما مضمونه: الإسلام في قلبي، وهو كاذب في هذا طبعاً بعدما جاهر بالخروج من الإسلام، وأصبح داعية إلى الكفر.

ثم يقول هذا الشاب للدكتور: حصلت من جمعية على منحة ماجستير

(1) [التوبة: 67].

ودكتوراه، ومُلكْتُ منزلاً مع قطعة أرض زراعية كبيرة مع معدات زراعية فاضطرت لعمل هذا.

ثم قال الدكتور: المشكلة الآن أنه أصبح يدعو اليمنيون بالعلن للتنصر واعتناق النصرانية، ونخشى أن يستخدم نفس الأسلوب الذي استُخدم معه مع ضعاف الإيمان والنفوس (أسلوب الإغراء بلعاعات الدنيا) مستغلاً ظروف الشباب المادية.

فهل رأيتم -أيها الإخوة- أين يكمن الخطر، الآن أصبح لهؤلاء قنوات في وسائل التواصل، وأصبح لهم دعم مفتوح، وأصبح لهم منظمات تدافع عنهم وتحميهم وتسفرهم خارج البلاد، أو يجلسون في بلدانهم ليفسدوا الآخرين، مع دعم لهم مفتوح ومغري، ومن جلس مع بعض من يذهبون إلى مصر للعلاج، ويحدثك بمن يلتقي بهم من هؤلاء الشباب اليمنيون ستعرفون أننا نمر بمرحلة ومنعطف خطير على الجيل الذي يراود إفساده بكل طرق وأنواع الفساد، وصدق الله القائل في وصف من هذه أوصافه فقال **جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (1).**

اللهم اصرف عنا وعن شبابنا ونساء المسلمين شر الأشرار، وكيد الفجار، وشر طوارق الليل والنهار، أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم إنه هو الرحيم الغفار.

(1) [البقرة: 204].

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، **أما بعد:**

بقي بعض الطرق والوسائل التي يسلكها المنافقون في محاربة الدين، سوف أذكرها باختصار من غير تفصيل حتى لا أطيل عليكم، وهي واضحة لمن تأملها.

الطريقة والوسيلة الخامسة: العمل على تجنيد أكبر عدد من الشباب والفتيات معهم؛ لأن هؤلاء طاقات فاعلة متى ما اقتنعت بما عندهم، ومتى أغريت بالمال، ومُسخت فطرها وأخلاقها فسوف يعملون معهم بتفاني ونشاط منقطع النظير.

وهم يستغلون فقر الشباب وفراغهم الديني والعاطفي، لقد استغل هؤلاء المنافقون في الشباب والفتيات منافذ اللّهُو ومعامل الفساد، وأوكر الشرّ ومواطن الكسل، ومكامن الخمول التي تستهوي شبابنا اليوم، وتقضي على دوره الإيجابي في المجتمع.

سادسا: ومن وسائلهم وطرقهم أيضا: العمل على تخذيل المسلمين في نشر الإسلام بل ومحاربة كل من يقوم بذلك تحت غطاءات ومسميات متعددة،

وانظروا على سبيل المثال محاربة الدول الغربية وأمريكا للدكتور الهندي (ذاكر نايك) الذي دخل على يديه في الإسلام عشرات الآلاف من غير المسلمين. ففي هذا المجال تَضَيُّعٌ وتُمنَعُ الحرية وتُحارب ويضيق عليها، وفي الفساد الأخلاقي تشجع وتحمى بالقانون.

سابعاً: ومن وسائل وطرق المنافقين في محاربة الدين: نشر الفوضى في الدول الإسلامية من أجل زعزعة استقرارها؛ لأن الفوضى في أي بلد متى انتشرت انتشر معها الفقر والفساد بجميع أنواعه، ويسهل عليهم العمل في مثل هذه الأوساط حتى تنتشر المنظمات الغربية وغيرها في تلك البلدان بشكل كبير.

فهذه بعض الطرق والوسائل وغيرها كثير يسعى من خلالها أعداء الإسلام وأذئابهم من المنافقين والفاستدين لهدم الأخلاق والقيم والشرع الحنيف من بلدان المسلمين.

اللهم بقوتك وعزة اخذل المنافقين وأعوانهم من تحقيق غاياتهم، ورد كيدهم في نحركم، اللهم وفق العاملين للخير والمدافعين عن الشرع لكل خير، واحفظهم بحفظك يا رب العالمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.



الخطبة الأولى

الحمد لله العليم الخبير، السميع البصير، أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، لا إله إلا هو إليه المصير، أحمدُ ربِّي وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، **وأشهد** أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، العليُّ الكبير، **وأشهد** أن نبينا محمداً عبدُ الله ورسوله البشير النذير والسراج المُنير، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وأصحابه ذوي الفضل الكبير، **أما بعد:**

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (1).

أيها المؤمنون: إن محبة الله تعالى للعبد هي المنزلة التي فيها يتنافس المتنافسون، وعليها يتفانى المحبون، وبرُّوح نسيما يتروح العابدون.

إن محبة الله للعبد هي قوت القلوب وغذاء الأرواح وقرة العيون، وهي الحياة التي من حُرْمها فهو من جملة الأموات، وهي النور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات، ومحبة الله هي اللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام، ولهذا كان كل من حرم من محبة الله تعالى فقد حرم من الحياة الطيبة في

(1) [الحشر: 18].

الدنيا والآخرة.

أيها المؤمنون: إن هناك أصنافاً من الناس اتصفوا بصفات ذميمة وأوصاف قبيحة أخرجتهم عن محبة الله، ومن خرج عن محبة الله فقد خرج من الرحمة التامة والنعمة السعيدة والحياة الهنيئة.

فيا ترى من هؤلاء الذين لا يحبهم الله تعالى؟

وقبل البدء بذكر بعضهم في هذه الخطبة ونكمل ما تبقى في خطب لاحقته إن شاء الله تعالى، قبل البدء أقول: والله - أيها الأحبة - لو قال لك شخص تُعِزُّه وتحترمه، لو قال لك أبوك أو أمك: إنه لا يحبك لأصابك الهم والغم من هذه الكلمة، فكيف إذا كان الخالق **جَلَّ وَعَلَا** وله المثل الأعلى يخرجك عن محبته ورحمته، كيف سيكون حالك؟ وإلى أين سيكون مآلك؟ فتنبه - أخي الكريم - لهذه الصفات والأوصاف، **واحذر أن تكون ممن اتصف بها:**

الصنف الأول من الذين لا يحبهم الله تعالى: المعتدون: قال **جَلَّ وَعَلَا**: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾⁽¹⁾، والمعتدي هو الذي يلحق الضرر بالآخرين بغير وجه حق، سواء كان هذا الضرر في الاعتداء حسياً أو معنوياً.

ألا وإن للاعتداء على الآخرين صوراً وأنواعاً، وقد يقع بعض الناس في بعضها دون أن يشعروا أنه اعتداء أو تعذيب، فمن صور الاعتداء الذي لا يحبه الله تعالى:

(1) [البقرة: 190].

أولاً: أن يتجاوز الإنسان الحلال إلى الحرام، فيقع فيه، وهذا نوع من الاعتداء على النفس، لأنه يوصل النفس إلى سخط الله وغضبه، كما أن هذا الاعتداء يدل على عدم امتثال صاحبه لأمر الله أو أمر رسوله ﷺ.

وقد يكون هذا الاعتداء وهذا التجاوز سبباً لعذاب الله للعبد في الآخرة، وإن المتأمل لحال كثير من الناس هذه الأيام يجد عجباً في التساهل بأوامر الله، حتى إن الاستقامة على الدين أصبحت عند بعض الناس تخلفاً وتشدداً وتزمتاً، وكأن الاستقامة على الدين أصبحت تهمّة عند بعض الناس.

قال الإمام الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ: في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾، أي: لَا تَعْتَدُوا إِلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ، وقال أيضاً: لَا تَأْتُوا مَا نَهَاكَمُ اللَّهُ عَنْهُ (1).

إخواني: تأملوا في هذا الكلام الجميل للعلامة ابن حزم رَحِمَهُ اللهُ، وتفكروا فيه، وتخيلوا أنكم واقفون بين يدي الله تعالى في أرض المحشر، فماذا ستكون الإجابة، يقول عليه رحمة الله: فوالله أيها الأحبة إن أحداً ليستد رَوْعَهُ ويخفق قلبه من وعيد آدمي ضعيف مثله لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً، ولا يقدر أن يتمادى شهراً واحداً في عذاب من عاداه وكاشفه بأكثر من الحبس، فكيف بذلك اليوم المذكور يوم القيامة، وبعبادٍ أهونه الوقوف في حال دنو الشمس من الرؤوس، وبلوغ العرق إلى أكثر مساحة الأجسام في يوم طوله خمسون ألف

(1) تفسير ابن أبي حاتم (1/ 325).

عام، ثم بعد ذلك يرى مصيره إما إلى جنة وإما إلى نار⁽¹⁾.

إِنَّ الذُّنُوبَ جَرَاحَاتٌ فَكُنْ حَذِرًا فَرُبَّ جَرَحٍ أَصَابَ الْقَتْلَ فَانْتَبِهْ
وإن أردت حياة السُّعْدِ مَبْتَسِمًا فُتُبْ إِلَى اللَّهِ مِنْ ذَنْبٍ فُتِنْتَ بِهِ⁽²⁾

أيها المؤمنون: ومن صور الاعتداء المحرم الذي يوقع صاحبه في عدم محبة الله تعالى له: القول على الله تعالى بغير علم، سواء في تحليل الحرام أو تحريم الحلال أو غير ذلك.

قال الإمام مقاتل بن حيان رَحِمَهُ اللَّهُ: في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾⁽³⁾، قال هو اعتداء منكم أن تحرموا ما أحللت لكم، والله لا يحب ذلك، وقال الإمام قتادة أيضا في الآية: مَنْ حَرَّمَ حَلَالَ اللَّهِ فَقَدْ أَحَلَّ حَرَامَهُ، لَيْسَ بَيْنَهُمَا فَرْقٌ⁽⁴⁾.

وقال العلامة الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: ولا تعتدوا حدَّ الله الذي حدَّ لكم فيما أحل لكم وفيما حرم عليكم، فتجاوزوا حدَّه، فتخالفوا بذلك طاعته، فإن الله لا يحب من اعتدى حدَّه الذي حدَّه لخلقه فيما أحل لهم وحرم عليهم⁽⁵⁾.

أيها الناس: اليوم إذا جلست في مجلس من مجالس عامة الناس أو في

(1) رسائل ابن حزم الأندلسي (3/147).

(2) من كلماتي.

(3) [المائدة: 87].

(4) تفسير ابن أبي حاتم (4/1186).

(5) تفسير الطبري (8/606).

مجموعات التواصل الاجتماعي كالواتس والفيس بك وغيرها، فإذا جلست في المجالس العامة أو في هذه المجموعات وكان فيها متخصص في الطب، وجاء ذكر مسألة في الطب يشير الجميع إلى الطبيب ليجيب عليها، لأنه تخصصه، وإذا جاءت مسألة في القضاء والحكم وكان هناك قاضٍ موجود أشاروا إلى القاضي، وهكذا في بقية العلوم كالرياضيات والهندسة وغيرها.

ولكن إذا جاءت مسألة شرعية تحوّل الجميع إلى علماء وفقهاء، وكل واحد يتكلم فيها وكأنه عالم زمانه وفقهه أو انه ومفتي أو طانه، ولو عُرِضَتْ هذه المسائل التي تعرض في هذه المجالس على عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لن يجيب عليها حتى يجمع لها أهل بدر، فأين احترام التخصص، وأين الخوف من الله، أو أن الأحكام الشرعية والفتاوى الدينية لكل من هب ودب، إن هناك فرقا بين التدين الذاتي وبين التخصص في الأحكام الشرعية والفتاوى الدينية والفهم الدقيق لمعاني الآيات القرآنية، فهذا الأمر لأهل التخصص الذي بذلوا في طلبه جهدهم، وأفنوا في فهمه أعمارهم، وتركوا من أجله كثيراً من أشغالهم، واليوم يأتي إنسان لا يعرف كُوعه من بُوعه كما يقال، ولم يقرأ كتاباً في الحديث ولا كتاباً في الفقه ولا كتاباً في اللغة، ولم يجلس بين أيدي العلماء، ويرد الأحاديث النبوية ويُخْرِجُ الآيات القرآنية عن معانيها التي اتفق عليها العلماء السابقون بتبريرات سخيفة وكلمات قبيحة وتأويلات بعيدة.

يأتي مَنْ قد يكون دكتوراً في غير تخصص شرعي ولم يقرأ كتاباً في اللغة، ولا في البلاغة القرآنية، ولا كتاباً في علم الصرف، ولا كتاباً في أسباب النزول،

ولا كتابا في التفسير، ولا كتابا في لسان العرب، ويريد أن يفسر آيات قرآنية بعقل بعيد عن العلوم المتقدمة، ويرد على العلماء الذين أفنوا أعمارهم في هذه العلوم، بل الأعجب من ذلك أنه قد يأتي بأقوال مخالفة لإجماع المفسرين بحجة أن عقله أوصله لهذا، ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه، ومن تكلم بغير فنه أتى بالعجائب.

فاحذروا من هؤلاء في مجالسكم ومتدياتهم، وبعضهم قد أوتي جدلاً ولساناً في إبطال الحق ونشر الباطل.

وأختم هذا الأمر الخطير المنتشر بكلام جميل للعلامة ابن القيم عليه رحمة الله فتأملوا فيه، إذ يقول: وأما القول على الله بلا علم، فهو أشدُّ هذه المحرّمات تحريمًا، وأعظمها إثماً. ولهذا ذكر في المرتبة الرابعة من مراتب المحرّمات التي اتفقت عليها الشرائع والأديان، ولا تباح بحال، بل لا تكون إلّا محرّمةً، وليست كالهيئة والدّم ولحم الخنزير، الذي يباح في حالٍ دون حالٍ.

فإن المحرّمات نوعان: محرّم لذاته، لا يباح بحال، ومحرّم تحريمه عارض في وقتٍ دون وقتٍ. قال تعالى في المحرّم لذاته: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾⁽¹⁾، ثم انتقل منه إلى ما هو أعظم منه، فقال: ﴿وَأَنْ تَشْرِكُوا بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾، ثم انتقل منه إلى ما هو أعظم منه، فقال: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. فهذا أعظم المحرّمات

(1) [الأعراف: 33].

عند الله وأشدُّها إثماً، فإنَّه يتضمَّن الكذبَ على الله، ونسبته إلى ما لا يليق به، وتغيير دينه وتبديله، ونفي ما أثبتته وإثبات ما نفاه، وتحقيق ما أبطله وإبطال ما أحقَّه، وعداوة من والاه وموالاة من عاداه، وحب ما أبغضه وبغض ما أحبه، ووصفه بما لا يليق به في ذاته وصفاته وأقواله وأفعاله. فليس في أجناس المحرَّمات أعظم عند الله منه ولا أشدُّ إثماً، وهو أصلُ الشُّرك والكفر، وعليه أُسِّست البدع والضَّلالات، فكلُّ بدعة مُضِلَّة في الدِّين أساسُها القولُ على الله تعالى بلا علم⁽¹⁾.

اللهم ارزقنا خشيتك في الغيب والشهادة، أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(1) مدارج السالكين (1/ 573).

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، إله الأولين والآخرين، وقيوم السموات والأرضين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين وآله وأصحابه أجمعين، **أما بعد:**

أيها المؤمنون: الصنف الثاني ممن لا يحبهم الله تعالى: الخائنون.

وحقيقة الخيانة ومعناها: عمل مَنْ أُؤْتِمَنَ عَلَى شَيْءٍ بِضَدِّ مَا أُؤْتِمَنَ عَلَيْهِ بدون علم صاحبه، وهي شاملة لجميع التكاليف الشرعية، قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾⁽¹⁾، **قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:** لا تخونوا الله بترك فرائضه، والرسول بترك سنته وارتكاب معصيته⁽²⁾.

وتخونوا أماناتكم أي لا تنقضوها، وهذا عام في كل أمانة، فليست الخيانة خاصة بالمعاملات المالية فقط.

أيها المؤمنون: إن الخيانة من الصفات القبيحة والأخلاق الذميمة، ولقد جاءت النصوص الشرعية بدمها والتحذير منها وبيان عظيم العقوبة لأهلها، ويكفي في ذمها والابتعاد عنها أن الله لا يحب صاحبها.

(1) [الأنفال: 27].

(2) تفسير ابن أبي حاتم (5/ 1684).

فكم من صديقٍ ائتمن صديقه على شيءٍ فخانهُ، وكم من جارٍ خان جاره، وكم من عاملٍ خان صاحب عمله، وكم من موظفٍ خان في وظيفته، وكم من رجلٍ أو امرأةٍ سرَّه صاحبةٍ بسرٍ فأفشاه، وكم من امرأةٍ أو رجلٍ أخرج عيوب صاحبه بعد أن كانت مستورة، وكم من أسرةٍ أفشت سرَّ بعض أقاربها، وهذا من أعظم الخيانات، وهكذا تنوعت الخيانات والنتيجة واحدة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾⁽¹⁾.

فالخيانة ذم كلها، وقُبْحُ كلها، وشر كلها، وهي من علامات النفاق، قال صلى الله عليه وسلم: (آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان)⁽²⁾. **وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾**⁽³⁾.

قال الإمام الطبري في معنى الآية: يَقُولُ: "إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مِنْ صِفَتِهِ خِيَانَةُ النَّاسِ فِي أُمُورِهِمْ، وَرُكُوبُ الْإِثْمِ فِي ذَلِكَ وَغَيْرِهِ مِمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ"⁽⁴⁾.

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ أي: كثير الخيانة والإثم، وإذا انتفى الحب ثبت ضده وهو البُغْضُ، وهذا كالتعليل، للنهي المتقدم⁽⁵⁾.

(1) [الأَنْفَال: 58].

(2) صحيح البخاري (33).

(3) [النساء: 107].

(4) تفسير الطبري (7/ 470).

(5) تفسير السعدي (ص 200).

وقال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال ما خطب رسول الله ﷺ إلا قال: «لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ»⁽¹⁾.

والخيانة غالباً تكون بسبب حسد أو طمع في مال، أو منصب، أو جهل، أو كِبَرٍ، أو شهوة، والخائن مُهدد بالنار، قال ﷺ: (وأهل النار خمسة وذكر منهم: وَالْخَائِنُ الَّذِي لَا يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ وَإِنْ دَقَّ إِلَّا خَانَهُ، وَرَجُلٌ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إِلَّا وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ)⁽²⁾.

أيها المؤمنون: وموضوع الخيانة وأنواعها وآثارها موضوع يحتاج إلى خطب متعددة، وتحذيرات متكررة لما له من أهمية في الحياة العامة، سواء في حياة الفرد مع أهله وأسرته، أو مع غيره في مجتمعه، أو مع الزوج وزوجته، وكذلك مع المجلس وجلسائه، ولعل الله ييسر له وقتاً آخر للحديث عنه.

اللَّهُمَّ اٰمِنُنْ عَلَيْنَا بِاِصْلَاحِ عُيُوْبِنَا، وَسَتْرِ زَلَاتِنَا، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُتَّقِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

(1) مسند أحمد (13199).

(2) صحيح مسلم (2865).



الاستعجال المذموم

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، **وأشهد** أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾⁽¹⁾، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾⁽²⁾، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾⁽³⁾، **أما بعد:**

فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

(1) [آل عمران: 102].

(2) [النساء: 1].

(3) [الأحزاب: 70، 71].

أيها المؤمنون: إن هناك صفة مذمومة إن وقعت وفُعلت بغير محلها، قد ذمها الله في القرآن الكريم في آيات، وحذرت منها السنة النبوية في أحاديث، وما زال الحكماء والعقلاء والصالحون قديما وحديثا يحذرون منها ويذكرون عواقبها ونتائجها.

هذه الصفة المذمومة تدل على خفة العقل، وقلة الرزانة فيه، وغلبة الشهوة عليه، من اتصف بها في غير محلها صحبته الندامة واعتزلته السلامة.

كثرة الطلاق والمشاكل الزوجية من ثمار هذه الصفة، وإزهاق الأرواح وقتل الأبرياء من آثارها، واليأس والقنوط من أضرارها، وترك الدعاء من مظاهرها، والتعالم وحب الظهور من نتائجها، قال تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾⁽¹⁾ وقال سبحانه: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾⁽²⁾.

هذه الصفة القبيحة هي: الاستعجال المذموم.

أيها الناس: إن هناك صورا متنوعة، وأنواعا متعددة من الاستعجال المذموم يقع فيه كثير من الناس، وهذه الصور يزداد ذمها بقدر آثارها التي أحدثتها ونتائجها التي سببتها.

ومن هذه الصور والأنواع من الاستعجال المذموم:

(1) [الإسراء: 11].

(2) [الأنبياء: 37].

أولاً: الاستعجال بالدعاء على النفس، أو الدعاء على الأهل، أو الدعاء على الأبناء.

اعلم - أيها الأب -، واعلمي - أيها الأم - أن الدعاء على الأبناء سهام صائبة، وسيوف قاطعة، وقد يوافق الدعاء ساعة استجابة فينزل بالابن البلاء، وتحل عليه المصائب، وتتعدد عليه المحن، عند ذلك لا ينفع الأم والأب الندم ولا البكاء، ولا التحسر ولا التأوه، ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الدعاء على الأبناء، وهذا النهي يفيد التحريم، فيحرم على الأب أو الأم أن يدعوا على أبنائهما.

قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: "لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تَوَافِقُوا مِنْ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ" (1).

كان الإمام الزمخشري مقطوع الرجل فسئل عن ذلك، فقال بدعاء أُمِّي، ذلك أُنِي كنت في صباي أُمسكت عصفورا وربطته بخيط في رجله فجذبتَه فانقطعت رجله، فتألّمت أُمِّي لذلك وقالت: قطع الله رجلك كما قطعت رجله، فلما كبرت وكنت في سفر إلى بخارى لطلب العلم سقطت عن الدابة فانكسرت رجلي ووجب القطع (2).

لا شك أيها الأخوة أن أم الإمام الزمخشري **رَحِمَهُ اللَّهُ** لو رأت هذه الحادثة

(1) صحيح مسلم (3009).

(2) تاريخ الإسلام (11 / 698).

وهذه المصيبة لحزنت وتألّمت أنها دعت عليه، بل لو خُيرت بين قطع رجله ورجلها لاخترت قطع رجلها.

والدعاء على الأبناء كثير في أوساط الأمهات، فالحذر من ذلك، فهو إثم كبير وندامة في الحياة، والقصاص في هذا كثيرة، والله المستعان.

كم من دعوة أب أو أم على ولدهما قتلته، ودعوة دمرت حياته، ودعوة جعلته طريح الفراش لا يتحرك، ودعوة أذهبت عليه بركة الرزق، ودعوة تسببت في نكد العيش، ودعوة زرعت في حياته هموما، ودعوة أنزلت عليه بلاء وغموما.

فاحذروا من الدعاء عليهم فإن الندم لا ينفع إذا نزل عليهم البلاء، والحسرة لا تنفع إذا حل عليهم العنت والشقاء، وأكثروا من الدعاء لهم فهو سنة الأنبياء والمرسلين، وأسلوب الآباء والأمهات الصالحين، قال جل وعز مخبرا عنهم وحاثا للسير على هديهم، ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (1) وقال أيضا: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (2).

ومن الدعاء الذي انتشر على الأولاد خصوصا في أوساط الأمهات الدعاء

(1) [الفرقان: 74].

(2) [الأحقاف: 15].

عليهم بقولهن: جني بيزك، لك، الجن يشلوك، وكم حدث بسبب هذه الدعوة من أمراض للأولاد، وبلاء على الأبناء، فيصابون بمس بسبب هذا الدعاء وهذا النداء، فاحذروا من ذلك أيضا.

والدعاء على النفس منهي عنه أيضا، فكم نسمع من بعض الناس وهم يقولون عن أنفسهم: الله يأخذهم أو نحوها من الأدعية إذا فقد شيئا أو غضب من شيء، فيدعو على نفسه بأنواع من الأدعية، وهذا منهي عنه، قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: "لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا مِنْ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ" (1).

ثانيا: ومن صور الاستعجال المذموم الاستعجال في الصلاة:

ولا يخفى عليكم -أيها الأحبة الكرام- أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عَظَمَ شَأْن الصلاة تعظيما كبيرا، فعرَجَ بنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأجلها تمييزا لفرضها، وتأكيذا لعلو شأنها، وتنزلت الآيات الكريمات عنها، ونطقت الأحاديث الشريفة بفضلها ومكانتها وبيان صفتها، هداية للعباد، وإرشادا لهم حتى يقيموها إقامة صحيحة، ويؤدوها أداء تاما، ولا يخفى عليكم أنها عمود الدين وركن الإسلام الركين، وهي العهد بين الله وخلقه، وآخر وصايا النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** في مرض موته، وهي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة، وهي راحة للنفس، وطمأنينة للقلب، وقرة عيون المؤمنين، وهي السلوى من الهموم والغموم والأحزان،

(1) صحيح مسلم (3009).

وهي العون على الشدائد والصعاب، فإذا كانت هذه مكانة الصلاة فهل يليق بك أيها المسلم أن تنقرها نقر الغراب، إن هناك أناسا يدخلون إلى الصلاة في استعجال عجيب، وكأنه في حلبة سباق، يسرع في قراءة الآيات بحيث لو سمعه أحد يتكلم بهذه السرعة لظنه مريضا في عقله لا يدري ما يقول، ولا يتم ركوعها ولا سجودها، إذا قام من الركوع لا يستقيم قائما بل يسجد مباشرة، وإذا قام من السجود لم يستكمل جلوسه فيسجد السجدة الثانية بسرعة خاطفة.

والعجيب أن كثيرا من المستعجلين ربما يكمل صلاته في استعجال ويجلس مع صاحبه أو مع شاشة الجوال الساعات الطوال بتأني وخشوع وهدوء عجيب، هل صارت الجوالات أحب إلى القلوب والأرواح والجلوس معها والسكون عند أخذها والصبر عليها هل صار ذلك أحب إلى القلوب من الصلاة؟!

أيها الإخوة: تأملوا في هذه الأحاديث ليراجع كل واحد منا أمر صلاته:

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فدخل رجل، فصلي، فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم، فرد وقال: «ارجع فصل، فإنك لم تصل»، فرجع يصلي كما صلى، ثم جاء، فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «ارجع فصل، فإنك لم تصل» ثلاثا، فقال: والذي بعثك بالحق ما أحسن غيره، فعلمني، فقال: «إذا قمت إلى الصلاة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعا، ثم ارفع حتى تعدل قائما، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا، ثم ارفع حتى

تطمئن جالسا، وافعل ذلك في صلاتك كلها»⁽¹⁾.

وعن أبي مسعود البدرى، قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تُجزئ صلاة الرجل حتى يُقيم ظهره في الركوع والسجود"⁽²⁾.

وعن أبي عبد الله الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً لا يُتمُّ رُكُوعَهُ يُتَقَرُّ فِي سُجُودِهِ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ مَاتَ هَذَا عَلَى حَالِهِ هَذِهِ مَاتَ عَلَى غَيْرِ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ»⁽³⁾.

ومن الاستعجال المذموم في الصلاة: مسابقة بعض المأمومين للإمام، فيكاد يركع قبله أو يساويه أو يقاربه. **عن** أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنه قال: "إنما جعل الإمام ليؤتم به، فلا تختلفوا عليه، فإذا ركع، فاركعوا، وإذا قال: سمع الله لمن حمده، فقولوا: ربنا لك الحمد، وإذا سجد فاسجدوا، وإذا صلى جالسا، فصلوا جلوسا أجمعون، وأقيموا الصف في الصلاة، فإن إقامة الصف من حسن الصلاة"⁽⁴⁾.

ومن العجلة المذمومة في الصلاة وهذا يفعله كثير من الناس، وهو قيام الشخص الذي فاتته بعض الركعات مع الإمام فإذا سلم الإمام قام لقضاء ما

(1) صحيح البخاري (757).

(2) سنن أبي داود (855).

(3) المعجم الكبير للطبراني (3840).

(4) صحيح البخاري (722).

فاته قبل أن يتم الإمام سلامه الثاني.

وكما أن هناك عجلة من المنفرد والمأموم هناك عجلة من بعض الأئمة خصوصا في الجماعات الثانية فلا تكاد تدرك معه تسييحات الركوع، ولا قراءة غير الفاتحة في الركعة الأولى والثانية، فليتنق الله تعالى المسلم في صلاته وليحذر من بطلانها أو مما ينقصها.

رزقنا الله وإياكم صفات أهل الإيمان واليقين، أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، **أما بعد:**

أيها المؤمنون: ومن صور الاستعجال المذموم: الاستعجال في إجابة الدعاء حين يدعو المسلم ربه **جَلَّ وَعَلَا** في طلب شيء، مما يؤدي بهذا المستعجل لترك الدعاء والانصراف عنه.

إن الإنسان قد تمر به ظروف عصبية، وآلام شديدة، وهموم متنوعة، فيلجأ إلى ربه ويستغيث بمولاه ويدعوه، ولكنه في نظره القاصر يرى أن دعوته لم تُستجب، وأن طلبه لم يحقق، فحينئذ يصيبه اليأس والقنوط، ويترك السؤال والدعاء يائسا أن دعوته لم تستجب، وهذا الاستعجال المذموم ناتج من الغفلة أو الجهل **بأمرين هامين في الدعاء:**

الأمر الأول: عدم استشعار أن الدعاء عبادة من العبادات، وطاعة من الطاعات التي متى أخلص العبد فيها النية فهو مأجور عليها ومثاب على فعلها فمن استشعر هذا الأمر وتحقق في قلبه هذا الشعور لن يصيبه يأس ولا قنوط، لأنه في عبادة، قال الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾⁽¹⁾.

(1) [غافر: 60].

عَنِ النَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (1).

ولهذا كان بعض السلف يواظب على الدعاء كما يواظب على قراءة القرآن لمعرفة بجزيل ثوابه وعظيم أجره وحسن عاقبته.

قال القصاب رَحِمَهُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ (2)، دليل على أن الدعاء عبادة يثاب عليه الداعي، ألا ترى أن الله - جل وتعالى - جعله في جملة ما مدح به عباده في هذا المدح، ويؤيده قوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ (3)، فسماه عبادة (4).

الأمر الثاني الذي نتج عنه الاستعجال في ترك الدعاء: هو ظنه أن إجابة الدعاء محصورة في تحقق مطلوبة الذي طلبه، أو رفع ضره الذي نزل عليه، وهذا قصور في فهم معنى إجابة الدعاء، تأملوا إخواني وأحبابي هذا الحديث، **عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، أن النبي ﷺ قال: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ، وَلَا قَطِيعَةٌ رَحِمَ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ،

(1) سنن الترمذي (3247).

(2) [الفرقان: 65].

(3) [غافر: 60].

(4) نُكِّتَ الْقُرْآنُ الدَّالَّةَ عَلَى الْبَيَانِ فِي أَنْوَاعِ الْعُلُومِ وَالْأَحْكَامِ (3/ 514).

وَأَمَّا أَنْ يَدْخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ الشُّوءِ مِثْلَهَا " قَالُوا: إِذَا نُكْثِرُ، قَالَ: "اللَّهُ أَكْثَرُ"⁽¹⁾. **قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ:** فيه دليل على أنه لا بد من الإجابة على إحدى هذه الأوجه الثلاثة⁽²⁾.

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: كُلُّ دَاعٍ يُسْتَجَابُ لَهُ لَكِنْ تَتَنَوَّعُ الْإِجَابَةُ فَتَارَةً تَقَعُ بَعِيْنٍ مَا دَعَا بِهِ وَتَارَةً بِعَوَضِهِ وَقَدْ وَرَدَ فِي ذَلِكَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ⁽³⁾.

وقال العلامة ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: وفي الحديث: "ما من مسلم دعا الله تعالى إلا أجابه: فإما أن يعجلها، وإما أن يؤخرها، وإما أن يدخرها له في الآخرة". فإذا رأى يوم القيامة أن ما أُجيب فيه قد ذهب، وما لم يُجب فيه قد بقي ثوابه، قال: ليتك لم تجب لي دعوة قط، فافهم هذه الأشياء! وسلم قلبك من أن يختلج فيه ريب أو استعجال⁽⁴⁾.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: من العجب إلحاحك في طلب أغراضك! وكلما زاد تعويقها، زاد إلحاحك! وتنسى أنها قد تمتنع لأحد أمرين: إما لمصلحتك، فَرَبَّ مُعَجِّلٍ آذَى، وإما لذنوبك، فإن صاحب الذنوب بعيد عن الإجابة. فنظف طرق الإجابة من أوساخ المعاصي، وانظر فيما تطلبه، هل هو لإصلاح دينك، أو لمجرد هواك؟

(1) مسند أحمد (11133).

(2) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (10/297).

(3) فتح الباري (11/96).

(4) صيد الخاطر (ص717).

فإن كان للهوى المجرد، فاعلم أن من اللطف بك والرحمة لك تعويقه، وأنت في إلحاحك بمثابة الطفل يطلب ما يؤذيه، فيمنع رفقا به. وإن كان لصالح دينك، فربما كانت المصلحة تأخيرها، أو كان صلاح الدين بعده.

وفي الجملة، تدبير الحق عَزَّوَجَلَّ لك خير من تدبيرك، وقد يمنعك ما تهوى ابتلاء، ليلو صبرك، فأره الصبر الجميل، تر عن قرب ما يسر. ومتى نظفت طرق الإجابة عن أدران الذنوب، وصبرت على ما يقضيه لك، فكل ما يجري أصلح لك، عطاءً كان أو منعاً⁽¹⁾.

اللهم ارزقنا الثبات على دينك، والاستقامة على طاعتك، والتوفيق لما يرضيك، برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

(1) صيد الخاطر (ص205).



صور من الاستعجال المذموم

الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾⁽¹⁾، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾⁽²⁾، **أما بعد:**

فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس: تحدثنا في خطبة سابقة عن بعض أنواع وصور الاستعجال المذموم الذي يقع فيها كثير من الناس، وفي هذه الخطبة إن شاء الله نذكر أنواعا وصورا أخرى للاستعجال المذموم والذي له أثر سيء في حياة الأفراد والأسر، بل وفي حياة الجماعات مع غيرها، **ومن هذه الصور التي سنذكرها:**

أولا: الاستعجال في الحكم بالذم والتشويه للآخرين والكراهية لهم بسبب

(1) [آل عمران: 102].

(2) [النساء: 1].

كلمة قيلت عنهم كذبا وزورا، بل والحكم على الباطن من أحوال الناس، هذا الأمر يتولد من مرض سوء الظن وسوء الطبع وقبح الأخلاق، وإن الله عَزَّجَلَّ يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (1).

إن الاستعجال في الحكم على الآخرين بالذم والانتقاص لمجرد إشاعة وصلت، أو كلمة حصلت، هو لُغْمٌ يدمر العلاقات بين الأفراد، ويفجر الصلات بين المجتمع، ويفكك الروابط الجميلة بين العائلات، ويولد العواطف بين الناس، هو قبلة موقوتة تفجر كل جميل، وتشوه كل مليح، فكم قُطعت بسبب ذلك من أرحام، وهُدمت من صداقات، وذهب من وُدٍّ، وهُتكت من أستار، وطلقت من زوجات، اليوم أصبح الحكم على الآخرين باستعجال عن طريق منشورات انتشرت، أو فتنة بينه وبين غيره حصلت، أو اختلاف بسبب حزب أو جماعة أو مصلحة من مصالح الدنيا، أصبح هذا الأمر والتشويه مصيبة عظيمة، ورزية كبيرة، وآثاما متكررة، والعجيب أن يقع مثل هذا الأمر من بعض الدعاة والمصلحين ممن اختلفت بينهم المصالح، وتعددت وجهات النظر، ومن أراد صلاح قلبه وراحة نفسه وسعادة عيشه فليبتعد عن سوء الظن، فهو يؤذي، وليبتعد عن الشك المبالغ فيه فهو يهدم، وعن المقارنة فهي تظلم، وعن المديح المبالغ فيه فهو يكذب.

(1) [الحجرات: 6].

ولا تفسر كل شيء، ولا تدقق في كل شيء، ولا تحلل كل شيء، واحذر من وسائل الإعلام والتواصل التي تنشر بين الناس هذه الأمور، وتؤجج هذه القبائح.

هل سمعتم عن الرجل الذي ترك كلبه ليحرس ابنه الرضيع، وذهب للصيد، وعندما عاد وجد الكلب ينبح أمام البيت وقد تلطخت أنيابه بالدماء، فرفع البندقية وأزهق روحه، ودخل مسرعاً ليرى طفله الذي ظن أن الكلب قد افترسه ومزقه، وإذا به يرى ذئبا غريقاً بدمائه والطفل لم يمسه أي ضرر، تخيلوا الشعور بالذنب الذي سيغشاه، والندم الذي سيرافقه طول حياته، وكم مثل هذه القصة في واقع حياتنا اليومية.

كم من أرواح أزهقت ظلماً بسبب الاستعجال، وكم من مشاعر ماتت بسبب سوء الظن، وكم من علاقات انقطعت بسبب سوء الظن، فلا تسمعوا الكلمات الخاطفة، والتشويهات والأقوال المرجفة، خصوصاً عن الصالحين والمصلحين لا سيما في وسائل التواصل المختلفة.

اعرفوا الحقيقة واسمعوا من الشخص نفسه، وانظروا ماذا سيقول، وانظروا ردة فعله حين تجدونه بريئاً وترونه صادقاً.

فاحذروا من العواجل في وسائل التواصل، واحذروا من الإشاعات المغرضة والأكاذيب المقصودة والمماحكات الحزبية والخلافات الشخصية، واعلم أنك مسؤول عن أقوالك، ومحاسب على كلماتك، ورب كلمة أدخلت

صاحبها النار، وكفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما يسمع.

قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ: اعلم أنه فساد عظيم أن يتكلم الإنسان بكل ما يسمع ⁽¹⁾.

وقال الإمام الشوكاني في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ ⁽²⁾: وَالْمُرَادُ مِنَ التَّبَيُّنِ التَّعَرُّفُ وَالتَّفْحُصُ، وَمِنَ التَّثَبُّتِ: الْأَنَاءُ وَعَدَمُ الْعَجَلَةِ، وَالتَّبَصُّرُ فِي الْأَمْرِ الْوَاقِعِ، وَالْخَبَرِ الْوَارِدِ حَتَّى يَتَّضِحَ وَيَظْهَرَ ⁽³⁾.

ثانياً: ومن الاستعجال المذموم: استعجال بعض الناس وانسياقهم وراء الشهوات المحرمة والشبهات المهلكة إيثاراً للعاجلة.

قال بعض السلف: أسرع المطايا إلى الجنة الزهد في الدنيا، وأسرع المطايا إلى النار حب الشهوات، فمن استوى على متن شهوة من الشهوات أسرع به القود إلى ما يكره ⁽⁴⁾.

إن الناظر بعين البصر والبصيرة في عالمنا اليوم يجد أننا نمر بفتن عظيمة، تنوعت أسبابها، وتعددت أشكالها، وكثرت صورها، فتعاظم خطرها، وتطاول

(1) سير أعلام النبلاء (8 / 66).

(2) [الحجرات: 6].

(3) فتح القدير للشوكاني (5 / 71).

(4) ذم الهوى (ص 29).

شررها، فتن تحسن القبيح، وتُقبِح الحسن، وتجعل الصادق كاذبا، والكاذب صادقا، والخائن آمينا، والأمين خائنا.

أهواء تعبت بالعقول والغرائز، وفتن تموج كموج البحر، وصدق النبي ﷺ حين قال: "سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَاعَاتٌ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْصَةُ" قيل: وَمَا الرُّوَيْصَةُ؟ قَالَ: "الرَّجُلُ التَّافَهُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ" (1).

ولقد حذر النبي ﷺ من الإسراع إلى الفتن، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: "ستكون فتنة صمَاءُ بكمَاءُ عَمِيَاءُ، مَنْ أَشْرَفَ لَهَا اسْتَشْرَفَتْ لَهُ، وَإِشْرَافُ اللِّسَانِ فِيهَا كَوُقُوعِ السِّيفِ" (2).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «سَتَكُونُ فِتْنٌ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفُهُ، فَمَنْ وَجَدَ مِنْهَا مَلْجَأً، أَوْ مَعَاذًا، فَلْيَعُذْ بِهِ» (3).

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: معناه بيان عظيم خطرها، والحث على تجنبها، والهرب منها، وأن شرها وفتنتها يكون حسب التعلق بها (4).

فالإسراع إلى الذنوب والمعاصي، وإلى الشبهات المضلة، خصوصا في

(1) سنن ابن ماجه (4036).

(2) سنن أبي داود (4264).

(3) صحيح البخاري (7081).

(4) شرح النووي على مسلم (9/18).

وسائل التواصل والقنوات، خطره عظيم، وتأثيره كبير، وعاقبته وخيمة، وآثاره عميمة، والسعيد من اتعظ بغيره، وعمل إلى إصلاح نفسه، وراقب مولاه في سره وجهره، واجتنب كل من يدعو إلى فساد عقيدته وتغيير منهجه وأخلاقه.

واعلم أن هناك أناسا فاسدين وأصدقاء مفسدين يفرحون بفسادك، ويسارعون في إهلاكك، سواء كانوا أصدقاء مباشرين أو أصدقاء وسائل التواصل والصفحات والمتنوعات، فهل ترضى أن تقول يوم القيامة: ﴿وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾⁽¹⁾.

سارع إلى الفتن والشهوات المحرمة، وأقبل مسرعا على الذنوب واللذات المهلكة، أذهب سعادته الحقيقية في الدنيا، وخسر حياته الحقيقية الدائمة في الآخرة بقدر ما حصل منه من إسراع لهذه الذنوب والشهوات.

خل الذنوب صغیرها وكبرها ذاك التقى
واصنع كماشٍ فوق أرض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرنَّ صغيرة إن الجبال من الحصى

رزقنا الله وإياكم التوفيق للطاعات، وجنبنا المعاصي والمنكرات، أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(1) [الفرقان: 27 - 29].

الخطبة الثانية

ومن صور الاستعجال المذموم: الاستعجال في قيادة السيارات والدراجات النارية، وهذه القضية وهي ظاهرة التهور والاستعجال في قيادة السيارات والدراجات النارية والاستهتار بأرواح البشر ظاهرة مرضية خطيرة، ومفسدة كبيرة، زادت وانتشرت في الفترة الأخيرة، وانتشرت معها مفاسد أخرى، من الوقوف في الطرقات، وإيذاء الناس بالأصوات المزعجة من المسجلات، بل ومن الشباب من يذهب إلى الأسواق لإيذاء النساء والفتيات.

كم هي اليوم حوادث السيارات داخل المدن وخارجها والتي كان من أهم أسبابها السرعة الزائدة والتجاوزات، خصوصا أصحاب الدراجات النارية، إني أخشى أن من تعمد السرعة الزائدة التي تكون عاقبتها الموت المحقق أن يكون من القتل شبه العمد.

إن قوانين السير حين انعدمت ظهر لنا أناس يعكسون الشوارع من غير خجل ولا حياء ولا رادع، وظهر لنا أناس يقفون وسط الشارع ثم ينزل من سيارته وكأنه في حوش بيته من غير خجل أو حياء، وإذا تم نصحهم غضبوا وكأنك أنت الذي أخطأت بحقهم.

هذه الظاهرة الخطيرة إذا لم يتم علاجها والزجر لمن أخل بها، والردع الصارم، ستجدون الموتى كل يوم في ازدياد، والمعاقين في تكاثر، وعلى كل من

له سلطة الأخذ بحزم في مثل هذه الأمور.

اللَّهُمَّ أَقِظْ قُلُوبَنَا وَنَوِّرْهَا بِنُورِ الْإِيمَانِ، وَثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا،
وَارْزُقْنَا الْمَعْرِفَةَ بِكَ عَنْ بَصِيرَةٍ، وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ، وَوَفِّقْنَا لِمَطَاعَتِكَ،
وَامْتِثَالِ أَمْرِكَ، وَاعْفُزْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.



الاستعجال المحمود

الخطبة الأولى

الحمد لله القائل: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾⁽¹⁾، **وأشهد** أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾⁽²⁾، **وأشهد** أن محمدا عبده ورسوله القائل: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا ^{صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ، **أما بعد:**

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾⁽⁴⁾.

أيها المؤمنون: تقدم معنا أيها الأحبة في خطبة سابقة الحديث عن الاستعجال المذموم والآثار المترتبة عليه. وحديثنا اليوم إن شاء الله عن الاستعجال المحمود، وهي الأمور التي لا بد من المبادرة والمصارعة إليها،

(1) [آل عمران: 133].

(2) [الأعراف: 201].

(3) صحيح مسلم (118).

(4) [الحشر: 18].

وعدم التأخر عنها.

واعلم أن كل تأخير بغير سبب عن الأمور التي سنذكرها له آثار تترتب عليه، وأضرار تنتج عنه، وقد تكون هذه الآثار والأضرار فردية شخصية تخص الشخص الذي حصل منه، وقد تكون عامة في الأسرة أو في المجتمع.

وأول هذه الأمور التي لا بد من الاستعجال فيها والمسارة إليها: التوبة إلى الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** من ذنوب حصلت، وآثام وقعت، ومن تقصير في عبادة أو ترك لها.

إن التوبة إلى الله عَزَّجَلَّ تعني الرجوع إليه بفعل الطاعات، وترك المحرمات، ومتى حصل من الإنسان تقصير في ذلك بادر بالتوبة، وأسرع بالرجوع والأوبة، امثالاً لأمر الله تعالى، وخوفاً من أن يهجم عليه الموت فجأة وهو على حال تُسَخِّطُ الله تعالى وتوقع في غضبه وعقابه. **قال عَزَّجَلَّ: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (1).**

قال العلامة السعدي عليه رحمة الله: أمر بالمسابقة إلى مغفرة الله ورضوانه وجنته، وذلك يكون بالسعي بأسباب المغفرة، من التوبة النصوح، والاستغفار النافع، والبعد عن الذنوب ومظانها، والمسابقة إلى رضوان الله بالعمل الصالح، والحرص على ما يرضي الله على الدوام، من الإحسان في عبادة الخالق،

(1) [الحديد: 21].

والإحسان إلى الخلق بجميع وجوه النفع⁽¹⁾.

إن أعظم حجاب بين المذنب وبين المسارعة إلى التوبة التسويف في التوبة يقول: سوف أتوب، وسوف أترك الذنوب.

أخي الحبيب: ما أسوأ هذا الحجاب الذي حجب العصاة عن التوبة والرجوع إلى الله.

أخي الكريم: إلى متى وأنت غارق في المعاصي، إلى متى وأنت معرض عن طريق النجاة:

قَدَّمْ لِنَفْسِكَ تَوْبَةً مَرَجُوءَةً قَبْلَ الْمَمَاتِ وَقَبْلَ حَبْسِ الْأَلْسُنِ
بَادِرْ بِهَا عُلُقَ النَّفُوسِ فَإِنَّهَا ذُخْرٌ وَغُنْمٌ لِلْمُنِيبِ الْمُحْسِنِ⁽²⁾

فهل نبادر -إخوة الإيمان- بالرجوع إلى الله والتوبة النصوح، والإقلاع عن الذنوب ومراقبة علام الغيوب، هل نستغل فرصة الحياة بما يرضي الله تعالى والبعد عما يسخط الله.

تأمل: ماذا لو هجم على الإنسان الموت وهو سادر في غفلته، مقيم على خطيئته، منغمس في شهوته، كم من عصاة سوفوا بالتوبة فأخذهم الموت فجأة وهم لا يشعرون، فندموا حين لا ينفع الندم، وتدفقت الدموع وكثرت الحسرات!.

فَبَادِرْ أَخِي مَا دَامَ فِي الْعُمْرِ فُسْحَةٌ وَعَدْلُكَ مَقْبُولٌ وَصَرْفُكَ قَيِّمٌ

(1) تفسير السعدي (ص: 841).

(2) بهجة المجالس وأنس المجالس (ص 229).

وَجُدَّ وَسَارَعَ وَاعْتَنِمَ زَمَنَ الصَّبَا فِي زَمَنِ الْإِمْكَانِ تَسْعَى وَتَعْنَمُ
وَسِرَّ مُسْرِعًا فَالْمَوْتُ خَلْفَكَ مُسْرِعًا وَهَيْهَاتَ مَا مِنْهُ مَقَرٌّ وَمَهْزَمُ
فَهِنَّ الْمَنَائِيَا أَيَّ وَاذٍ نَزَلَتْهُ عَلَيْهَا الْقُدُومُ أَوْ عَلَيْكَ سَتَقْدَمُ⁽¹⁾

أخي المسلم: كم هي هذه الأيام أخبار موت الفجأة، خصوصاً في أوساط الشباب ومن هو في منتصف العمر، فالبدارَ البدار، والمسابقة المسابقة والحذر الحذر، قبل العض على أصابع الندم، وطلب المهلة وتمني الرجعة، لكن بعد فوات الأوان: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾⁽²⁾.

قال أبو بكر الواسطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «التَّائِي فِي كُلِّ شَيْءٍ حَسَنٌ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ خِصَالٍ: عِنْدَ وَقْتِ الصَّلَاةِ، وَعِنْدَ دَفْنِ الْمَيِّتِ، وَالتَّوْبَةُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ»⁽³⁾.

ثانياً: ومن المسارعة والاستعجال المحمود: أداء الصلاة في أول وقتها: **فعن** ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رجلاً سأل النبي ﷺ، أي الأعمال أفضل؟ قال: «الصلاة لوقتها، وبر الوالدين، ثم الجهاد في سبيل الله»⁽⁴⁾.

(1) طريق الهجرتين (1/ 109).

(2) [المؤمنون: 99، 100].

(3) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي (ص 109).

(4) صحيح البخاري (7534).

إخواني الكرام: نرى اليوم تقصيرا واضحا في هذه الشعيرة العظيمة، في أدائها أو التأخر عنها، فالصلاة التي هي أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين يُقصر فيها العبد المسلم، صلاة الفجر عند البعض لا تكون إلا بعد طلوع الشمس، يسهر في الليل على شاشات الجوال أو المسلسلات أو المباريات أو الألعاب ثم يضيع صلاة الفجر، والله **عَزَّجَلَّ** يقول: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (4) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ (1).

والويل كما قال بعض السلف: **وَادٍ فِي جَهَنَّمَ لَوْ أُرْسِلَتْ فِيهِ الْجِبَالُ لَذَابَتْ** من حره (2)، **والويل هو الهلاك والوعيد الشديد.**

فهل تقوى على العذاب يا من تسهر ثم تنام عن الصلاة وتؤخرها. ألا وإن من السهو عن الصلاة التهاون عن أدائها في وقتها، خصوصا صلاة الفجر والعصر.

فيا من تؤخر الصلاة عن وقتها تنبه من غفلتك، واستيقظ من رقدتك قبل أن تندم، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ (3)، **قال سعيد بن المسيب رَحِمَهُ اللهُ** في معنى الآية: كانوا يسمعون "حي على الصلاة حي، على الفلاح" فلا يجيبون (4).

(1) [الماعون: 4، 5].

(2) التخويف من النار لابن رجب (ص 114).

(3) [القلم: 42].

(4) تفسير البغوي (5/ 142).

أولادك أيضا أيها الأب وأيتها الأم أيقظوهم لصلاة الفجر في وقتها، ولا تقل نؤخرها إلى وقت دوام المدرسة، فهذا خطأ كبير، فاحذروا، فكما تخاف على ولدك من التعب الدنيوي كذلك عليك أن تخاف عليه من العذاب في الآخرة.

لو رأيت نارا تحرق البيت فهل ستقول: نؤخر إيقاظه حتى يقوم في وقت الدوام المدرسي؟ فهلا خفت عليه من نار جهنم.

ثالثا: من الاستعجال المحمود: المسارعة في كتابة الوصية، خصوصا لمن كان عنده حقوق للناس، أو كان عنده مال وخاف أن يختلف عليه أولاده من بعده، لا سيما من كان أولاده بعيدين عن الله، وربما حصل منهم ظلم للإناث في التركة، فعلى هذا الرجل أو المرأة المسارعة في كتابة الوصية. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَهُ مَالٌ يُوصِي فِيهِ، يَبِيتُ ثَلَاثًا إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ عِنْدَهُ مَكْتُوبَةٌ" (1).

رابعا: ومن الاستعجال المحمود: المسارعة في أداء الحقوق إلى أصحابها ورد المظالم وقضاء الدين، **فعن** أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَحَدٍ مِنْ عِزِّهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أَخَذَ مِنْهُ بِقَدَرٍ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتٍ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ» (2). **وعن** أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ

(1) مسند أحمد (6100).

(2) صحيح البخاري (2449).

الله ﷻ: "نَفْسُ الْمُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدَيْنِهِ حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ" (1).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُكَفِّرُ كُلَّ شَيْءٍ، إِلَّا الدَّيْنَ» (2).

فاحذر أخي المسلم من مظالم العباد، ومن الدين الذي لا تقدر على قضائه وتتساهل في ذلك، فالوعيد شديد.

أسأل الله الكريم أن يرزقنا وإياكم حسن طاعته، وأن يجنبنا أسباب غضبه وسخطه، أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(1) سنن الترمذي، (1078).

(2) صحيح مسلم (1886).

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، والصلاة والسلام على نبينا محمد الداعي إلى رضوانه وعلى آله وأصحابه وإخوانه، **أما بعد:**

أيها المؤمنون: ومن الأمور التي يكون الاستعجال فيها محمودا ويجب على الآباء والأمهات وأولياء الأمور التنبيه لهذا الأمر والتأمل فيه باهتمام وعناية: الاستعجال في تزويج البنت إذا أصبحت مهيئة للزواج.

أيها الناس: إن ميل الرجل إلى المرأة، وميل المرأة إلى الرجل فطرة جعلها الله في النفس البشرية، ولذا امتن الله على عباده بنعمة الزواج فقال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (1).

إن البنت جزء من تركيبة الأسرة، والمرأة بطبيعتها ضعيفة فتحتاج إلى رعاية أكثر، **فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:** قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي أُحَرِّجُ عَلَيْكُمْ حَقَّ الضَّعِيفِينَ الْيَتِيمِ وَالْمَرْأَةِ» (2).

واشباع الغريزة بالحلال أمر حث عليه الشارع ورغب فيه، كما أن هذه الغريزة والشهوة موجودة في الرجل فهي موجودة في المرأة.

(1) [الروم: 21].

(2) المستدرک علی الصحیحین للحاکم (211).

ألا وإن من الظلم الكبير المنتشر في حق البنات منعها من الزواج إذا تقدم لها الكفو الذي ترضاه وتوافق عليه. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَرَّوْجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ، وَفَسَادٌ عَرِيضٌ (1).

اليوم - أيها الناس - عَزَفَ كثير من الشباب عن الزواج بسبب التعقيدات الكبيرة، والتكاليف الكثيرة، والقيود العظيمة التي وضعها المجتمع أمام الزواج، حتى أصبح الزواج صعب المنال، وللأسف هذه تعتبر صورة من صور العضل والذي يدفع ثمن هذه التعقيدات هن البنات.

أصبح اليوم ما يسمى بالمهر والشرط ملايين الريالات تقليدا لبيت فلان، وتشبها ببيت فلان، حتى دخلت هذه العادة القبيحة القرى والأرياف التي كان الزواج فيها سهلا والتي لا تكاد ترى في كثير من القرى عانسا واحدة، واليوم غزت العنوسة والتأخر في الزواج حتى القرى والأرياف.

إن هناك بنات يتألمن في البيوت بصمت من ظلم آبائهن، والله إن هناك بنات يكثرن الدعاء على الآباء لأنهم منعوهن من الزواج، وكلما تقدم لها الخطاب رفضهم بحجج واهية.

أيها الأب، أيتها الأم: اتقوا الله في بناتكم ومن هن تحت ولايتكم، زوجوهن إذا رغبن في الزواج، وأتاكم من ترضون دينه وخلقه وأمانته، فهذا من أعظم

حقوق بناتكم عليكم، وإلا سوف تلقى الله وهي متعلقة في رقبتك، تشكوك إلى جبار السموات والأرض، تقول: يا رب منعني أبي من الزواج: ﴿وَقَفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ (1).

تذكر أيها الأب أن ابنتك أمانة عظيمة بين يديك، فما أنت صانع بهذه الأمانة.

اليوم وسائل الإغراء والفتن والإفساد تستوجب على الأب العاقل أن يراجع نفسه كثيرا، جوال بيدها تجوب به العالم، فراغ عاطفي في البيت تحتاج إليه ولا تجده، صديقات من حولها قد يكن بعيدات عن الله، الوضع خطير، الوضع خطير، الوضع خطير.

أيها الآباء: هذه صيحة نذير، احذروا من المبالغات في المهور، فقد أصبحت عقبة وحاجزا بين الشباب والفتيات وبين الزواج، ابنتك ليست سلعة تباع وتشتري، ابنتك أغلى من هذا كله، **فعن** عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "ثَلَاثٌ يَا عَلِيُّ لَا تُؤَخِّرُهُنَّ: الصَّلَاةُ إِذَا آتَتْ، وَالْجَنَازَةُ إِذَا حَضَرَتْ، وَالْأَيْمُ إِذَا وَجَدَتْ كُفُّوا" (2).

إن تأخير زواج البنت مع وجود الكفو الذي يتقدم لها مصيبة عظيمة، وجرم كبير، وذنوب عظيم، وخطأ جسيم.

(1) [الصفات: 24].

(2) المستدرک علی الصحیحین للحاکم (2686).

ألا وإن المغالات في المهور حتى يترك الزواج من كان راغبا فيه مصيبة عظيمة، وباب من أبواب الفساد والإجرام، ولو استمر الوضع على ما هو عليه ستحصل المصائب العظيمة التي سيبكي عندها بعض الآباء الدماء بدلا عن الدموع.

وصية أخيرة: اعلّموا أيها الآباء وهي رسالة إلى المجتمع كله، اعلّموا أن المغالات في الشرط والمهور سبب رئيس لقلّة الزواج والإقدام عليه، وهو سبب لانتشار الفساد والتبرج والسفور والفتن والعري والشهوات والرذائل والفساد بأنواعه، إن غلاء المهور ومنع البنت من الزواج هو غش من الولي للبنت، وعدم إدراك لقيمة الزواج وأهدافه.

أيها الأب ابتك أمانة في عنقك فلا تحرمها من لذة الحلال وسعادة العيش في بيت الزوجية. و"ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة"⁽¹⁾.

اللهم ارزق شباب المسلمين وفتياتهم العفة والعفاف واصرف عنهم الشر والفساد وحصنهم بالحلال الطيب يا رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

(1) صحيح مسلم (227).

الأخلاق

الخطبة الأولى

الحمد لله القائل: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾⁽¹⁾، **وأشهد** أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾⁽²⁾، **وأشهد** أن نبينا محمدا عبده ورسوله الذي قال الله فيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾⁽³⁾، وأصحابه أجمعين، **أما بعد:**

فاتقوا الله - عباد الله - فهي وصية الله لعباده أجمعين ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾⁽⁴⁾.

أيها المؤمنون: إن الأخلاق الحسنة هي أساس بناء الحضارات، كما أنها عنوان السعادة والفلاح، وهي دليل البقاء والقوة، وما استُجلب الخير بمثل جميل الأخلاق ومحاسن الصفات، حتى وإن تغايرت الأماكن والأزمان والدول والحضارات تظل القيم الأخلاقية نقطة الارتكاز في مسيرة الأمم والشعوب،

(1) [الزمر: 33].

(2) [التوبة: 119].

(3) [القلم: 4].

(4) [النساء: 131].

فبالتمسك بها يكون التقدم والصمود، وبالتنازل عنها يكون الانهيار والسقوط.

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبَت أخلاقهم ذهبوا⁽¹⁾

أيها الناس: وليست الأخلاق الحسنة هي تلك الابتسامات التي تكون مع الآخرين، وليست هي بشاشة الوجه فقط كما يظن بعض الناس، فهذا جزء قليل من الأخلاق.

إن الأخلاق الحميدة هي تلك المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني كله، والتي يحددها الوحي الإلهي، لتنظيم حياة الناس على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على الوجه الأكمل والأتم.

وللأخلاق الحميدة طابعان أساسيان:

الأول: الطابع الإلهي، وهو تلك التوجيهات والإرشادات التي جاء بها الوحي الرباني.

الثاني: الطابع الإنساني، وهو تلك الأخلاق العامة المتفق عليها بين جميع الأمم والشعوب على اختلاف مللها وأديانها.

ومن تأمل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية يجد أنها كثيرا ما اهتمت بهذا الجانب وجعلته من أفضل العبادات وأحسن الطاعات وأعلى القربات، حتى إنه بالاستقامة عليه والالتزام به يسبق بذلك كثيرا ممن أجهد نفسه في طاعات بدنية

(1) منسوب لأحمد شوقي ولا يوجد في ديوانه الذي اطلعت عليه.

كنوافل الصلاة والصيام وغيرها.

قال الله عز وجل مادحا رسوله عليه الصلاة والسلام: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (1). **وجاء في حديث عن أبي ذر رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له:** "اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن" (2). **وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال:** قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا» (3).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإن الله ليبغض الفاحش البذيء» (4). **وعن عائشة رضي الله عنها، قالت:** سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إن المؤمن ليُدرَك بحسن خلقه درجة الصائم القائم» (5).

ولهذا كانت الأخلاق في حياة المسلمين الأوائل سببا رئيسا لعزتهم وقوتهم ومنعتهم وسعادتهم، فعاشوا فيما بينهم ومع غيرهم من الأمم حياة يسودها كمال الأخلاق، وجميل الاحترام، وحسن التعامل، حتى أسسوا حضارة أبهرت العالم، وعندما تخلى المسلمون عن هذه الأخلاق وابتعدوا عن هذه الصفات

(1) [القلم:4].

(2) سنن الترمذي: (1987).

(3) سنن أبي داود: (4682).

(4) سنن الترمذي: (2002).

(5) سنن أبي داود: (4798).

انهارت حضارتهم، وتشتت شملهم، وتحكم بهم عدوهم، واستولى على أسباب عزتهم وقوتهم.

يقول ابن خلدون رَحِمَهُ اللَّهُ: "إذا تأذن الله بانقراض الملك من أمة حملهم على ارتكاب المذمومات وانتحال الرذائل وسلوك طرقها، فتفقد الفضائل السياسية منهم جملة، ولا تزال في انتقاص إلى أن يخرج الملك من أيديهم ويتبدل به سواهم، ليكون نعيًا عليهم في سلب ما كان الله قد أتاهاهم من الملك وجعل في أيديهم من الخير: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا﴾⁽¹⁾، واستقرئ ذلك وتتبعه في الأمم السابقة تجد كثيرا مما قلناه ورسمناه"⁽²⁾.

وقد قال أحد المفكرين من غير المسلمين: العرب هووا وسقطوا عندما نسوا فضائلهم التي جاءوا بها، أصبحوا على قلبٍ متقلبٍ يميل إلى الخفة والمرح والاسترسال بالشهوات⁽³⁾.

إن أزمنا اليوم في العالم العربي والإسلامي ليست أزمة اقتصادية، فهو من أغنى المناطق وأخصبها، وليست أزمة علمية ففيه من العلماء والمفكرين الكثير في جميع التخصصات.

(1) [الإسراء: 16].

(2) تاريخ ابن خلدون (1/ 180).

(3) عوامل النصر والهزيمة عبر تاريخنا الإسلامي (ص 122).

إن أزمنا اليوم في العالم العربي والإسلامي أزمة أخلاقية قِيَمِيَّة في كافة المستويات وعلى كافة الطبقات وعلى كافة الدرجات.

إن الأخلاق - كما تقدم - كلمة جامعة لجميع تصرفات الإنسان: أخلاق مع الله، وأخلاق مع خلق الله، فالأخلاق تبدأ من كرسي السلطان، وتنتهي بكرسي الحمام.

لقد كان للعرب قبل الإسلام أخلاق توارثوها كابرا عن كابر، مع أنه لم يكن لهم دين ينظم شؤون حياتهم كالصدق والأمانة والوفاء بالعهد والكرم وعدم إخلاف الوعد وصلة الرحم، حتى قال أبو سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قبل أن يسلم عندما سأله هرقل: فوالله لولا الحياء من أن يَأْثُرُوا عَلَيَّ كذبا لكذبت عنه ⁽¹⁾.

قال هذا وهو كافر قبل أن يسلم وكان عدوا للإسلام والمسلمين، وهو في حرب مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نقارن كلام أبي سفيان هذا وقد كان ذلك الوقت كافرا وعدوا لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نقارنه بحال اختلافات المسلمين اليوم فيما بينهم على كافة المستويات والطبقات ونلاحظ فقط رسائل التواصل، وما فيها من الكذب والهمز واللمز، وبعض هذا يصدر من أحزاب أو جماعات تسمي نفسها إسلامية.

إن كثيرا من المسلمين للأسف لم يعد ملتزما هذه الأيام بقيم هؤلاء العرب وأخلاقهم، ولا بمحاسن الإسلام وأخلاقه.

(1) البخاري (7).

إن هناك أخلاقاً سيئة وتصرفاتٍ قبيحة أصبحت وكأنها أمر اعتيادي في أوساط كثير من المسلمين، فالكذب والغش والخداع والخيانة والرشوة والقتل والبغض بسبب اختلاف التوجهات والتحيزات كل هذه أخلاق مدمرة، وتصرفات مفرعة انتشرت انتشاراً كبيراً في كافة طبقات الناس، حتى في أوساط من كانت عليهم الآمال معقودة من الجماعات الإسلامية بشتى أنواعها.

إن الناس إلى زمن ليس بالبعيد كانت فيهم من الأخلاق الجميلة، والتصرفات الحميدة ما ليس في الأجيال المتأخرة مع أن الجهل التعليمي سابقاً كان منتشرًا.

إن الأزمة الأخلاقية اليوم قد دخلت كثيراً من البيوت والأسر والكبار والصغار، ولا يمكن لأمة انتشرت فيها هذه الأخلاق المدمرة أن ترتقي معرفياً، أو أن يكون لها مكانة عالية، ولا يكون الإنسان إنساناً إلا بالأخلاق، وإلا صارت تصرفاته حيوانية.

وَإِذَا أَصِيبَ الْقَوْمُ فِي أَخْلَاقِهِمْ فَأَقِمْ عَلَيْهِمْ مَأْتَمًا وَعَوِيلًا⁽¹⁾

اللهم وفقنا لأحسن الأخلاق وأجملها، واصرف عنا سيئها وقبيحها، أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(1) الشوقيات (1/ 183)

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي أنزل القرآن هداية للناس ونورا، والصلاة والسلام على من أرسله رحمة للعالمين، فأخرج به من الظلمات إلى النور، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، **أما بعد:**

أيها المؤمنون: لا يشك عاقل غيور وعامل في الحقل التربوي أو غيره مهتم أن جدار الأخلاق بدأ ينشق وينهار على رؤوس المفكرين والدعاة والمصلحين والآباء والأمهات ممن لهم غيرة على المجتمع، وأنه قد بدأ يتسارع متهاويا في الآونة الأخيرة، وذلك لأن ثمار المجهودات الإفسادية والتدميرية والتخريبية خصوصا الأخلاقية في عمل دؤوب، وتفكير متتابع، وانتشار كبير، حتى عمت هذه الأزمة كافة المستويات، مستوى الأسرة والشارع، وعلى مستوى العمل، بل حتى على مستوى النخب الثقافية والعلمية، والتي كان يُؤمل أن تكون هي الساعية للإصلاح لمثل هذه الأمراض.

إن للفساد قوةً جذبٍ خطيرة وقوية، اكتسب هذه القوة والجاذبية من كثرة العوامل الإفسادية والانحرافية الطاغية السائرة في خطٍ متوازٍ مع التنشئة الاجتماعية في الأسرة والمدرسة والإعلام والمجتمع، بل لقد غدا الفساد والإفساد الأخلاقي صناعةً من الصناعات لها مهندسوها والتقنيون فيها، وشركاؤها ومجالاتها وتقنياتها ومنظروها وفلاسفتها، يُبدعون فيها، ويطورون

قدراتهم في كل وقت وحين ليكونوا دائما على أهبة الاستعداد، والمسلمون على كافة مستوياتهم للأسف مستقبلون لهذا.

إن مظاهر الانهيار الأخلاقي نعيشها اليوم ونعاني منها كثيرا، وهي كثيرة ومتنوعة ومن أهم مظاهرها:

مظاهر اقتصادية: كالغش والرباء والاحتكار والاستغلال والظلم للفقير المحتاج.

ومظاهر اجتماعية: كالتفكك الأسري والانحراف في أوساط الشباب والفتيات.

ومظاهر فكرية: كالتجهيل والإلحاد، ونشر الأفكار المنحرفة المحاربة للإسلام ولأخلاق الإسلام، وللأسف أن تنتشر هذا المظاهر في النخب العلمية والأكاديمية كثيرا.

ومظاهر إعلامية: وهي أشدها خطرا، لأنها مُروجة للمظاهر السابقة، ومن المظاهر الإعلامية الانحراف الأخلاقي والمشاهد الخادشة للحياء والتضليل الإعلامي والترويج للفساد الأخلاقي بجميع صوره.

ومظاهر تربوية: ويتمثل بعدم إعطاء المربي حقوقه، وضعف المخرجات التعليمية حتى يتخرج لنا جيل ضعيف علميا.

وتسمعون من قصص في بعض العيادات الطبية والمستشفيات الأهلية

والأماكن التعليمية وغيرها ما هو من نتائج هذا الانهيار الأخلاقي المدمر.
وإن الأمة بأجمعها، والأسرة على وجه الخصوص، والمحاضن التعليمية
إذا لم تتدارك هذه الأمور بمعالجات ستشاهدون بعد سنوات انهيارا مروعا
يصعب علاجه.

وما ترونه أو تسمعون من كثرة القتل أو الفساد الأخلاقي، أو الحشيش
والحبوب، أو ابتزاز النساء للدعارة عن طريق التلفونات وغيرها كلها مقدمات
لهذا الانهيار الكبير.

والحقيقة أننا نرى صموتا عجيبا ومريبا من كثير من النخب العلمية والفكرية
والدعوية في عدم الحديث عن مثل هذه المواضيع، وعقد الندوات
والمحاضرات وورش العمل لعلاجها، مع أن أهل الفساد في نشاط مستمر،
وعمل دؤوب، وتجديد مستمر لطرق الفساد والإفساد.

اللهم عافنا من محن الزمان وعوارض الفتن، فإننا ضعفاء، وجنبنا غواية
الشیطان وتَخَطُّفُ المفسدين، حتى نلقاك على الإسلام والإيمان يا رحمن يا
واسع يا عليم يا منان، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم
الراحمين.



الابتسامة والمرح

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي بَقَدَرِهِ الْحُزْنَ والفرح والمساءة والسرور، وبِيَدِهِ الْقَبْضَ والبسط، والرفع والخفض، والغنى والفقر، والخلق والأمر، وإليه ترجع الأمور، وبِقَضَائِهِ الْمَعَاوَةَ والابتلاء، والسراء والضراء، والسُّقْمَ والإبراء، والخفاء والظهور، **وأشهد** أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يرزق من يشاء بفضله، ويحرم من يشاء بعدله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ذي الأخلاق الحسنة والصفات المستحسنة، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه أجمعين، **أما بعد:**

فاتقوا الله عباد الله حق التقوى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (1).

أيها المؤمنون: لقد تحلى النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** بالأخلاق الحميدة، والشمائل الجميلة، والهدي الحسن، والسمت المستحسن، وقد مدح الله خُلُقَ نبيه **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** فقال **جَلَّ وَعَلَا:** ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (2)، وقد كان

(1) [الأحزاب: 71].

(2) [القلم: 4].

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ متصفا بالأخلاق الحميدة، والأفعال المرضية، والفصاحة التامة، والعقل الكامل، والبراءة من كل عيب، والاتصاف بكل مكرمة مع عبادة وزهد وخشوع وخضوع وتعظيم لله وذل بين يديه:

إِنْ فَاتَكُمْ أَنْ تَرَوْهُ بِالْعَيُونِ فَمَا يَفُوتُكُمْ وَصْفُهُ هَذِي شَمَائِلُهُ
مُكَمَّلُ الذَّاتِ فِي خَلْقٍ وَفِي خُلُقٍ وَفِي صِفَاتٍ فَلَا تَحْصِي فُضَائِلُهُ (1)

ألا وإن من الأخلاق الحميدة والصفات الجميلة الابتسامة اللطيفة والضحكة المريحة، هي أخلاق ممدوحة، وصفات مطلوبة، ولا يخفى على أحد ما للابتسامة من تأثير بالغ ومفعول ساحر على الآخرين، فقد فطر الله الخلق على محبة صاحب الوجه المشرق الذي يلقي من حوله بابتسامة تذهب عن النفوس هموم الحياة ومتاعبها، وتشيع أجواء من الطمأنينة، وتلك من الصفات المتفق على استحسانها وامتداح صاحبها، وقد كان نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ دائم التبسم، حسن الثغر طيب النفس.

ولقد كان صلى الله عليه وسلم تعلقه بالبسملة المشرقة والضحكة الطيبة، بل كان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إذا قابل الناس أسرَّ قلوبهم فمالت إليه نفوسهم؛ لأن الابتسامة لم تكن تفارق محياه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حتى صارت عنوانا وعلامة له. فعن عبد الله بن الحارث بن جَزءٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم» (2).

(1) مجموعة رسائل التوجيهات الإسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع (1/ 310).

(2) سنن الترمذي: (3641)

وقال جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت، ولا رأيي إلا ضحك»⁽¹⁾. **وعن** سماك بن حرب قال: «قلت لجابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أكنت تجالس رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، كثيرا كان لا يقوم من مصلاه الذي يصلي فيه الصبح حتى تطلع الشمس، فإذا طلعت قام، وكانوا يتحدثون فيأخذون في أمر الجاهلية فيضحكون، ويتبسم ﷺ»⁽²⁾. **وعن** عمر بن ذر، حدثنا مجاهد، أن أبا هريرة، كان يقول: الله الذي لا إله إلا هو، إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد الحَجَرَ على بطني من الجوع، ولقد قعدت يوما على طريقهم الذي يخرجون منه، فمر أبو بكر، فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا ليشبعني، فمر ولم يفعل، ثم مر بي عمر، فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا ليشبعني، فمر فلم يفعل، ثم مر بي أبو القاسم ﷺ، فتبسم حين رأي، وعرف ما في نفسي وما في وجهي، ثم قال: «يا أبا هريرة» قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «إِلْحَقْ» ومضى فتبعته...⁽³⁾.

ومن الأحاديث في ضحكه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: «خَرَجْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ وَأَنَا جَارِيَةٌ لَمْ أَحْمِلِ اللَّحْمَ وَلَمْ أَبْدُنْ، فَقَالَ لِلنَّاسِ: "تَقَدَّمُوا" فَتَقَدَّمُوا، ثُمَّ قَالَ لِي: "تَعَالَيْ حَتَّى أُسَابِقَكَ" فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ، فَسَكَتَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا حَمَلْتُ اللَّحْمَ

(1) صحيح البخاري (3822).

(2) صحيح مسلم (670).

(3) صحيح البخاري (6452).

وَبَدُنْتُ وَنَسِيتُ، خَرَجْتُ مَعَهُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَقَالَ لِلنَّاسِ: "تَقَدَّمُوا" فَتَقَدَّمُوا، ثُمَّ قَالَ: "تَعَالَى حَتَّى أُسَابِقَكَ" فَسَابَقْتُهُ، فَسَبَقَنِي، فَجَعَلَ يَضْحَكُ، وَهُوَ يَقُولُ: "هَذِهِ بَيْتُكَ" (1).

هذا الموقف من المواقف في الحياة الزوجية وما يسمى عند البعض بالرومنسية التي يبحث عنها البعض في الأفلام والمسلسلات، ولو تأمل الإنسان سيرته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لوجد فيها من المواقف المشابهة لهذا الموقف الشيء الكثير، ففي صحيح البخاري عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: رأيت النبي ﷺ يحوي لصفية وراءه بعباءة، ثم يجلس عند بعيه فيضع ركبته، وتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب (2).

تضع رجلها على فخذه الشريف لتصعد وتركب الهودج، واليوم لو فتح الواحد لزوجته السيارة لसार بهذا الخبر الركبان وانتشر بين كثير من بني الإنسان، ولم يعلموا أن هذا هو هدي سيد ولد عدنان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وفي المقابل لو فعل إنسان اليوم ما فعله النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فإن كان ممن لا تظهر عليه علامة التدين لقال بعض الناس وبعض المتدينين الذين قد يجهلون سيرته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لقالوا: هذا مفتون بالأفلام، انظروا كيف ينظر للأفلام ويطبقها مع زوجته، يتسابق معها وما يستحي، ولو فعل هذا الأمر أحد المتدينين لقال كثير من الناس: هذا المطوع مجنون، أو مطوع غير محترم.

(1) مسند أحمد (26277).

(2) البخاري (4211).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكْتُ، قَالَ: «مَا لَكَ؟» قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي وَأَنَا صَائِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ؟» قَالَ: لَا، فَقَالَ: «فَهَلْ تَجِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا؟» قَالَ: لَا، قَالَ: فَمَكَثَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ أُتِيَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِعَرَقٍ فِيهَا تَمْرٌ وَالْعَرَقُ الْمِكْتَلُ قَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ؟» فَقَالَ: أَنَا، قَالَ: «خُذْهَا فَتَصَدَّقْ بِهِ» فَقَالَ الرَّجُلُ: أَعَلَى أَفْقَرِ مِنِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَوَاللَّهِ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا - يُرِيدُ الْحَرَّتَيْنِ - أَهْلٌ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَضَحِكَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ ثُمَّ قَالَ: «أَطْعِمْهُ أَهْلَكَ» (1).

أيها المؤمنون: والأحاديث والآثار في هذا الأمر كثيرة يكفي منها ما أشرنا إليها.

إن النبي عليه الصلاة والسلام كان تبسمه وضحكه مشتملا على كل المعاني الجميلة والمقاصد النبيلة، فصار من شمائله الحسنة، وصفاته الطيبة تربيةً وتوجيهاً أسوة، ومداعبة ومواساة وتأليفا.

لقد رتب الشرع الحنيف على هذا الخلق النبيل الأجر الكبير، فقال **عليه الصلاة والسلام**: «تبسمك في وجه أخيك لك صدقة» (2). أي صدقة عظيمة.

(1) صحيح البخاري: (1936).

(2) سنن الترمذي: (1956).

وعن أبي ذر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال لي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجه طَلِقٍ»⁽¹⁾.

فهذه هي أخلاق القدوة والأسوة، أخلاق خير البرايا، وسيد الأتقياء، وخاتم الأنبياء وإمام الأولياء:

واستبشرتُ بقدمك الأعوامُ	ضحكتُ لك الأيامُ يا عَلمَ الهدى
تُملِي عليهِ وَصَحْبُكَ الأَقلامُ	وتوقف التاريخ عندك مُذعنًا
في راحتِكَ السَّلمُ والإسلامُ	اضحكُ لأنك جئت بشرى للورى
مِيلادُ جيلٍ ما عليه ظلام ⁽²⁾	اضحكُ فَبَعَثْتُكَ الصُّعُودَ وفَجَّرُها

رزقنا الله وإياكم الأخلاق الحسنة، والصفات الجميلة، والافتداء بالنبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم فاستغروه، إنه هو الغفور الرحيم.

(1) صحيح مسلم (2626).

(2) منقول.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين الذي يجزي على حسن الأخلاق حسنات كثيرة وأجورا عظيمة ودرجات رفيعة، والصلاة والسلام على أفضل مَنْ رَزَقَ بالأخلاق الحميدة والصفات الكريمة، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه أجمعين، **أما بعد:**

أيها المؤمنون: إن من أخلاقه **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** الجميلة أنه كان يمزح ويمازح أصحابه **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** أجمعين، ويضاحكهم، ولا يقول إلا حقا، وهذا من كمال أخلاقه ومكارم صفاته، وهكذا كان أصحابه يمزحون ويضحكون مع ما كانوا عليه من الفقر والبلاء وما كانوا عليه من الإيمان والتقوى والعلم.

سُئِلَ ابن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**: هل كان أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يضحكون؟ قال: «نعم، والإيمان في قلوبهم أعظم من الجبال»⁽¹⁾.

وعن الأوزاعي، قال: سمعت بلال بن سعد، قال: «أدركتهم يشتون بين الأغراض، ويضحك بعضهم إلى بعض، فإذا كان الليل، كانوا رُهبانا»⁽²⁾ أي يتسابقون فيما بينهم، لكنهم أهل عبادة وتنسك.

ومن مزاحه **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** ما جاء في الحديث عن عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**،

(1) جامع معمر بن راشد (20671)،

(2) السنن الكبرى للنسائي (11855).

قالت: "دخل عليَّ رسول الله ﷺ وعندي عجوز من بني عامر، فقال: من هذه العجوز؟"، فقلت: من خالاتي، فقلت: يا رسول الله، ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال: "يا أم فلان، إن الجنة لا تدخلها عجوز"، فولت تبكي، فقال: "أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً، فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا، عُرُبًا أَتْرَابًا﴾" (1).

وقد كان يمزح حتى مع الأطفال، فعن عبد الله بن الحارث قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصُفُّ عَبْدَ اللَّهِ وَعُبَيْدَ اللَّهِ وَكَثِيرًا بَنِي الْعَبَّاسِ، ثُمَّ يَقُولُ: "مَنْ سَبَقَ إِلَيَّ، فَلَهُ كَذَا وَكَذَا" قَالَ: فَيَسْتَبِقُونَ إِلَيْهِ، فَيَقْعُونَ عَلَى ظَهْرِهِ وَصَدْرِهِ، فَيُقْبَلُهُمْ وَيَلْتَزِمُهُمْ" (2).

وشرط المزاح أن لا يكون فيه كذب، فعن بهز بن حكيم قال: حدثني أبي، عن جدي، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ بِالْحَدِيثِ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ فَيَكْذِبُ، وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهُ» (3).

ومن شروطه أن لا يكون فيه ترويع وتخويف لأحد من الناس، فعن سماك بن حرب، عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: كنا مع رسول الله ﷺ في مَسِيرٍ، فَخَفَقَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَتِهِ أَيَّ نَامٍ، فَأَخَذَ رَجُلٌ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، فَانْتَبَهَ الرَّجُلُ

(1) الشمائل المحمدية للترمذي (141).

(2) مسند الإمام أحمد (1836).

(3) سنن الترمذي: (2315).

ففزع، فقال رسول الله ﷺ: «لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا» (1).

فما بدأ ينتشر الآن من المقاطع التي تسمى بالمقالب والتي فيها ترويع وتخويف هذا أمر محرم ولا يجوز.

وأخيرا: إن الدين الإسلامي هو دين شامل لما ينفع الروح والجسد، دين ليس فيه رهبانية ولا عبوس ولا قنوط، هو دين السعادة والجد والضحك والمزح، دين يلبي فطرة الإنسان الروحية، وحاجته الحسية والنفسية والجسدية.

اللهم ارزقنا حفظ جوارحنا عن المعاصي ما ظهر منها وما بطن، وثق قلوبنا من الحقد والحسد والإحن، اللهم إنا نعوذ بك من شماتة الأعداء، وعضال الدواء، وخيبة الرجاء، وزوال النعمة، اللهم توفنا مسلمين وألحقنا بالصلحين غير خزايا ولا مفتونين، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين.

(1) المعجم الكبير للطبراني من (ج 21) (135).



الخطبة الأولى

الحمد لله القائل: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾⁽¹⁾، **وأشهد** أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾⁽²⁾، **وأشهد** أن محمدا عبده ورسوله القائل: "صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وصدقة السر تطفئ غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر"⁽³⁾. **صلى الله عليه وسلم وأصحابه أجمعين، أما بعد:**

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾⁽⁴⁾.

أيها المؤمنون: إن هناك عبادة عظيمة، وتحفة ثمينة، وخصلة جميلة، وأخلاقا رفيعة، وفيها أجور كبيرة، وآثار عميمة، وفضائل عديدة، ومنافع عظيمة، وعواقب في الخير جسيمة، حث على هذه الخصلة الإسلام، واتصف

(1) [البقرة: 195].

(2) [الحج: 77].

(3) صحيح الجامع (3796).

(4) [الأحزاب: 71].

بها الأخيار الكرام، وورد في فضلها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، هذه الخصلة والصفة هي: صناعة المعروف والإحسان إلى الآخرين وإدخال السعادة عليهم.

أيها المؤمنون: إن صنائع المعروف أبوابها واسعة، وآثارها جامعة، وأنواعها شاسعة، يقدر على الدخول فيها والولوج إليها جميع الناس، ما بين مُقِلٍّ ومُكثِرٍ لمن وفقه الله للاتصاف بهذه الصفة الحميدة.

وما شرح الله صدر عبد من عباده لهذه الخيرات كنفع الناس وقضاء حوائجهم إلا جعله الله من أحب الخلق إليه، ومن أكرمهم وأقربهم لديه، ولهذا كان من أعظم النعم بعد حصول الهداية أن يوفق العبد لهذه العبادة الجليلة. **فمن** ابن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** قال: قال رسول الله **ﷺ**: «إِنَّ لِلَّهِ أَقْوَامًا اخْتَصَّاهُمْ بِالنَّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ، يُقَرَّرُهُمْ فِيهَا مَا بَدَّلُوها، فَإِذَا مَنَعُوها نَزَعَهَا مِنْهُمْ فَحَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ» (1).

وعن ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** قال: قال رسول الله **ﷺ**: «مَا مِنْ عَبْدٍ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ نِعْمَةً فَأَسْبَغَهَا عَلَيْهِ، ثُمَّ جَعَلَ شَيْئًا مِنْ حَوَائِجِ النَّاسِ إِلَيْهِ فَتَبَرَّمَ، فَقَدْ عَرَضَ تِلْكَ النِّعْمَةَ لِلزَّوَالِ» (2).

(1) المعجم الأوسط (5162).

(2) المعجم الأوسط (7529).

صَنَعَ الْجَمِيلِ وَفَعَلَ الْخَيْرِ إِنْ أُثِرَا أَبْقَى وَأَحْمَدَ أَعْمَالِ الْفَتَى أَثَرَا
بَلْ لَسْتُ أَفْهَمُ مَعْنَى لِلْحَيَاةِ سَوَى عَنْ الضَّعِيفِ وَإِنْقَاذِ الَّذِي عَثَرَا
وَالنَّاسُ مَا لَمْ يُوَاسُوا بَعْضَهُمْ فَهَمُّ كَالسَّائِمَاتِ وَإِنْ سَمَّيْتَهُمْ بِبَشَرَا
إِنْ كَانَ قَلْبُكَ لَمْ تَعْطِفْهُ عَاطِفَةٌ عَلَى الْمَسَاكِينِ فَاسْتَبْدَلْ بِهِ حَجَرَا
هِيَ الْإِغَاثَةُ عِنَاؤُ الْحَيَاةِ فَإِنْ فَقَدْتَهَا كُنْتَ مَيِّتًا بَعْدَ مَا قَبِرَا⁽¹⁾

أيها المؤمنون: إن صنائع المعروف كثيرة أبوابها، متنوعة طرقها، متعددة أنواعها، كإطعام جائع، وكسوة عارٍ، وإغاثة ملهوف، ومساعدة مسكين ومنكوب، وإنظار معسر، وإعانة عاجز، وقد يكون بغير ذلك كشفاة حسنة، أو أن تطرد عن مهموم همًّا، أو تزيل عنه غما، أو أن تقضي عنه ديناً، أو أن تكفل يتيماً أو حلقة يدرس فيها القرآن لأبناء المسلمين، أو أن تواسي أرملة، وقد يكون بإصلاح بين متخاصمين، أو أن تحقن دمًا، ومن المعروف أيضاً: الدعوة إلى الله تعالى، وتعليم أبناء الناس، وتذكيرهم ونصحهم، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، ومن المعروف: الوقوف مع من كان عزيزاً ثم ذلَّ، خصوصاً عند نزول الأزمات وحلول النكبات.

فغن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلَالِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَبَصْرُكَ لِلرَّجُلِ الرَّدِيءِ الْبَصَرِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَتُكَ الْحَجَرَ

وَالشُّوْكَةَ وَالْعَظْمَ عَنِ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِفْرَاغَكَ مِنْ دَلُوكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ» (1).

وَكَفُّكَ الْأَذَى عَنِ الْآخَرِينَ وَابْتِعَادَكَ عَنِ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي خُصُوصًا الْمُتَعَدِّيَةِ ضَرَرُهَا هُوَ مِنْ أَفْضَلِ صَنَائِعِ الْمَعْرُوفِ أَيْضًا. فَعَنِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ). فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: (يَعْمَلُ بِيَدِهِ، فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ). قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: (يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ). قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: (فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ، وَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ) (2).

لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ أَصْغَرَهُ أَحْسِنُ فَعَايِبَةَ الْإِحْسَانِ حُسْنَاهُ (3)

أَيُّهَا النَّاسُ: أَلَا وَإِنْ لَصَنَائِعِ الْمَعْرُوفِ آثَارًا حَمِيدَةً، وَأَجُورًا كَبِيرَةً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَمِنْ هَذِهِ الثَّمَرَاتِ وَالْآثَارِ:

أولاً: أَنْ فِي صِنَاعَةِ الْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ تَفْرِيجَ الْكَرْبَاتِ وَتَيْسِيرَ كُلِّ عَسِيرٍ، فَتَذَكُّرُ كَرِبَاتِ الْآخِرَةِ وَأَهْوَالِهَا وَشِدَائِدِهَا وَأَثْقَالِهَا، وَتَأْمَلُ هَذَا الْحَدِيثَ، عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنِ مُسْلِمٍ كَرْبَةً، فَجَّرَ اللَّهُ عَنْهُ كَرْبَةً مِنْ كَرِبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا

(1) سنن الترمذي (1956).

(2) صحيح البخاري (1445).

(3) مجموعة القوائد الزهديات (2/ 292).

ستره الله يوم القيامة»⁽¹⁾.

فتأمل قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (مَنْ فرج عن مسلم كربة)، أي: ولو كانت كربة صغيرة فَلَكَ في هذا التفريج هذا الأجر العظيم والثواب الجزيل.

عن أبي اليسر صاحب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَظْلَهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، فَلْيَنْظُرْ مَعْسِراً، أَوْ لِيَضَعْ عَنْهُ»⁽²⁾.

اقْضِ الْحَوَائِجَ مَا اسْتَطَعْتَ وَكُنْ لَهُمْ أَخِيكَ فَارِجٌ
فَلْخَيْرُ أَيَّامِ الْفَتَى يَوْمٌ قَضَى فِيهِ الْحَوَائِجُ⁽³⁾

ثانياً: أن صاحب المعروف والمحسن إلى الناس من أحب الناس إلى الله تعالى، وأن فعله من أحب الأعمال إلى الله تعالى. **فعن** عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن رجلاً، جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: يا رسول الله، أي الناس أحب إلى الله، وأي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولئن أمشي مع أخ لي في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد شهراً في مسجد المدينة، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه؛ ملأ الله قلبه رجاءً يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يثبتها له

(1) صحيح البخاري (2442).

(2) سنن ابن ماجه (2419).

(3) المجلس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي (ص 591).

ثَبَّتَ اللَّهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامُ»⁽¹⁾.

تَلَقَّى الْكَرِيمَ فَتَسْتَدِلُّ بِبِشْرِهِ وَتَرَى الْعَبُوسَ عَلَى اللَّئِيمِ دَلِيلًا
أَقْضِ الْحَوَائِجَ مَا اسْتَطَعْتَ وَلَا تَقُلْ أَضْبَحْتُ عَنْهَا ذَاهِلًا مَشْغُولًا
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ صَائِرٍ خَبَرًا فَكُنْ خَبَرًا يَرُوقُ جَمِيلًا⁽²⁾

ثالثاً: أن صنائع المعروف تقي صاحبها مصارع السوء والآفات والهلكات، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة. **فعن** أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قال رسول الله ﷺ: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء، والصدقة خَفِيفًا تَطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَصَلَةُ الرَّحْمِ زِيَادَةٌ فِي الْعَمْرِ، وَكُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَأَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَةِ، وَأَهْلُ الْمُنْكَرِ فِي الدُّنْيَا أَهْلُ الْمُنْكَرِ فِي الْآخِرَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ»⁽³⁾.

أَسْأَلُ اللَّهَ الْكَرِيمَ أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِنْ أَهْلِ الْمَعْرُوفِ، وَأَنْ يَجْنِبَنَا وَإِيَّاكُمْ مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَهْوَاءِ وَالْأَعْمَالِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ فَاسْتَغْفِرُوهُ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

(1) المعجم الأوسط (6026).

(2) الدر الفريد وبيت القصيد (129 / 11).

(3) المعجم الأوسط (6086).

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي جعل الإحسان إلى العباد من أجل القربات وأفضل الحسنات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين،
أما بعد:

أيها المؤمنون: إن صنائع المعروف والإحسان إلى الآخرين من أعظم أبواب فعل الخيرات، فيها تُنَزَّلُ الرحمات، وتُغْفَرُ الزلات، وتُكْفَرُ السيئات، وتُقَالُ العثرات، وترفع الدرجات، فيها السعادة الدنيوية والرفعة الأخروية، مع الأمن من الأهوال العظيمة والمخاطر الجسيمة في الدنيا قبل الآخرة.

ولقد كان أصحاب المروءة والأخلاق يصنعون المعروف لأعدائهم فضلاً عن أصحابهم، حتى قال جعفر بن محمد: «إني لأسارع إلى قضاء حوائج أعدائي مخافة أن أردهم فيستغنوا عني»⁽¹⁾.

قال الإمام الغزالي رَحِمَهُ اللهُ: هذا في الأعداء فكيف في الأصدقاء، وكان في السلف من يتفقد عيال أخيه وأولاده بعد موته أربعين سنة، يقوم بحاجتهم ويتردد كل يوم إليهم، ويمونهم من ماله، فكانوا لا يفقدون من أبيهم إلا عَيْنَهُ أي شخصه، بل كانوا يرون منه ما لم يروا من أبيهم في حياته، وكان الواحد منهم

(1) آداب الصحبة (صد 101).

يتردد إلى باب دار أخيه ويسأل ويقول: هل لكم زيت؟ هل لكم ملح؟ هل لكم حاجة؟ وكان يقوم بها حيث لا يعرفه أخوه.

وهذا تظهر الشفقة والأخوة، فإذا لم تثمر الشفقة حتى يشفق على أخيه كما يشفق على نفسه فلا خير فيها⁽¹⁾.

واليوم ربما كان من يضررك فضلا من أن ينفع هو من يدعي صداقتك أو محبتك.

إن نفع الناس وقضاء حوائجهم ولو كان بأمر يسير وشيء قليل ولو بكلمة طيبة وابتسامة صادقة وشفاعة حسنة وصدقة قليلة لها آثارها الكبيرة، وما شرح الله صدر عبدٍ من عباده لهذه الخيرات إلا جعله من أحب الخلق إليه، والمعروف ذخيرة الأبد، والسعي في شئون الناس زكاة أهل المروءات، وإذا أراد الله بعبد خيرا استعمله على قضاء حوائج الناس.

وَالسَّعْدُ لَا شَكَّ تَارَاتُ وَتَارَاتُ	النَّاسِ بِالنَّاسِ مَا دَامَ الْحَيَاءُ بِهِمْ
تُقْضَى عَلَى يَدِهِ لِلنَّاسِ حَاجَاتُ	وَأَفْضَلُ النَّاسِ مَا بَيْنَ الْوَرَى رَجُلٌ
مَا دُمْتَ مُقْتَدِرًا فَالسَّعْدُ تَارَاتُ	لَا تَمْنَعَنَّ يَدَ الْمَعْرُوفِ عَنْ أَحَدٍ
إِلَيْكَ لَا لَكَ عِنْدَ النَّاسِ حَاجَاتُ	وَأَشْكُرُ فَضَائِلَ صُنْعِ اللَّهِ إِذْ جُعِلْتَ
وَعَاشَ قَوْمٌ وَهُمْ فِي النَّاسِ أَمْوَاتُ ⁽²⁾	قَدْ مَاتَ قَوْمٌ وَمَا مَاتَ مَكَارِمُهُمْ

(1) إحياء علوم الدين (1/ 175).

(2) موارد الظمآن لدروس الزمان 3 / 516

اللهم نور قلوبنا بنور الإيمان، ووفقنا لمحبتك ومحبة من يحبك، وألهمنا
ذكرك وشكرك، واجعلنا من عبادك الصالحين، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع
المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين.

وسائل إدخال السرور على الآخرين

الخطبة الأولى

الحمد لله القائل: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْشَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ، فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً، وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾⁽¹⁾، **وأشهد** أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾⁽²⁾، **وأشهد** أن محمدا عبده ورسوله القائل: «خَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ»⁽³⁾، **وأشهد** أن أصحابه أجمعين، **أما بعد:**

فاتقوا الله عباد الله بفعل الطاعات وترك المحرمات، فهي السعادة في الدنيا وبعد الممات ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾⁽⁴⁾.

أيها المؤمنون: إن الإسلام هو دين الجمال والكمال، جاء ليعزز في الأفراد والشعوب ما يسمو بهم ويؤلف بينهم.

(1) [النحل: 97].

(2) [آل عمران: 115].

(3) صحيح الجامع (5600).

(4) [الأحزاب: 71].

إن ديننا الإسلامي الحنيف دين قامت دعائمه الأولى على أساس أخلاقي قويم، بل إن الهدف الأول والأسمى من دعوة محمد عليه الصلاة والسلام هو تتميم ذلك البنيان، وترسيخ ذلك الأساس، والسمو إلى ذروة تمامه وكماله. فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»⁽¹⁾.

ولقد جاء الإسلام لإسعاد الناس وصلاحهم، وقد حث الإسلام على إدخال السرور على المسلمين، ونفع الناس وقضاء حوائجهم، وجعل ذلك من أفضل القربات وأسمى الأعمال، وإن المرء ليجد عوائد هذه العبادات في الدنيا قبل الآخرة، والجزاء من جنس العمل، من فرج عن غيره فرج الله عنه، ومن أسعد غيره أسعده الله، ومن أعان غيره أعانه الله، (وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ)⁽²⁾.

أيها المسلمون: إن هناك وسائل لإدخال السرور على الآخرين، وهي كثيرة جدا نذكر أهمها في هذه الخطبة، **وأسأل الله أن ينفعنا بها جميعا:**

أولا: إفشاء السلام:

أيها المسلمون، إن إفشاء السلام من أسباب انتشار المحبة وظهور المودة بين أهل الإسلام، كما أخبر بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم، فعن أبي هريرة رض، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم

(1) مسند أحمد (8952).

(2) صحيح مسلم (2699).

على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»⁽¹⁾.

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَالسَّلَامُ أَوَّلُ أَسْبَابِ التَّأَلُّفِ وَمِفْتَاحُ اسْتِجْلَابِ الْمَوَدَّةِ وَفِي إِفْشَائِهِ تَمَكُّنُ أَلْفَةِ الْمُسْلِمِينَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ وَإِظْهَارُ شِعَارِهِمُ الْمُمَيِّزِ لَهُمْ مِنْ غَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْمَلَلِ مَعَ مَا فِيهِ مِنْ رِيَاضَةِ النَّفْسِ وَلُزُومِ التَّوَاضُّعِ وَإِعْظَامِ حُرْمَاتِ الْمُسْلِمِينَ"⁽²⁾.

ويقول العلامة ابن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ: "فيه أن من فوائد إفشاء السلام حصول المحبة بين المتسالمين، وكان ذلك لما فيه من ائتلاف الكلمة لتعم المصلحة بوقوع المعاونة على إقامة شرائع الدين وإخزاء الكافرين، وهي كلمة إذا سُمعت أخلصت القلب الواعي لها عن التفور إلى الإقبال على قائلها"⁽³⁾.

إن العمل بهذا الهدى النبوي الكريم والحرص على إظهاره في كل وقت وحين له أثر طيب يعود على نفوس المسلمين، والمؤمن يفرح عندما يرى الراكب من المسلمين يسلم على الماشي، والماشي على القاعد، والقليل منهم على الكثير، والصغير منهم على الكبير.

ثانياً: ومن وسائل إدخال السرور: الابتسامة وطلاقة الوجه :

إن التبسم وطلاقة الوجه أول طريق للقلوب ونشر المودة والخير والرحمة

(1) صحيح مسلم (54).

(2) شرح النووي على مسلم (2/36).

(3) فتح الباري لابن حجر (11/18).

بين الناس بما يصنع على المجتمع من الأمان والإخاء والألفة.

لا يوجد شيء يعادل الابتسامة المشرقة، فهي سرٌّ من أسرار الجاذبية، وطريق مختصر للتجاذب بين القلوب.

إن إدخال السرور على المسلمين ليس بالضرورة في مال نعطيهِ، بل في غالب الأحيان بسمة صادقة وكلمة طيبة، فلتكن بسمتك وكلمتك طريقك إلى الجنة.

يقول النبي ﷺ حاثا المسلمين على طلاقة الوجه والتبسم في وجه بعضهم البعض كما في حديث أبي ذر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قال: قال لي النبي **ﷺ**: «لا تحقرن من المعروف شيئا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق» ⁽¹⁾.

وعنه أن النبي **ﷺ** قال: «تبسمك في وجه أخيك لك صدقة» ⁽²⁾.

الابتسامة وطلاقة الوجه هي المفتاح الأول لكل القلوب المغلقة، إنها إشراقة رُوح، وإطلالة نَفْس، وصورة فؤاد، إنها بلسم الألم ودواء الحُزن، وهي أقصر طريق إلى القلوب، وأقرب باب إلى النفوس.

إِذَا الْمَرْءُ وَافَى مَنْزِلًا لَكَ قَاصِدًا قِرَاكَ وَأَرْمَتْهُ لَدَيْكَ الْمَسَالِكُ
فَكُنْ بِاسْمًا فِي وَجْهِهِ مُتَهَلِّلًا وَقُلْ مَرْحَبًا أَهْلًا وَيَوْمَ مُبَارَكُ
وَقَدِّمْ لَهُ مَا تَسْتَطِيعُ مِنَ الْقِرَا عَجُولًا وَلَا تَبْخُلْ بِمَا هُوَ هَالِكُ

(1) صحيح مسلم (2626).

(2) سنن الترمذي (1956).

فَقَدْ قِيلَ يَبْتَ سَالِفٌ مُتَقَدِّمٌ تَدَاوَلَهُ زَيْدٌ وَعَمَرُو وَمَالِكُ
 (بَشَاشَةٌ وَجْهِ الْمَرْءِ خَيْرٌ مِنَ الْقِرَاءِ) فَكَيْفَ بِمَنْ يَأْتِي بِهِ وَهُوَ ضَاحِكٌ (1)

ثالثا: ومن وسائل إدخال السرور: قضاء حوائج الناس والإحسان إليهم:

إن السعي في قضاء حوائج الناس من الأخلاق الإسلامية العالية الرفيعة التي ندب إليها الإسلام، وحث المسلمين عليها، وجعلها من باب التعاون على البر والتقوى، ولا يقتصر السعي في قضاء حوائج الناس على النفع المادي فقط، لكنه يمتد ليشمل النفع بالعلم، والنفع بالرأي، والنفع بالنصيحة، والنفع بالمشورة، والنفع بالجاء والسلطان. **فعن** ابن عمر رضي الله عنهما، أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله أي الناس أحب إلى الله؟ وأي الأعمال أحب إلى الله **عز وجل**؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخ لي في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد، يعني مسجد المدينة، شهراً،..» (2).

أَحْسِنْ إِلَى النَّاسِ تَسْتَعِيدَ قُلُوبَهُمْ فَطَالَ مَا أَسْتَعْبَدَ الْإِنْسَانُ إِحْسَانُ
 وَكُنْ عَلَى الدَّهْرِ مِعْوَانًا لِدَيِّ أَمَلٍ يَرْجُوا نَدَاكَ فَإِنَّ الْخُرَّ مِعْوَانُ
 وَأَشَدُّ يَدَيْكَ بِحَبْلِ اللَّهِ مُعْتَصِمًا فَإِنَّهُ الرُّكْنُ إِنْ خَاتَمَكَ أَرْكَانُ

(1) المستطرف في كل فنٍّ مستظرف (صد 191).

(2) المعجم الأوسط (6026).

مَنْ كَانَ لِلْخَيْرِ مَنَاعًا فَلَيْسَ لَهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِخْوَانٌ وَأَخْدَانٌ
 مَنْ جَادَ بِالْمَالِ مَالَ النَّاسِ قَاطِبَةً إِلَيْهِ وَالْمَالُ لِلْإِنْسَانِ فَتَّانٌ⁽¹⁾
 رزقنا الله وإياكم السعادة في النفس والأهل، والإسعاد للغير، أقول ما
 سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

(1) قصيدة عنوان الحكم (ص 36).

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي يجزي على العمل القليل بالثواب الجزيل، والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين، **أما بعد:**

أيها المؤمنون: ومن وسائل إدخال السرور على الغير وهو الأمر الرابع: عيادة المريض:

المريض يفرح كثيرا بزيارته، ويسعد كثيرا برؤية أحبائه وأصحابه، ولهذا كان من الحقوق الإسلامية التي حث عليها الإسلام عيادة المريض، ورتب عليها أجرا كبيرا.

إن عيادة المريض يشعره عند مرضه بروح الأخوة الإسلامية، فيكون ذلك سببا في تخفيف آلامه وأحزانه وتعوضه بعض ما حُرِم من القوة والصحة.

ولهذا كان من أدب السلف رضوان الله عليهم أنهم إذا فقدوا أحدا من إخوانهم سألوا عنه، فإن كان غائبا دعوا له وخلفوه خيرا في أهله، وإن كان حاضرا زاروه، وإن كان مريضا عادوه. **فَعَنْ** ثَوْبَانَ بْنِ أَبِي فَاخِتَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَخَذَ عَلِيٌّ بِيَدِي، قَالَ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَى الْحَسَنِ أَيُّ وَلَدِهِ نَعُوذُ، فَوَجَدْنَا عِنْدَهُ أَبَا مُوسَى، فَقَالَ عَلِيٌّ: أَعَائِدًا جِئْتَ يَا أَبَا مُوسَى أَمْ زَائِرًا؟ فَقَالَ: لَا بَلْ عَائِدًا، فَقَالَ عَلِيٌّ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا غُدُوَّةً إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنْ عَادَهُ عَشِيَّةً إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ» (1).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخَاهُ فِي اللَّهِ نَادَاهُ مُنَادٍ أَنْ طُبْتُ وَطَابَ مَمْشَاكَ وَتَبَوَّاتَ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلًا» (1).

وعن ثوبان، مولى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا خُرْفَةُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: جَنَاهَا» (2). والأحاديث في فضل عيادة المريض كثيرة.

اللهم أتمم علينا نعمتك الوافية، وارزقنا الإخلاص في أعمالنا، والصدق في أقوالنا، وعُدْ علينا بإصلاح قلوبنا، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(1) سنن الترمذي (2008).

(2) صحيح مسلم (2568).



حسن الظن بالناس

الخطبة الأولى

الحمد لله عدد ما أحصى كتابه، والحمد لله عدد ما في كتابه، والحمد لله عدد ما أحصى خلقه، والحمد لله ملء ما في خلقه، والحمد لله ملء سماواته وأرضه، والحمد لله عدد كل شيء، والحمد لله على كل شيء، **وأشهد** أن لا إله إلا الله، عالم الخفيات، وباري البريات، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ وأصحابه أجمعين، **أما بعد:**

فاتقوا الله تعالى حق التقوى، وأصلحوا سرائركم وظواهركم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (1).

أيها المؤمنون: إن هناك خصلة ذميمة، وصفة قبيحة، عاقبتها وخيمة، وآثارها سيئة، منشأها قلب مريض، وروح هزيلة، ونفس شريرة، هذا المرض الخطير الذي انتشر في أوساط كثير من الناس رجالا ونساء، هو سوء الظن وهذا المرض من أعظم الأسباب في فساد القلوب، وتغير النفوس، وانقطاع الأواصر، وصلة الرحم، وانفصام عرى الأخوة، وزوال المحبة، وذهاب المودة، وهو

(1) [الأحزاب: 71].

سبب في زرع الشقاق بين المسلمين، وجلب البغضاء والشحناء بينهم، وهو المؤدي إلى الخصومات والعداوات وتقطيع الصلات، فهو مرض خطير وشر مستطير، نتائجه خطيرة ومفاسده عظيمة.

أيها المؤمنون: إن حسن ظن المسلم بأخيك المسلم نعمة عظيمة، ومنة كريمة، فهو الذي يؤدي إلى سلامة الصدور، وتقوية روابط الألفة والمحبة بين المجتمع المسلم، فلا تحمل الصدور غلا ولا حسدا ولا بغضا ولا حقدا، فليس أريح لقلب العبد في هذه الحياة، ولا أسعد لنفسه من حسن الظن، فبه يسلم من الخواطر المقلقة وأذاها، والتي تؤذي النفس وتكدر خاطر وتتعب الجسد.

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْضِيَ اللهُ لَهُ بِالْخَيْرِ فَلْيُحْسِنْ الظَّنَّ بِالنَّاسِ (1).

وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قال: رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة، ويقول: «مَا أَطْيَبُكَ وَأَطْيَبَ رِيحَكَ، مَا أَعْظَمَكَ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكَ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَحُرْمَةُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ حُرْمَةً مِنْكَ، مَالِهِ، وَدَمِهِ، وَأَنْ نَظُنَّ بِهِ إِلَّا خَيْرًا» (2).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنْ حَسَنَ الظَّنُّ مِنْ حَسَنِ الْعِبَادَةِ» (3).

(1) تهذيب الأسماء واللغات (1/ 55).

(2) سنن ابن ماجه (3932).

(3) مسند أحمد (7956).

أيها المسلمون: إن الظن السيئ يدفع صاحبه لتتبع العورات والبحث عن الزلات والتنقيب عن السقطات، وهو بذلك يُعرّض نفسه لغضب الله وعقابه، والتعجيل بالعقوبة في الدنيا قبل الآخرة، **وقد وعد النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** أمثال هؤلاء المرضى بالعقوبة والفضيحة في الدنيا قبل الآخرة. **ففن** أبي برزة الأسلمي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قال: قال رسول الله ﷺ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ، لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعْ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعْ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ»⁽¹⁾.

وعن ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، عن النبي ﷺ قال: «من ستر عورة أخيه المسلم، ستر الله عورته يوم القيامة، ومن كشف عورة أخيه المسلم، كشف الله عورته، حتى يفضحه بها في بيته»⁽²⁾.

وفي مسند الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «من ستر عورة مؤمن، فكأنما استحيا موءودة من قبرها»⁽³⁾.

قال الإمام الغزالي: "ومهما خطر لك خاطر بسوء على مسلم فينبغي أن تزيد ذي مراعاته، وتدعو له بالخير، فإن ذلك يغيظ الشيطان ويدفعه عنك، فلا يلقي إليك خاطر السوء خيفة من اشتغالك بالدعاء والمراعاة. ومهما عرفت هفوة مسلم بحجة فانصحه في السر، ولا يخدعك الشيطان فيدعوك إلى اغتيابه،

(1) سنن أبي داود (4880).

(2) سنن ابن ماجه (2546).

(3) مسند أحمد (17395).

وإذا وعظته فلا تعظه وأنت مسرور باطلاعك على نقصه لينظر إليك بعين التعظيم، وتنظر إليه بعين الاستحقار، وتترفع عليه بإيذاء الوعظ، وليكن قصدك تخليصه من الإثم وأنت حزين كما تحزن على نفسك إذا دخل عليك نقصان في دينك، وينبغي أن يكون تركه لذلك من غير نصحك أحب إليك من تركه بالنصيحة، فإذا أنت فعلت ذلك كنت قد جمعت بين أجر الوعظ، وأجر الغم بمصيبته وأجر الإعانة له على دينه⁽¹⁾.

وقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "لا يحل لامرئٍ مسلمٍ سمع من أخيه كلمة أن يظن بها سوءاً، وهو يجد لها في شيء من الخير مخرجاً"⁽²⁾.

وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "من علم من أخيه مروءة جميلة فلا يسمعن فيه مقالات الرجال، ولا يقبل إلا ما يراه بعينه في أمور لا تحتل تأويلاً، ومن حسنت علانيته فنحن لسريته أرجا". **ثم قال:** (ألا إن بين الحق والباطل أربع أصابع)، ووضع يديه بين أذنيه وعينه، **فقال:** (الحق أن تقول: رأيت بعيني، والباطل أن تقول: سمعت بأذني، فلا ينبغي أن يقول الإنسان في أخيه إلا ما يراه بعينه)⁽³⁾.

وعن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم»⁽⁴⁾.

(1) إحياء علوم الدين (3/ 151).

(2) التمهيد لابن عبد البر (11/ 299).

(3) تفسير الموطأ للقنازعي (2/ 747).

(4) سنن أبي داود (4888).

أيها المسلمون: إن الله قد ذم هذه الصفة في كتابه فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾⁽¹⁾. قال ابن كثير **رَحِمَهُ اللَّهُ:** "يقول تعالى ناهيا عباده المؤمنين عن كثير من الظن، وهو التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس في غير محله؛ لأن بعض ذلك يكون إثما محضاً، فليجتنب كثير منه احتياطاً، وروينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، أنه قال: ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المسلم إلا خيراً، وأنت تجد لها في الخير محملاً"⁽²⁾.

ومن لطيف ما فُسرَت به هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ الأصل في المؤمن ألا يظن في أخيه سوءاً، فإن حصل وظن به سوءاً جاء بعده النهي عن الظن ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ أي لا تتجسسوا على الذي ظننتم به السوء من أجل التثبت من ظنكم، فإن حصل وظننتم وتجسستم جاء بعد ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ يعني ظننت وتجسست وثبت الأمر لديك فاستر ولا تفضح ولا تغتب، ولا تنشر سر أخيك، واستر عورته، عسى الله أن يستر عورتك يوم تكشف العورات.

سامح أخاك إذا وفاك بالغلط واترك هوى القلب لا يدهيك بالشطط
فكم صديق وفي مخلص لبق أضحي عدوا بما لاقاه من فرط

(1) [الحجرات: 12].

(2) تفسير ابن كثير (7/ 377).

فليس في الناس معصوم سوى رسل حماهم الله من دوامة السَّقَطِ
ألستَ ترجو من الرحمن مغفرة يوم الزحام فسامح تنج من سَخَطِ.

أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَنَا وَإِيَّاكُمْ الْقُلُوبَ السَّلِيمَةَ وَالْأَلْسُنَ الصَّادِقَةَ وَالنَّفُوسَ
الْمُطْمَئِنَّةَ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ فَاسْتَغْفِرُوهُ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي جعل حسن الظن عبادة يتقرب بها المتقربون، والصلاة والسلام على رسولنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، **أما بعد:**

أيها المسلمون: مع الأسف الشديد لا تحتاجون أن أقول لكم: إن مجتمعنا الإسلامي اليوم بعيد كثيرا عن معاني حسن الظن وستر المسلمين إلا من رحم الله، حتى أصبح الكثير من الناس يستحق أن يطلق عليه عشاق كشف الأسرار، وهواة هتك الأستار.

قال الإمام الغزالي رَحِمَهُ اللهُ: اعلم أن سوء الظن حرام مثل سوء القول، فكما يحرم عليك أن تحدث غيرك بلسانك بمساوئ الغير فليس لك أن تحدث نفسك وتسيء الظن بأخيك، وسبب تحريمه أن أسرار القلوب لا يعلمها إلا علام الغيوب، فليس لك أن تعتقد في غيرك سوءا إلا إذا انكشف لك بعيان لا يقبل التأويل، فعند ذلك لا يمكنك إلا أن تعتقد ما علمته وشاهدته، وما لم تشاهده بعينك ولم تسمعه بأذنك ثم وقع في قلبك وإنما الشيطان يلقيه إليك، فينبغي أن تكذبه فإنه أفسق الفساق، فلا يستباح ظن السوء إلا بما يستباح به المال، وهو نفس مشاهدته أو بينة عادلة، فإذا لم يكن كذلك وخطر لك وسواس سوء الظن فينبغي أن تدفعه عن نفسك⁽¹⁾.

(1) إحياء علوم الدين (3/ 151).

وقال الإمام أبو حاتم البستي: الواجب على العاقل لزوم السلامة بترك التجسس عن عيوب الناس مع الاشتغال بإصلاح عيوب نفسه، فإن من اشتغل بعيوبه عن عيوب غيره أراح بدنه ولم يتعب قلبه، فكلما اطلع على عيبٍ لنفسه هان عليه ما يرى مثله من أخيه، وإن من اشتغل بعيوب الناس عن عيوب نفسه عمى قلبه وتعب بدنه وتعدّر عليه ترك عيوب نفسه، وإن من أعجز الناس من عاب الناس بما فيهم وأعجز منه من عابهم بما فيه ⁽¹⁾.

وما أحسن قول القائل:

عجبت لمن يبكي على موت غيره دموعاً ولا يبكي على موته دماً
وأعجب من ذا أن يرى عيب غيره عظيماً وفي عينه عن عيبه عمى ⁽²⁾

وصدق من قال:

المَرءُ إن كانَ عاقِلاً ورِعاً أشغَلَهُ عن عُيوبِ غيره ورَعُهُ
كما العليلُ السَّقِيمُ أشغَلَهُ عن وجعِ الناسِ كُلِّهِم وجَعُهُ ⁽³⁾

ومن المعلوم أيها المسلمون: أن في زمن الفتن تكثر الأقاويل وتنتشر الإشاعات في الناس، وتُروج سوق أهل الريب والظنون الفاسدة، ويُظن بأهل الخير والصلاح ما ليس فيهم فتلوك الألسنة أعراضهم، ويقع الناس في غيبتهم،

(1) روضة العقلاء (ص 125).

(2) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب (1/ 217).

(3) موسوعة الأخلاق والزهد والرفائق (1/ 141).

وإن كان في بعضهم ما يلصق به فليس من النصيحة التشهير بهم وتناقل العثرات ونشر الزلات.

قال مالك بن دينار رَحِمَهُ اللهُ: كفى بالمرء شراً أن لا يكون صالحاً ويقع في الصالحين⁽¹⁾. **وقال محمد بن سيرين رَحِمَهُ اللهُ:** «كنا نُحَدِّثُ أن أكثر الناس خطايا أفرغهم لذكر خطايا الناس»⁽²⁾. **وقال عون بن عبد الله رَحِمَهُ اللهُ:** لا أحسب الرجل ينظر في عيوب الناس إلا من غفلة غفلها عن نفسه⁽³⁾.

ومن لطائف أبي سليمان الداراني رَحِمَهُ اللهُ: ما رواه أبو نعيم عن أبي أحمد بن الحواري قال: قلت لأبي سليمان: إن فلاناً وفلاناً لا يقعان على قلبي. قال: ولا على قلبي، ولكن لعنا أتيناً من قلبي وقلبك، فليس فينا خير، وليس نحب الصالحين⁽⁴⁾.

قال العلامة ابن الجوزي معلقاً على هذا: فانظر كيف رد أبو سليمان السبب في ذلك إلى نفسه وإلى صاحبه تهذيباً وتأديباً، واتهاماً للنفس، ولم يحكم على ذنبك بأن السبب من قبليهما؛ أين هذا ممن يقع في الصالحين، وكيف ممن يؤذيهم⁽⁵⁾.

(1) الفوائد والأخبار للهمداني (ص 170).

(2) الصمت وآداب اللسان (ص 104).

(3) الصمت وآداب اللسان (ص 310).

(4) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (9/ 263).

(5) حسن التنبيه لما ورد في التشبه (3/ 25).

وفي الختام لا بد من التنبيه عن تساؤل قد يسأله البعض: أن من كان واقعا في المنكرات مجاهرا بها فكيف يكون نصحه؟ وهل يكون داخلا في الكلام المتقدم؟.

فنتقول: لا بد من الفرق في النصيح وفي إنكار المنكرات، وهذا هو الأصل في الإسلام، لكن من كان مجاهرا بالمعاصي والمنكرات والذنوب والسيئات وكان مظهرها لفسقه معلنا لمنكراته فليس له في هذه الحالة حرمة، والأصل فيه التهمة لقلّة دينه وحيائه إلا أن يتوب من ذنبه ويقلع عن غيه.

وبيان ذلك أن المنكر إذا كان مستورا فضرره على صاحبه، وهو الذي يدخل فيه وجوب السر والنصح سرا، ويشمله الكلام المتقدم في الخطبة، أما من أظهر المنكرات وتفاخر بها وأذى عباد الله فهذا لا حرمة له.

وأكثر العلماء على أن الظن القبيح بمن ظاهره الخير لا يجوز، وأنه لا حرج في الظن القبيح بمن ظاهره قبيح⁽¹⁾ كالفساق المجاهرين بفسقهم والمتفخخين بذنوبهم، أما من ظاهره الخير كما هو في أكثر المسلمين فلا يجوز. **قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ:** وقد ذكر النووي أن من جاهر بفسقه أو بدعته جاز ذكره بما جاهر به دون مالم يجاهر به⁽²⁾. **ونقل أيضا** عن ابن العربي وهو يتحدث عن السر على الناس نقل قوله: هذا كله في غير المجاهر، فأما إذا كان متظاهرا

(1) أحكام القرآن لابن الفرس (3/ 495).

(2) فتح الباري بشرح البخاري (10/ 487).

بالفاحشة مجاهرا بها فإني أحب مكاشفته لينزجر هو وغيره عنها، لأن الجهر بالمعصية استخفاف بحق الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وبصالح المؤمنين، وفيه ضرب من العناد لهم وسبب لانتشارها بينهم⁽¹⁾.

اللهم يا عظيم العفو، يا واسع المغفرة، يا قريب الرحمة، يا ذا الجلال والإكرام، هب لنا العافية في الدنيا والآخرة، واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين.

(1) فتح الباري بشرح البخاري (10/487).

سوء الظن

الخطبة الأولى

الحمد لله القائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾⁽¹⁾، **وأشهد** أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنَ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾⁽²⁾، **وأشهد** أن محمدا عبده ورسوله القائل: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ»⁽³⁾ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه أجمعين. **أما بعد:**

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾⁽⁴⁾.

أيها المؤمنون: إن هناك خلقا ذميما، وتصرفا قبيحا، وسلوكا رديئا، وعملا سيئا، حذر منه القرآن الكريم في آيات كثيرة، كما حذرت منه السنة في أحاديث متعددة، وقد ذم هذه الصفة العقلاء، وحذر منها الحكماء، وأنكر على المتصفين بها العلماء، إنه مرض سوء الظن بالآخرين، خلق متى غزا النفوس أفسدها، ومتى حلَّ في القلب أهلكه، ومتى انتشر في مجتمع أفسده، فهو مرض عضال وداء فتاك، سوء الظن بالآخرين من أسباب الخصومات والعداوات،

(1) [الحجرات: 12].

(2) [الشعراء: 89: 88].

(3) صحيح البخاري (6064).

(4) [آل عمران: 102].

ومن أسباب التشاحن والنزاعات، وهو من منابع الهموم والقلق، ومرتع الغيبة والنميمة، ومنبت الأخلاق الرديئة والطبائع السيئة، وهو دليل على جهل صاحبه وضعف إيمانه وسوء طويته.

مَتَى مَا يَسُوْءُ ظَنُّ امْرِئٍ بِصَدِيْقِهِ وَلِلظَّنِّ اَسْبَابٌ عِراَضُ الْمَسَارِحِ
يُصَدِّقُ اُمُورًا لَمْ يَحِجَّهُ يَقِيْنُهَا عَلَيْهِ وَيَعْشَقُ سَمْعُهُ كُلَّ كَاشِحٍ (1)

سوء الظن بالآخرين دليل على حب الظهور وقلة الورع وفساد السريرة، قال الإمام الغزالي^{رحمه الله}: فمن يحكم بشر على غيره بالظن بعثه الشيطان على أن يطول فيه اللسان بالغيبة فيهلك أو يقصر في القيام بحقوقه أو يتوانى في إكرامه وينظر إليه بعين الاحتقار ويرى نفسه خيراً منه وكل ذلك من المهلكات (2).

وقال أيضاً: فمهما رأيت إنساناً يسيء الظن بالناس طالباً للعيوب فاعلم أنه خبيث الباطن وأن ذلك خبثه يترشح منه وإنما رأى غيره من حيث هو فإن المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العيوب والمؤمن سليم الصدر في حق كافة الخلق (3).

فإياك أخي والظن، وادعُ ربك أن يصرف عنك خواطر السوء، وإن لم تستطع أن تدفع عن نفسك فلا أقل من السكوت وعدم الكلام بما ظننت لعلك تسلم.

(1) الدر الفريد وبيت القصيد (9/ 243).

(2) إحياء علوم الدين (3/ 63).

(3) إحياء علوم الدين (3/ 36).

إِذَا رُمْتَ أَنْ تَحْيَا سَلِيمًا مِنَ الْأَذَى وَدَيْنُكَ مَوْفُورٌ وَعِرْضُكَ صَيْنٌ
لِسَانُكَ لَا تَذْكُرُ بِهِ عَوْرَةَ امْرِئٍ ***فَكُلُّكَ عَوْرَاتٌ وَلِلنَّاسِ أَلْسُنٌ
وَعَيْنَاكَ إِنْ أَبَدْتَ إِلَيْكَ مَعَايَا فَدَعَهَا وَقُلْ يَا عَيْنُ لِلنَّاسِ أَعْيُنُ
وَعَاشِرٌ بِمَعْرُوفٍ وَسَامِعٌ مَنِ اعْتَدَى وَدَافِعٌ وَلَكِنْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ⁽¹⁾

إن سوء الظن بالأخرين كبيرة من الكبائر، وعظيمة من العظائم، تفقد الثقة بالأخرين، وتورث العداوة والبغضاء بين الأحبة والصالحين، وتعمي البصيرة، وتقبح السريرة وتفسد السيرة، **قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾**⁽²⁾.

قال الإمام الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ: اعْلَمْ أَنَّ سُوءَ الظَّنِّ حَرَامٌ مِّثْلُ سُوءِ الْقَوْلِ، فَكَمَا يَحْرُمُ عَلَيْكَ أَنْ تُحَدِّثَ غَيْرَكَ بِلِسَانِكَ بِمَسَاوِي الْغَيْرِ فَلَيْسَ لَكَ أَنْ تُحَدِّثَ نَفْسَكَ وَتُسَيِّئَ الظَّنَّ بِأَخِيكَ، وَلَسْتُ أَعْنِي بِهِ إِلَّا عَقْدَ الْقَلْبِ وَحُكْمَهُ عَلَى غَيْرِهِ بِالسُّوءِ⁽³⁾.

والظن السيئ غيبة القلب، وهو أمرٌ محرم، كما قال بعض العلماء⁽⁴⁾.

(1) شذرات الذهب في أخبار من ذهب (3/ 325).

(2) [الحجرات: 12].

(3) إحياء علوم الدين (3/ 150).

(4) قوت القلوب لأبي طالب المكي (2/ 371).

جاء في الحديث عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْكَعْبَةِ، فَقَالَ: "مَا أَعْظَمَ حُرْمَتِكَ"، وَفِي رِوَايَةِ أَبِي حَازِمٍ لَمَّا نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْكَعْبَةِ، قَالَ: "مَرَّحَبًا بِكَ مِنْ بَيْتِ مَا أَعْظَمَكَ وَأَعْظَمَ حُرْمَتِكَ، وَلِلْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ حُرْمَةٍ عِنْدَ اللَّهِ مِنْكَ، إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مِنْكَ وَاحِدَةً وَحَرَّمَ مِنَ الْمُؤْمِنِ ثَلَاثًا: دَمَهُ، وَمَالَهُ، وَأَنْ يُظَنَّ بِهِ ظَنُّ السَّوِّءِ" (1).

فَظَنَ بِالنَّاسِ خِيَرًا فَالْخَيْرَ طَبَعَ الْكِرَامَ
وَشَرُّ شَرِّ الْبَرَايَا مَنْ ظَنَّ ظَنَّ اللَّئَامِ (2)

أيها المسلمون: سوء الظن مفتاح الشرور وبوابة الآثام، فهو يزرع الشقاق بين المسلمين، ويقطع حبال الأخوة بين المتحابين، ويمزق وشائج الألفة بين المتصافين، ويزرع البغضاء والشحناء بين المتآلفين، فكم تعدى البعض على الآخرين من الأقربين والأبعدين بسبب الظن السيئ، وكم آذوهم بظنون كاذبة وتخيلات ساذجة، فهو باب واسع من أسباب إساءة العلاقة بين الأصدقاء، حتى إنه ليجعل نفوسهم مهيأة لتصديق ما يُعقل وما لا يُعقل ويخلق للأعداء مرعى خصبا يرتعون فيه.

إن الظن السيئ يدفع صاحبه لتتبع العورات والبحث عن الزلات، والتعقيب عن السقطات، وهو بهذا الفعل القبيح يعرض نفسه لغضب الله وعقابه

(1) شعب الإيمان (6280).

(2) منقول.

كما يعرض نفسه للمهانة عند الآخرين واحتقارهم له.

إن سبب الظن حياته في جحيم: هموم وقلق، وتفكيرات وتأويلات. وسوء الظن يردي صاحبه وينجي مُجَانِبُهُ.

ألا وإن مرضى النفوس لا يرتاحون أن يروا الناس على ما هم عليه من حسن السريرة وراحة النفس وحسن الخلق، وإنما يعملون جاهدين على استخراج زلاتهم بالمنقاش، وتسجيل عثراتهم بالنقش على الحجر حتى لا تُمحى، فإن رأوا فيهم حسنات خباؤها حسداً وحقداً، وإذا رأوا فيهم سيئة طاروا بها ونشروها، ومن كان هذا حاله فهو إلى الفضيحة في الدنيا أقرب، وبالذلة فيها أحق، فقد وعد الصادق المصدق صلى الله عليه وآله وسلم أن من كان هذا حاله فإنه سيفضح أمام الآخرين، فتأمل معي هذا الحديث، **فعن** أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ، لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعْ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعْ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ» (1).

أيها المؤمنون: ينبغي على كل إنسان عاقل يخاف الله أن يتجاوز هذه الحالة المرضية السيئة، وهي الظن بالآخرين ظنون السوء، وعليه أن ينظر للآخرين نظرة إيجابية ولو جال في خاطره تصور خاطئ على شخص ما، فعليه أن لا يئني عليه موقفاً، أو يسيء إليه فذاك ظلم وإثم.

(1) سنن أبي داود (4880).

قال سعيد بن المسيب رَحِمَهُ اللَّهُ: كتب إلى بعض إخواني من أصحاب رسول الله ﷺ: «أن ضع أمر أخيك على أحسنه ما لم يأتك ما يغلبك، ولا تظنّ بكلمة خرجت من أمريء مسلم شراً وأنت تجد لها في الخير محملاً»⁽¹⁾.

فكم من كلمة صدرت من إنسان فأخذها مريض القلب وسيئ الظن وحملها على أسوأ المحامل ظلماً، وتأولها على أسوأ الاحتمالات تعدياً، والمتكلم لم يقصد تلك الاحتمالات السيئة ولا تلك الظنون القبيحة، ولا تلك التأويلات الكريهة.

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: "مَا يَزَالُ الْمَسْرُوقُ مِنْهُ يَتَظَنَّى حَتَّى يَصِيرَ أَعْظَمَ مِنَ السَّارِقِ"⁽²⁾. **أي** لا يزال الشخص الذي سُرقَ عليه شيء يقول ربما فلان سرقني، ثم يظن بآخر وهكذا، وهذا هو حال كثير من الناس إذا سُرق منه شيء ولا يدري من فعله يبدأ بالظنون، ثم يدخل نفسه في ظنون وغيبة ووقیعة ونميمة وكذب وبهتان وآثام عظام، حتى تصبح حالته أعظم إثماً من إثم السارق الذي سرق.

أخيراً: أرح نفسك من الظنون السيئة وأرح قلبك من الأوهام بالآخرين، وعليك بحسن الظن وحمل الأقوال والأفعال على أحسن المحامل كما تحب أن يفعل معك لو كنت أنت صاحب القول أو الفعل.

(1) شعب الإيمان للبيهقي (8345).

(2) الأدب المفرد (1289).

قال بكر المزي رَحِمَهُ اللهُ: "إِيَّاكَ مِنَ الْكَلَامِ، مَا إِنِ أَصَبْتَ فِيهِ لَمْ تُؤْجَرْ، وَإِنْ أَخْطَأْتَ تُؤْزَرُ، وَذَلِكَ سُوءُ الظَّنِّ بِأَخِيكَ" (1).

ألا فليحذر العاقل من الظنون السيئة والأوهام الرديئة بأخيه المسلم، والتي قد أفسدت في حياة الناس كثيرا، ونخرت في علاقاتهم وأخوتهم، وأوجدت بينهم العداوات والبغضاء ما لا يعلمه إلا الله، ومن فسدت سريرته فسد تصويره، ومن أحسن التصور أحسن الظن بغيره، ومن حسد أحدا أساء الظن بجميع أقواله وأفعاله:

إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ وَصَدَّقَ مَا يَعْتَاذُهُ مِنْ تَوَهُمِهِ
وَعَادَى مُجِبِّهِ بِقَوْلِ عِدَاتِهِ وَأَصْبَحَ فِي لَيْلٍ مِنَ الشَّكِّ مُظْلِمٌ (2)

فهل من رجوع وتوبة وإقلاع وأوبة؟

اللَّهُمَّ طهر قلوبنا من النفاق، وعملنا من الرياء، وألسنتنا من الكذب، وأعيننا من الخيانة وأذاننا عن الاستماع إلى ما لا يرضيك، وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(1) سير أعلام النبلاء (4 / 535).

(2) الأمثال السائرة من شعر المتنبي (ص 60).

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، **أما بعد:**

أيها المؤمنون: يقول العلامة أبو المطرف القنازي **رَحِمَهُ اللهُ** في قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إياكم والظن"، يريد: إياكم أن يظن أحدكم بأخيه المسلم ظن سوء إذا كان الخير عليه غالباً، ولا يسمع منه مقالة ناقل عنه قول سوء، "فالظن أكذب الحديث"، **وقد قال علي بن أبي طالب:** (من علم من أخيه مروءة جميلة فلا يسمعن فيه مقالات الرجال، ولا يقبل عنه إلا ما يراه بعينه في أمور لا تحتمل تأويلاً، ومن حسنت علانيته فنحن لسريته أرجأ، **ثم قال:** (ألا إن بين الحق والباطل أربع أصابع)، ووضع يديه بين أذنيه وعينه، فقال: (الحق أن تقول: رأيت بعيني، والباطل أن تقول: سمعت بأذني، فلا ينبغي أن يقول الإنسان في أخيه إلا ما يراه بعينه)⁽¹⁾.

فهذه أيها الإخوة قاعدة في الحياة في التعامل مع الظنون الواردة أو الأقوال المنقولة في الآخرين.

قال بعض أهل العلم: وقد أوجب الله أن يكون ظن المؤمن بالمؤمن حسناً

(1) تفسير الموطأ (2/ 747).

أَبَدًا، إِذْ يَقُولُ ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾⁽¹⁾،
فَإِذَا جَعَلَ اللَّهُ سَوَاءَ الظَّنِّ بِالْمُؤْمِنِينَ إِفْكًَا مَبِينًا فَقَدْ لَزِمَ أَنْ يَكُونَ حَسَنُ الظَّنِّ بِهِمْ
صَدَقًا بَيِّنًا⁽²⁾.

اللَّهُمَّ أَحْيَا فِي الدُّنْيَا مُؤْمِنِينَ طَائِعِينَ، وَتَوَفَّنا مُسْلِمِينَ تَائِبِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ.

(1) [النور: 12].

(2) التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملquin (28 / 413).



الشَّمَاتَةُ بِالْآخِرِينَ

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي كان بعباده خبيراً بصيراً، وتبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً، وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً، وتبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، والصلاة والسلام على نبينا محمد أرسله الله مبشراً ونذيراً، وعلى آله وأصحابه فقد كانوا كلهم نجوماً في سماء الهداية، **فَرْضَاَ اللَّهُ عَنْهُمْ** وأرضاهم أجمعين، **أما بعد:**

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (1).

أيها المؤمنون: إن هناك صفة ذميمة، وخصلة قبيحة، وخلقا مشينا، وسلوكا سيئا، يدل على نفس غير سوية وقلب مدخول وعقل ضعيف، كما تدل هذه الصفة على نقص في الإيمان وضعف في الأخوة، هذه الصفة الذميمة هي: الشَّمَاتَةُ فِي الْآخِرِينَ.

لقد أوضح القرآن الكريم أن هذه الصفة الذميمة هي من أخلاق الكفار

(1) [الأحزاب: 71].

والمنافقين وليست من أخلاق المسلمين، قال سبحانه عن المنافقين: ﴿إِنْ تَمَسَسْكُمُ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمُ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾⁽¹⁾.

ولقد حذر النبي ﷺ من هذه الصفة الذميمة والخصلة القبيحة، فقال ﷺ:
 (لا تؤذوا عباد الله ولا تعيروهم ولا تطلبوا عوراتهم فإن من طلب عورة أخيه المسلم طلب الله عورته حتى يفضحه في بيته)⁽²⁾. **وفي سنن الترمذي:** «لَا تُظْهِرِ الشَّمَاتَةَ لِأَخِيكَ فَيَرَحْمَهُ اللَّهُ وَيَبْتَلِيكَ»⁽³⁾.

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «كُنَّا نُحَدِّثُ أَنَّهُ مِنْ عَيَّرَ أَخَاهُ بِذَنْبٍ قَدْ تَابَ إِلَى اللَّهِ مِنْهُ ابْتَلَاهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ بِهِ»⁽⁴⁾.

قال أحدهم: عَيَّبْتُ شَخْصًا قَدْ ذَهَبَ بَعْضُ أَسْنَانِهِ فَذَهَبَتْ أَسْنَانِي، وَقَالَ ابْنُ سِيرِينَ: عَيَّرْتُ رَجُلًا بِالْإِفْلَاسِ فَأَفْلَسْتُ. قال ابن الجوزي: ومثل هذا كثير⁽⁵⁾.

وقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَا تَعِيرُوا أَحَدًا فَيَفْشُو فِيكُمْ الْبَلَاءُ⁽⁶⁾.

قال يحيى بن جابر: مَا عَابَ رَجُلٌ قَطُّ بَعِيبٍ إِلَّا ابْتَلَاهُ اللَّهُ مِثْلَ ذَلِكَ الْعَيْبِ،

(1) [آل عمران: 120].

(2) مسند أحمد (22402).

(3) سنن الترمذي (2506).

(4) الزهد لأحمد بن حنبل (ص228).

(5) الآداب الشرعية والمنح المرعية (1/322).

(6) البداية والنهاية (10/71).

وقال الأعمش: سمعت ابراهيم يقول: «إِنِّي لَأَجِدُ نَفْسِي تُحَدِّثُنِي بِالشَّيْءِ فَمَا يَمْنَعُنِي أَنْ أَتَكَلَّمَ بِهِ إِلَّا مَخَافَةٌ أَنْ ابْتَلَى بِمِثْلِهِ» (1).

ففي هذه الآثار والأحاديث التحذير من تعيير الإنسان أخاه المبتلى سواء بذنب أو غيره من العيوب.

والمسلم الحق بعيدٌ عن الشماتة والانتقاص بالآخرين؛ لأن الشماتة خلق وضعي مؤذٍ جارح، إنه لا مكان للشماتة في نفس المسلم الحق الذي أشربت نفسه روح الإسلام وهدي الإسلام، بل إن المسلم الحق هو الذي يرحم المبتلى ويرثي لحاله، ويسارع إلى نصحه إن كان ذنباً، أو التخفيف عنه إن كان مصيبة، أو الدعاء له إن كان بلية.

فالناس كما يروى عن عيسى عليه السلام: الناس رجالان معافي ومبتلى، فارحموا أهل البلاء في بلائهم، واحمدوا الله على العافية (2).

أيها المؤمنون: إن قليل الدين وضعيف الإيمان هو من يشمت بإخوانه المسلمين الموحدين إذا ما نزل بهم مكروه أو حلت بهم مصيبة؛ لأن ديننا قد أمرنا بضد هذا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَّى» (3).

(1) شعب الإيمان (5/ 315).

(2) الزهد لأحمد بن حنبل (ص 50).

(3) صحيح مسلم (2586).

أيها الناس: إن للشماتة عواقب وخيمة، وآثارا كبيرة في الدنيا والآخرة، كما **في الأثر المتقدم:** (لا تظهر الشماتة بأخيك فيعافيه الله وبتليك)، **وأيضا:** (من عير أخاه بذنب لم يمت حتى يفعله)، وغيرها من الآثار التي تقدم ذكرها.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: في قول أبي طالب المكي رَحِمَهُ اللهُ: وكل معصية عيرت بها أخاك فهي إليك، يَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ بِهِ: أَنَّهَا صَائِرَةٌ إِلَيْكَ وَلَا بُدَّ أَنْ تَعْمَلَهَا، وَهَذَا مَاخُوذٌ مِنَ الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ «مَنْ عَيَّرَ أَخَاهُ بِذَنْبٍ لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَعْمَلَهُ» قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي تَفْسِيرِ هَذَا الْحَدِيثِ: مَنْ ذَنْبٍ قَدْ تَابَ مِنْهُ.

وَأَيْضًا فِي التَّعْيِيرِ ضَرْبُ خَفِيٍّ مِنَ الشَّمَاتَةِ بِالْمُعَيَّرِ، وَفِي التِّرْمِذِيِّ أَيْضًا مَرْفُوعًا «لَا تُظْهِرِ الشَّمَاتَةَ لِأَخِيكَ، فَيَرْحَمَهُ اللهُ وَيَبْتَلِيكَ»، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ: أَنْ تَغْيِيرَكَ لِأَخِيكَ بِذَنْبِهِ أَعْظَمُ إِثْمًا مِنْ ذَنْبِهِ وَأَشَدُّ مِنْ مَعْصِيَتِهِ، لِمَا فِيهِ مِنْ صَوْلَةِ الطَّاعَةِ، وَتَرْكِةِ النَّفْسِ، وَشُكْرِهَا، وَالْمُنَادَاةِ عَلَيْهَا بِالْبَرَاءَةِ مِنَ الذَّنْبِ، وَأَنَّ أَخَاكَ بَاءَ بِهِ، وَلَعَلَّ كَسْرَتَهُ بِذَنْبِهِ، وَمَا أَحْدَثَ لَهُ مِنَ الذُّكَّةِ وَالْخُضُوعِ، وَالْإِزْرَاءِ عَلَى نَفْسِهِ، وَالتَّخْلُصِ مِنْ مَرَضِ الدَّعْوَى، وَالْكِبَرِ وَالْعُجْبِ، وَوُقُوفِهِ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ نَاكِسَ الرَّأْسِ، خَاشِعَ الطَّرْفِ، مُنْكَسِرَ الْقَلْبِ أَنْفَعُ لَهُ، وَخَيْرٌ مِنْ صَوْلَةِ طَاعَتِكَ، وَتَكْثُرِكَ بِهَا وَالْإِعْتِدَادِ بِهَا، وَالْمِنَّةِ عَلَى اللهِ وَخَلْقِهِ بِهَا، فَمَا أَقْرَبَ هَذَا الْعَاصِي مِنْ رَحْمَةِ اللهِ! وَمَا أَقْرَبَ هَذَا الْمُدِلَّ مِنْ مَقْتِ اللهِ، فَذَنْبٌ تَذَلُّ بِهِ لَدَيْهِ، أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ طَاعَةٍ تَذَلُّ بِهَا عَلَيْهِ، وَإِنَّكَ أَنْ تَبَيْتَ نَائِمًا وَتُصْبِحَ نَادِمًا، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَبَيْتَ قَائِمًا وَتُصْبِحَ مُعْجَبًا، فَإِنَّ الْمُعْجَبَ لَا يَصْعَدُ لَهُ عَمَلٌ، وَإِنَّكَ إِنْ تَضَحَكَ وَأَنْتَ

مُعْتَرِفٌ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَبْكِي وَأَنْتَ مُدِلٌّ، وَأَنْيُنُ الْمُذْنِبِينَ أَحَبُّ إِلَيَّ اللَّهُ مِنْ زَجَلِ
الْمُسَبِّحِينَ الْمُدِلِّينَ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَسْقَاهُ بِهَذَا الذَّنْبِ دَوَاءً اسْتَخْرَجَ بِهِ دَاءً قَاتِلًا هُوَ
فِيكَ وَلَا تَشْعُرُ⁽¹⁾.

ولذلك العلماء يقولون: رُبَّ طاعة أدخلت صاحبها النار، ورُبَّ معصية
أدخلت صاحبها الجنة؛ فالأول لأنه اغتر وتعالى وافتخر بها على الناس، والثاني
ندم واستغفر وأقلع عن الذنب فتاب الله عليه.
وما من عبد يعيب على أخيه ذنبا إلا ويبتلى به، فإذا بلغك عن فلان سيئة
فقل: غفر الله لنا وله.

وَلَا يَفْرَحَنَّ الشَّامِتُونَ فَإِنَّمَا يَعِشُونَ بَعْدَ الذَّاهِبِينَ لِيَالِيَا
وَلَا تَحْسِبُوا الْأَجَالَ مِنْهُمْ بَعِيدَةً فَإِنْ قَرِيبًا كُلُّ مَا كَانَ جَائِيًا⁽²⁾
وفي الأثر: "البلاءُ مُوَكَّلٌ بالقولِ، فلو أنَّ رجُلًا عَيَّرَ رجُلًا بِرِضَاعِ كَلْبَةٍ
لَرَضَعَهَا"⁽³⁾.

وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَوْ سَخِرْتُ مِنْ كُلِّبٍ، لَخَشِيتُ أَنْ أَكُونَ
كَلْبًا»⁽⁴⁾. فانظروا أيها الإخوة يخافون من السخرية من الحيوانات، واليوم كثير
من الناس لم يسلم من ألسنتهم أحد.

(1) مدارج السالكين (1/ 195).

(2) الحماسة للبحري (ص 220).

(3) الفرق بين النصيحة والتعير (ص 21).

(4) مصنف ابن أبي شيبة (25546).

وصدق من قال:

فَقُلْ لِلَّذِي يُبْدِي الشَّمَاتَةَ جَاهِلًا سيأتيك كأسٌ أنت لا بد شاربُها⁽¹⁾

ألا: وإن من أعظم أنواع الشماتة وهي منتشرة كثيرا في أوساط الناس.

أولا: الشماتة في تربية الأبناء: إن كثيرا من الآباء والأمهات قد يجتهدون في تربية أبنائهم على قيم ومبادئ الإسلام، وعلى الأخلاق الحميدة والصفات الفاضلة، ولكن قد يحدث أحيانا أن بعض الأبناء لا ينشأ على ما يتمنى ويريده الوالدان، فيتكاسل عن الصلاة، ويقع منه بعض المخالفات، وقد يرى بعض الأقارب أو الجيران انحراف الولد عن الآداب الحميدة والصفات الفاضلة، فيبدؤون في إظهار الشماتة به وبأسرته، لا سيما إذا كان أبوه أو أمه على استقامة ودين، أو كان من أبناء المشايخ والدعاة وطلاب العلم.

فيا أيها المسلم، لا تسخر من فلان لأن ابنه قصر في الصلاة أو شرب السجارة، ويا أيها المسلمة لا تسخري من فلانه لأن بنتها فعلت الذنب أو قصرت في الطاعة، ولا تقل هذه أعمالهم القبيحة، وأبوهم فلان وأمهم فلانة، أبوهم مطوع وهم من المنحرفين، أو أمها ملتزمة وهي غير ملتزمة.

فأنت لا تعلم حجم معاناتهم في تربيتهم وتوجيههم، ولا تدري مقدار تفانيهم في مجاهدتهم بالتربية، ألا تعلم أن ابن نوح **عليه السلام** في النار، ووالد إبراهيم **عليه السلام** في الجحيم، لا توزع الأقدار ولا تترجم النوايا، حسبك نفسك

(1) الحماسة للبحري (ص 220).

ومن تعول، لا تراقب الناس ولا تتبع عثراتهم ولا تكشف سترهم، ولا تتجسس عليهم، اشتغل بنفسك، وأصلح عيوبك، فسوف تسأل عن نفسك فقط لا عن غيرك، فالله أرحم بهم منك ومن أنفسهم.

فَقُلْ لِلشَّامِتِينَ بِهِمْ رُؤْيَا
أَمَامَكُمْ الْمَصَائِبُ وَالْخُطُوبُ
هُوَ الدَّهْرُ الَّذِي لَا بُدَّ مِنْ أَنْ تَكُونَ إِلَيْكُمْ مِنْهُ ذُنُوبٌ⁽¹⁾

ثانيا: من الشماتة أيضا: الشماتة على أصحاب الذنوب والمعاصي، أو من نزل بهم بلاء وآفة أو بلية، نعم الأصل إنكار الذنب والنصيحة بالتي هي أحسن وكُره الذنب. لكن لا ينبغي للمؤمن الصادق ولا المسلم الحق أن يشمت بصاحب معصية، فقد يتوب العاصي ويقع الشامت بهذا الذنب أو بذنوب أعظم منه، فالشماتة اليوم في نظره أنه ناصح وغداً ربما يختم له بخاتمة سيئة؛ فإن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء.

لا تشمت في شخص مهما صغر شأنه وظهر عيبه وبان نقصه؛ فإن الشماتة تجلب البلاء والابتلاء، ولكن تضرع إلى الله مستعيناً به خائفاً مستخفياً مشفقاً على نفسك وعلى أخيك، وقل: الحمد لله الذي عافني مما ابتلى به وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً.

فلا تحتقر صاحب معصية، فقط انصح ولا تفضح، عاقب دون أن تجرح ولا تغتر ولا تسخر فالأيام تنقلب.

(1) تأريخ بغداد (11/302)؟

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وَمَنْ ضَحِكَ مِنَ النَّاسِ ضُحِكٍ مِنْهُ، وَمَنْ عَيَّرَ أَخَاهُ بِعَمَلٍ ابْتُلِيَ بِهِ وَلَا بُدَّ (1).

ولقد أحسن من قال:

يَا أَيُّهَا الشَّامِتُ الْمُبْدِي عَدَاوَتَهُ ما بالمنايا التي عَيَّرْتَ مِنْ عَارٍ
تَرَكَ تَنْجُو سَلِيمًا مِنْ غَوَائِلِهَا هيهات لا بدُّ أَنْ يَسْرِيَ بِكَ السَّارِي (2)

قال ابن سيرين رَحِمَهُ اللَّهُ: بعد أن تكاثرت عليه الديون ودخل بسببها السجن: إني لأعرف الذنب الذي أصابني بسببه هذا، عيرت رجلا منذ أربعين سنة فقلت له: يا مفلس (3). **وصدق من قال:**

إِذَا مَا الدَّهْرُ جَرَّ عَلَى أَنْاسٍ حَوَادِثُهُ أَنْأَخَ بِآخِرِينَا
فَقُلْ لِلشَّامِتِينَ بِنَا أَفِئُوا سَيَلْقَى الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا (4)

اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ، وَوَفَّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ لَهُ الصَّالِحِينَ مِنْ خَلْقِكَ،
أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(1) الفروسية (ص 446).

(2) الحماسة للبحري (ص 220).

(3) الفرق بين النصيحة والتعيير (ص 21).

(4) عيون الأخبار (3/ 131).

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، **أما بعد:**

أيها المؤمنون: ومن أنواع الشماتة القبيحة والتي بدأت بالانتشار كثيرا وهو من أعظمها: الشماتة بأهل الدين والصلاح:

إذا كانت الشماتة محرمة كما تقدم فإن الشماتة بالصالحين من العلماء والدعاة وطلاب العلم والحلقات القرآنية والتعلم في هذه الحلقات فهو من أعظم الأمور المحرمة.

نقول - بكل أسف - إنه أصبح الإنسان المتمسك بدينه رجلا كان أو امرأة صغيرا كان أو كبيرا في بعض الأماكن والمجتمعات أصبح غريبا، عندما يدخل الأماكن العامة، فلان متشدد، وفلان مطوع، فلانه فيها تشدد، وقد يصل هذا إلى الاستهزاء بألفاظ قبيحة وكلمات جارحة، فهذا ليس من الشماتة، بل هو استهزاء قد يصل إلى الاستهزاء ببعض الأمور الشرعية كاللحية والحجاب الشرعي بل أصبح عدم سماع ورؤية المسلسلات والأغاني تشددا وتنطعا.

إن هذه التصرفات -أيها الأخوة- ليست من أخلاق المسلمين، بل هي من أخلاق الكفار والمنافقين، قال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ

أَمَنُوا يَصْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ ﴿١﴾ وقال تعالى في تبكيت الكافرين: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ * فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ * إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا إِنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢﴾. ولقد صدق كعب حين قال: "لَتَحَبَّبَنَّ إِلَيْكُمْ الدُّنْيَا حَتَّى تَتَعَبَّدُوا لَهَا وَلَا أَهْلَهَا، وَلَيَأْتِيَنَّكُمْ زَمَانٌ تُكْرَهُ فِيهِ الْمَوْعِظَةُ، وَحَتَّى يَخْتَفِيَ الْمُؤْمِنُ بِإِيمَانِهِ كَمَا يَخْتَفِي الْفَاجِرُ بِفُجُورِهِ، وَحَتَّى يُعَيِّرَ الْمُؤْمِنُ بِإِيمَانِهِ كَمَا يُعَيِّرُ الْفَاجِرُ بِفُجُورِهِ" (3).

أيها المؤمنون: أخيرا إن ردة فعلك حين تنظر إلى رجل أنك أحسن منه أو امرأة تنظر أنها أحسن تدنياً واستقامة من غيرها أو جمالا أو مالا أو لباسا، خصوصا في المناسبات إن ردة الفعل هذه والإحساس الداخلي قد تدفع ثمن هذا الشعور في الدنيا قبل الآخرة.

ذهبتَ تصلي ورأيت شبابا وأناسا لا يصلون، فتقول: أيش هؤلاء احتقارا لهم؟ هذا رايح فيها والله - أي هالك وفي النار -، الله أعلم كيف خاتمته، فلان صايح، وفلان كان كثير الابتلاء، الله أعلم أيش سوى من مصائب وجرائم حتى نزلت به هذه العقوبة، وهذا كثير في أوساط الناس.

وكل شيء يمكن تداركه إلا السماتة، **قال منصور بن الحسين الرازي:** وَإِنِّي

(1) [المطففين: 29، 30].

(2) [المؤمنون: 109 - 111].

(3) الزهد لابن أبي الدنيا (ص 73).

وَاللَّهُ مَا عَمِرَتْ رَجُلًا قَطُّ بِشَيْءٍ إِلَّا وَعِيرَنِي النَّاسُ بِمِثْلِهِ⁽¹⁾.

وَلَا يَفْرَحَنَّ الشَّامِتُونَ فَإِنَّمَا يَعِشُونَ بَعْدَ الذَّاهِبِينَ لِيَالِيَا

وَلَا تَحْسَبُوا الْآجَالَ مِنْهُمْ بَعِيدَةً فَإِنَّ قَرِيبًا كُلُّ مَا كَانَ جَائِيًا⁽²⁾

فاحذر أخي المسلم من هذا الذنب العظيم، قبل أن يحل بك البلاء،
ويدركك الشقاء، ولا ينفع عند ذلك الندم ولا البكاء.

اللَّهُمَّ نور قلوبنا بنور الإيمان، وثبتها على قولك الثابت في الحياة الدنيا وفي
الآخرة، واجعلنا هداة مهتدين، وتوفنا مسلمين، وألحقنا بعبادك الصالحين يا
أكرم الأكرمين، وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

(1) نثر الدر في المحاضرات ص 6

(2) الحماسة للبحري ص 220



أسباب الشماتة وعلاجها

الخطبة الأولى

الحمد لله القائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾⁽¹⁾، **وأشهد** أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾⁽²⁾، **وأشهد** أن محمدا عبده ورسوله القائل كما في صحيح مسلم: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعَرَضُهُ»⁽³⁾، صلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، **أما بعد:**

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾⁽⁴⁾.

أيها المؤمنون: إن الإسلام حريص على تربية أبنائه على الأخلاق الفاضلة

(1) [الحجرات: 11].

(2) [ق: 18].

(3) صحيح مسلم (2564).

(4) [الأحزاب: 71].

والصفات الحميدة والسّمات الجميلة، سواء كانت أقوالاً أو أفعالا أو حركات أو إشارات، ولقد أكد الإسلام كثيرا على معاني الأخوة والوحدة والترابط بين جميع أبناء المجتمع أفرادا وجماعات، وقد حذرهم أيضا من كل ما ينافي هذه الرابطة أو ينتقص منها أو يؤثر عليها.

ألا وإن من أهم الأخلاق السيئة والصفات القبيحة التي تضر بهذه الرابطة الأخوية خُلُقُ الشّماتة بالآخرين والسخرية بهم، وقد تقدم الحديث عن هذا الموضوع في الخطبة الماضية بحمد الله، فذكرنا الآيات والأحاديث والآثار، وقد بقي اليوم الحديث عن أسباب الشّماتة وعلاجها.

أيها المسلمون: إن خلق الشّماتة من معانيه الاستخفاف بالناس وازدراءهم وتوجيه القصور إليهم، ومن معانيها الفرح والسرور بما يصيب مَنْ خالفك أو عارضك في رأي أو مذهب أو اختلفت معه على أمر من أمور الدنيا، ومن معانيها النظر إلى النفس بعين العصمة من الذنوب والأخطاء التي يقع فيها الآخرون، والنظر إلى الغير بعين القصور والذنوب والأخطاء.

أيها الناس: إن للوقوع في الشّماتة والسخرية والاستهزاء بالآخرين أسبابا فتأملوها واجتنبوها واحذروا منها، **ومن هذه الأسباب:**

أولا: الابتعاد عن منهج الإسلام، الذي دعا إلى مكارم الأخلاق وحسن الطباع وأرقى الشيم وأجمل القيم، فالشامت المحتقر والمستهزئ المنتقص بعيد عن هذه الأخلاق الفاضلة والأوصاف الطيبة. قال ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** في

تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾⁽¹⁾، قال: الصغيرة التبسم بالاستهزاء بالمؤمنين، والكبيرة القهقهة بذلك⁽²⁾.

فانظروا إخواني المسلمين إلى منهج الإسلام الجميل إذ جعل الشماتة من العظائم التي يجد الإنسان أثرها حتى يوم القيامة، حتى إن تبسمه شامتا بغيره ذنب عظيم يجد أثره يوم القيامة.

ثانياً: ومن أسباب الوقوع في الشماتة: حب التشفي بالناس.

وهذا المرض العضال كما هو موجود بين الأعداء من المتخاصمين وغيرهم هو موجود للأسف الشديد بين الأفراد والجماعات والأحزاب والتنظيمات والجمعيات حتى الإسلامية منها، فكم تلك الشماتات المنتشرة تشفياً في وسائل التواصل والقنوات لو وقع إنسان له مكانة أو حزب أو جماعة في ذنب أو حلت بهم مصيبة أو نزلت بهم نازلة، فكم أولئك الذين يستهزؤون، وكم أولئك الذين يشمتون، إن هؤلاء الشامتين سواء كانوا أفراداً أو جماعات أو أحزاباً أو تنظيمات إنهم باتصافهم بهذه الصفة من أجهل الناس بحقيقة الدنيا وحقيقة الابتلاء، ألا يعلمون أن الأيام دول وأن الله على كل شيء قدير، والله سبحانه يقول: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾⁽³⁾، ومن شأنه تعالى أنه يحيي ويميت،

(1) [الكهف: 49].

(2) تفسير ابن أبي حاتم (7/ 2365).

(3) [الرحمن: 29].

ويعز ويذل، ويرزق أقوما ويمنع عن آخرين، ويهدي ضالا، ويرفع أقواما ويضع آخرين، ويبتلي بذنب ومصيبة ويعفو عمن يشاء، ويعطي ويمنع، له الحكمة البالغة وهو يعلم وهم لا يعلمون.

ثالثا: من أسباب الشماتة: حب الدنيا والتعلق بها ونسيان الآخرة، وكثيرا ما ينتشر هذا السبب بين التجار وأصحاب الأموال والمناصب، فقد يفتقر من كان غنيا، وقد يخسر تاجر في تجارته، وقد يُعزل صاحب منصب من منصبه، فتجد من يشمت بمن تنزل عليه هذه الأمور أو تحل عليه هذه الهموم والكروب.

قال ابن سيرين: عيرت رجلا بالإفلاس، فقلت يا مفلس، فأفلس بعد أربعين سنة⁽¹⁾. هذا الكلام أيها الإخوة يقوله هذا العابد الزاهد العالم الورع، فماذا نحن قائلون؟ كم هي ذنوبنا التي لا ندري من أين نؤتى بسببها؟ كم أولئك النساء اللاتي يذهبن إلى الأعراس لا لشيء إلا للرجوع والكلام فيما بينهن قائلات: هذه العروسة ليست جميلة، وهذه العروسة ما كانت تستحق هذا العريس؛ لأنه أفضل منها أو هذه العروسة لا يستحقها هذا العريس، وغيرها من تلك الكلمات والسخريات، وكم يتعرضن هؤلاء الشامتات لكثير من الشماتات للنساء الصغيرات والكبيرات وغيرهن، ناسيات أن معهن بنات وأخوات وأبناء، وأن ما يقلنه في هؤلاء النساء سيقال في بناتهن وأبنائهن وفيهن، وأن البلاء موكل بالمنطق.

(1) تاريخ الإسلام (7/ 244).

رابعاً: من أسباب الشماتة: تعاظم العداوة المفضية إلى استحلال ما حرمه الله تعالى، كالشماتة والسخرية والاستهزاء بمن حصل بينهم العداوة، وكثيراً ما ينتشر هذا المرض بين أصحاب العداوات من الأفراد والأحزاب وغيرهم. إن هناك أناساً إذا خاصموا استحلوا كل شيء في خصومهم، وإن هناك جماعات وأحزاباً تستحل من مخالفها كل شيء، تفرح بمصيبته وتحزن لفرحه وتشمت بمواجهه، وهذا ظلم عظيم وجرم خطير ومرض عضال وداء فتاك، والسلامة لا يعدلها شيء. وقديماً قالوا: عدو عاقل خير من صديق جاهل⁽¹⁾، وصدق من قال:

إِنِّي لَأَمِنُ مِنْ عَدُوٍّ عَاقِلٍ وَأَخَافُ خِلَا يُعْتَرِيهِ جُنُونُ
وَالْعَقْلُ فَنُّ وَاحِدٌ وَطَرِيقُهُ أَدْرَى وَأَرْصَدُ وَالْجُنُونُ فَنُونُ⁽²⁾

لأن العدو العاقل من صفاته عدم الشماتة، ولهذا من يشمت بغيره من الجماعات وغيرها فليسوا بعقلاء ولم يفهموا الشريعة الإسلامية الغراء.

خامساً: من أسباب الشماتة: الحقد والحسد والبغي.

قال الإمام الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ: والحسد والشماتة متلازمان⁽³⁾.

جاء في الحديث عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ ذَنْبٍ

(1) العقد الفريد (2 / 110).

(2) إحياء علوم الدين (2 / 171).

(3) تفسير الرازي (3 / 646).

أَجْدُرُّ أَنْ يُعَجَّلَ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةُ مَعَ مَا يُدَّخِرُ لَهُ، مِنْ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ»⁽¹⁾،
والشماتة من البغي والتعدي.

إن الشماتة تربي في الأفراد والجماعات الحقد والحسد، والعداوة والبغي،
والاحتقار والغيبة، وهذا أمر مشاهد، وهي دليل على قسوة القلب، وسوء
الطبع، وضعف الإيمان، وذهاب الورع، وهذا الخلق يقوم في النفس حين تخلو
من المودة والحب والعطف والعدل، وحين تمتلئ بالكراهية والحقد والبغض
وضعف الإيمان.

أَسْأَلُ اللَّهَ الْكَرِيمَ الْمَنَّانَ أَنْ يَجْنِبَنَا وَإِيَّاكُمْ أَخْلَاقَ أَهْلِ الْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ،
أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

(1) سنن الترمذي (4/ 245) (2511).

الخطبة الثانية

الحمد لله الكريم المنان، الرحيم الرحمن، والصلاة والسلام على سيد ولد عدنان، وعلى آله وأصحابه ذوي الفضل والإحسان، **أما بعد:**

أيها المؤمنون: وهذه إشارات في العلاج لهذا المرض الخطير والداء الفتاك الذي هو السماتة، أذكرها اختصاراً، والمؤمن الحريص على دينه وأخلاقه تكفيه التنبهات والتحذيرات والإشارات لينزجر عن مثل هذه الأخلاق السيئة.

فمن العلاج:

أولاً: أن تعلم أيها الشامت المستهزئ المحقر أنك إذا عيرت أخاك وشمته به ولو كان عدواً أو مخالفاً لك أنك قد تبلى بما ابتلي به، وأنك قد تقع فيما وقع فيه، وهذا أمر كان متعارفاً عليه حتى في الجاهلية. عمرو بن كلثوم التغلبي في وصيته لأبنائه وهي وصية فيها من الآداب الحميدة الشيء الكثير، يقول في هذه الوصية: **وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا عَيْرْتُ رَجُلًا قَطُّ بِشَيْءٍ إِلَّا وَعِيرَنِي بِمِثْلِهِ، وَإِنْ حَقًّا فَحَقًّا، وَإِنْ كَانَ بَاطِلًا فَبَاطِلًا، مَنْ سَبَّ يَسِبْ، فَكُفُّوا عَنِ الشَّتْمِ، فَإِنَّهُ أَسْلَمَ لَأَعْرَاضِكُمْ⁽¹⁾.**

قال إبراهيم النخعي رَحِمَهُ اللَّهُ: إني لأرى الشيء أكرهه فما يمنعني أن أتكلم فيه إلا مخافة أن أبتلى بمثله⁽²⁾.

(1) نثر الدر في المحاضرات (2/ 259).

(2) شعب الإيمان للبيهقي (9/ 118).

وهذه رسالة إلى أصحاب الصفحات الإلكترونية، احذروا من الشماتة والسخرية فقد يبتليكم الله بمثل ما تنشرون عن الآخرين.

ثانيا: من العلاج للشماتة: أن تعلم أيها الشامت أن الشماتة من صفات أهل النفاق والفسق والكفر، فهل ترضى أن تفارق صفات أهل الإيمان إلى صفات المنافقين والكفار؟ قال تعالى في وصف المنافقين: ﴿إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُوهُمْ وَإِنْ تَصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ (1).

قال العلامة السفاريني رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنَّ كُلَّ مَنْ افْتَخَرَ عَلَى إِخْوَانِهِ وَاحْتَقَرَ أَحَدًا مِنْ أَقْرَانِهِ وَأَخْدَانِهِ أَوْ سَخِرَ أَوْ اسْتَهْزَأَ بِأَحَدٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَدْ بَاءَ بِالْإِثْمِ وَالْوِزْرِ الْمُبِينِ (2).

وقال العلامة القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: من لقب أخاه أو سخر منه فهو فاسق (3).

ثالثا: ومن علاج الشماتة: أن تعلم أيها الشامت بسبب حسدك لغيرك أو تكبرك على خلق الله بعلمك أو نسبك أو جاهك أو مكانتك الاجتماعية أو الوظيفية أن هذه الأمور من كبائر الذنوب، وقبائح الآثام، وأنت أول المتضررين بذلك.

قال الخليل بن أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد،

(1) [آل عمران: 120].

(2) غداء الألباب في شرح منظومة الآداب (1/ 134).

(3) تفسير القرطبي (16/ 328).

نَفْسٍ دَائِمٍ، وَعَقْلٍ هَائِمٍ، وَحُزْنٍ لَائِمٍ⁽¹⁾.

رابعاً: ومن علاج الشماتة: أن تعلم أيها الشامت بسبب الحقد والغل لغيرك سواء كانوا أفراداً أو جماعات أن الغل والحقد منافيان لأخلاق المؤمنين وصفات المتقين، لأن المؤمن إن لم ينفع أخاه نفعاً حسياً أو معنوياً فلا يضره؛ لأن الإضرار بالآخرين ليست من صفات أهل الإيمان.

قال يحيى بن معاذ رَحِمَهُ اللهُ: ليكن حظ المؤمن منك ثلاثاً: إن لم تنفعه فلا تضره، وإن لم تفرحه فلا تغمه، وإن لم تمدحه فلا تدمه⁽²⁾.

خامساً: ومن العلاج أيضاً: أن تعلم أيها الشامت بسبب الذنوب والمعاصي من غيرك، وبسبب حسن تربيتك للأولاد: أن الهداية والتوفيق لمثل هذه الأمور هو مِنَّةٌ وتوفيق من الله تعالى، وأنت قد تُسَلِّب هذه الهداية وتقع في الذنوب والغواية، ويأتيك أولاد عصاة تتجرع منهم المرارة والعذاب بسبب احتقارك وشماتتك بأولاد الآخرين، وقد جمع هذا الشامت مع الشماتة المحرمة جمع أيضاً بين الغيبة المحرمة، وهي من كبائر الذنوب، وبين تزكية النفس بدم الآخرين، ولا يدري لعل الله أن يتدارك أولئك برحمة ويسلبها منك أيها الشامت.

سادساً: ومن علاج الشماتة أيضاً: أن تعلم أيها الشامت أن الشماتة

(1) شعب الإيمان (5/ 273).

(2) الزهد والرقائق للخطيب البغدادي (ص 114).

بالآخرين ولو بطريق المزاح والدعابة أنها محرمة، وأنها جارحة للمشاعر، وأنك وإن كنت صافي النية لكنك قد تُبتلى بسبب مزحك بهذه الطريقة المحرمة التي تجرح بها مشاعر الآخرين.

وأخيراً اقرؤوا القصص الكثيرة، والمشاهد العجيبة لمن وقعوا في مثل هذا الذنب ولو مزاحا كيف انقلبت عليهم الأمور، وكيف تغيرت عليهم الأحوال، وكيف توالى عليهم المصائب، وكيف تعددت عليهم المعاييب، وكيف تنوعت عليهم المخزيات والمهلكات والمبكيات، وكل هذا بسبب كلمة قالوها أو حركة فيها شماتة فعلوها، فاحذروا يا مسلم من الشماتة، واحذروا يا مسلمة من الشماتة، خصوصاً في الأعراس والمناسبات، قال بعض أهل العلم: أدركت قومًا لم يكن لهم عيوبٌ، فذكروا عيوبَ الناس، فذكر الناس لهم عيوبًا، وأدركت أقوامًا كانت لهم عيوبٌ، فكفُّوا عن عيوبِ الناس، فنُسيت عيوبهم.

ويشهد لصحة هذا الكلام كما قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ حديث أبي بَرَزَةَ، عن النبي ﷺ، أنه قال: "يا معشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان في قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم، تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته، يفضحه في بيته" (1).

فالسعادة كل السعادة أن يشتغل الإنسان بنفسه وعيوب نفسه وإصلاحها، وأن يتعد عن ذكر عيوب الناس، وأن يدعو الله ألا يشمت به أحد. **وصدق من قال:**

(1) جامع العلوم والحكم (2/ 191) والحديث رواه أبو داود (4859)،

يُصَابُ الْفَتَى مِنْ عَثْرَةِ لِسَانِهِ وَلَيْسَ يُصَابُ الْمَرْءُ مِنْ عَثْرَةِ الرَّجُلِ
فَعَثْرَتُهُ فِي الْقَوْلِ تُذْهِبُ رَأْسَهُ وَعَثْرَتُهُ فِي الرَّجْلِ تَبْرَأُ عَلَى مَهْلٍ⁽¹⁾

اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ، وَارْزُقْنَا الْاِسْتِقَامَةَ طَوْعاً أَمْرِكِ، وَتَفَضَّلْ عَلَيْنَا
بِعَافِيَتِكَ وَجَزِيلِ عَفْوِكَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ
وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

(1) المحاسن والأضداد (ص 43).

فهرس المحتويات

الذكر	5
الخطبة الأولى	5
الخطبة الثانية	12
فضل أذكار الصباح والمساء (1)	16
الخطبة الأولى	16
الخطبة الثانية	23
فضل أذكار الصباح والمساء (2)	25
الخطبة الأولى	25
الخطبة الثانية	32
أذكار النوم	34
الخطبة الأولى	34
الخطبة الثانية	42
المداومة على الأعمال الصالحة	44
الخطبة الأولى	44
الخطبة الثانية	52
ثمرات الأعمال الصالحة	55
الخطبة الأولى	55
الخطبة الثانية	62

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ 65

الخطبة الأولى 65

الخطبة الثانية 73

الالتجاء إلى الله 76

الخطبة الأولى 76

الخطبة الثانية 82

الدعاء 84

الخطبة الأولى 84

الخطبة الثانية 91

الرضا 97

الخطبة الأولى 97

الخطبة الثانية 105

المسلم الحقيقي 108

الخطبة الأولى 108

الخطبة الثانية 117

الأخوة الإيمانية 121

الخطبة الأولى 121

الخطبة الثانية 128

صفات قلوب أهل الإيمان 130

الخطبة الأولى 130

الخطبة الثانية 137

141 سلامة القلب

141 الخطبة الأولى

148 الخطبة الثانية

150 أمراض القلوب

150 الخطبة الأولى

157 الخطبة الثانية

161 داء الحقد

161 الخطبة الأولى

169 الخطبة الثانية

171 داء الخيانة

171 الخطبة الأولى

179 الخطبة الثانية

185 داء الكبر

185 الخطبة الأولى

193 الخطبة الثانية

196 المنافقون (1)

196 الخطبة الأولى

203 الخطبة الثانية

206 المنافقون (2)

206 الخطبة الأولى

214 الخطبة الثانية

أوصاف لا يحب الله أصحابها 216

الخطبة الأولى 216

الخطبة الثانية 223

الاستعجال المذموم 226

الخطبة الأولى 226

الخطبة الثانية 234

صور من الاستعجال المذموم 238

الخطبة الأولى 238

الخطبة الثانية 244

الاستعجال المحمود 246

الخطبة الأولى 246

الخطبة الثانية 253

الأخلاق 257

الخطبة الأولى 257

الخطبة الثانية 263

الابتسامة والمرح 266

الخطبة الأولى 266

الخطبة الثانية 272

صنائع المعروف 275

الخطبة الأولى 275

الخطبة الثانية 281

وسائل إدخال السرور على الآخرين	284
الخطبة الأولى	284
الخطبة الثانية	290
حسن الظن بالناس	292
الخطبة الأولى	292
الخطبة الثانية	298
سوء الظن	303
الخطبة الأولى	303
الخطبة الثانية	310
الشماتة بالآخرين	312
الخطبة الأولى	312
الخطبة الثانية	320
أسباب الشماتة وعلاجها	323
الخطبة الأولى	323
الخطبة الثانية	329
فهرس المحتويات	334

